# جهاد فضيل العلم جليل

فضيلة الشيخ

## عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

بمناسبة

الاحتفال باليوبيل الذهبي

لجامعة أفريقيا العالمية بالسودان

المركز الإسلامي الإفريقي


إعداد:

د. محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)



الدوحة - قطر ١٤٣٧هـ

تليفون : 44449303 / 44449712 - فاكس : 44179285 - ص . ب : 140- الدوحة - قطر
Tel. : 44449712 / 44449303 - Fax : 44179285 - P. O. Box. 140 - Doha - Qatar

www.qatarch.com


٣

٩٢٤/١٦٢
ع٠ ج م

# جهاد فضيل العلم جليل

## فضيلة الشيخ
## عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

مكتبة الشيخ عبدالله الأنصاري العامة
الرقم العام : _____
رقم التصنيف : _____

مكتبة الشيخ عبدالله الأنصاري العامة
الدوحة
قطر

بمناسبة
الاحتفال باليوبيل الذهبي
**لجامعة أفريقيا العالمية بالسودان**
المركز الإسلامي الإفريقي

إعداد:
د. محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)

من إصدارات مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه
الدوحة - قطر ١٤٣٧هـ

# تقديم

الحمد لله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]

والصلاة والسلام على من اصطفاه ربه فختم به النبوات، وختم برسالته الرسالات، المبعوث رحمة للعالمين، من امتن عليه ربه، فقال جل شأنه:

﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2]

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد

فإني أستأنس فيما أنا مقبلٌ عليه، راجيا التوفيق ممن لا توفيق إلا به بقوله تعالى:

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[3]

وقوله جل شأنه:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[4]

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٥)

(٢) سورة النساء الآية (١١٣)

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢٣)

(٤) سورة الكهف الآيتان (١٠،٩)

إن تاريخ أي جماعة أو أمة جهود بشرية تُفَعِّلُها دوافع طيبة، في السلم أو في الحرب، في كل عطاء نافع، وإبداع صالح، وبناء طيب، فيكون حصادها خيراً، يسعدهم، ويسعد من يلونهم، أو يتصلون بهم، به يذكرون، وعليه يؤجرون ما بقيت السموات والأرض يقول الصادق المصدوق (ﷺ):

« من سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فله أجرُهَا وأجرُ من عَمِلَ من بعده، من غير أن ينقصَ من أجورِهِمْ شيءٌ»[1]

أما إذا ساءت المحركات، وخبثت الدوافع، فلن يكون الجنى غير سوء وضر، وشؤم وشَرّ، يبوء من سنُّوهُ بإثمه، ويلاحقهم جرمه، وجرم مُفَعِّلِيهِ من بعدهم إلى يوم القيامة، يقول المبعوث رحمة للعالمين (ﷺ):

« ومن سَنَّ في الإسلامِ سنةً سيئةً فعليه وزرُهَا، ووزرُ من عَمِلَ بها من غيرِ أنْ ينقصَ من أوزارِهِمْ شي»[2]

والتاريخ مسجل ماهر، ومرآة حقٍّ لا كدر فيها، إذا لم يحرك الهوى أقلام كتبته، والزيغ والانحراف عقولهم، فلا يسطرون في أوراقهم غير زور، ولا يعلون سوى باطل.

والحق جَلَّ وعلا يعلي من عملوا فأحسنوا؛ ليكونوا أسوة حسنة، ويخزي من ساءت نياتهم، وخبثت توجهاتم؛ ليكونوا عظة وعبرة، ولنضرب لذلك مثلاً من كتاب الله تعالى:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، هو تتمة ما سبق.

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]

إنهما مسجدان: (مسجد النفاق) وقد أقيم مضارة، ومشاقة، وتفريقا بين المؤمنين، وإعانة لمن حاربَ الله ورسوله، فنزل الوحي بذلك، فبعث النبيّ (ﷺ) من يهدمه ويحرقه، فَهُدِمَ وحُرِّق، وصار بعد ذلك مزبلة.

أما الثاني: فهو (مسجد قباء) أُسِّسَ على إخلاص الدين لله تعالى، وكان سابقاً في هذا، عريقاً فيه، فهو «أحقُّ أن تقُومَ فيه» فهو فاضل وأهله فضلاء، مدحهم الله بقوله:

﴿ يحبون أن يتطهروا ﴾[2]

أما (مسجد النفاق) فأخفى الله تعالى اسم رافعيه تحقيراً لهم، وفَضَحَ نواياهم تشهيراً بهم.

وهكذا يؤرخ القرآن الكريم لمسجدين متجاورين في عهد صاحب الرسالة الخاتمة، أحدهما يُهْدَم، ويُحْرَق ويلعنُ هو وأهله، والآخر يُعْلَى، ويقدس، ويثنى عليه، وعلى أهله، ويزداد شرفاً بصلاة الرسول (ﷺ) فيه.

---

(١) سورة التوبة الآيتان (١٠٧،١٠٨)

(٢) العلامة الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان) بيروت (المكتبة العصرية) ط (بدون) (عام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣) ص (٢٠٣) بتصرف يسير.

و(خادم العلم) رحمه الله تعالى عضو في جسد الأمة، ودعامة قوية شامخة في نهضة قطر إسلامياً، وعلمياً، وتربوياً، واجتماعياً، وغير ذلك إنه ـ غفر الله تعالى له ـ طاقات في جسد واحد، وقدرات في فكر واحد، وعزمات في قلب واحد، لم تكن معرفتي به لمجرد نزولي قطر، والعمل في رحاب نجله الأكبر الأحب الدكتور/ محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)، ومعرفتي بالأماجد أولاده، ودخولي مجلسه، بل عرفته، وأنا في مصر (الأزهر) حيث قال لي أستاذي الدكتور/ محمود محمد عمارة حين تعاقدت: أنت ذاهب إلى الرجل الذي يوالي إمدادنا بكتب التراث دون مقابل.

فكنت حريصاً أشد الحرص على معرفة من جعله الله تعالى مصدر إمداد للمكتبات العامة والخاصة، والأساتذة ـ جامعيين وغيرهم ـ بل العامة كذلك، نزلت (قطر) وأنا مشوق إلى التعرف على من طار ذكره، فملأ آفاق العالمين العربي والإسلامي، وجعل من الكتاب سفيراً (لدولة قطر)، وتاقت نفسي إلى رؤية من طار ذكره إلى مصر، فعطر أجواءها عامة، والأزهر خاصة، فحقَّ فِيَّ وفي فضيلته قول من أوتي جوامع الكلم (ﷺ):

«الأرواحُ جنودٌ مجندةٌ، ما تعارَفَ منها ائتَلَفَ، وما تناكَرَ منها اختَلَفَ»[1]

لقد كان بفضل الله تعالى ورحمته التعارف والتآلفُ دون لقاء.

وشاء الله تعالى أن تكون تلك التطلعات، وقد مضى على وفاة من أحببته بالغيب خمس سنوات، فنزلت قطر، وهو في قلبي، والشوق إلى

(١) رواه البخاري.

معرفة الكثير عنه يملأ كياني، ولذا ازدان مطلع قصيدة لي في (خادم العلم) ـ رحمه الله ـ بقولي:

عيني بحقٍّ لَمْ ترَكْ لكنَّ قلبي أبْصَرَكْ

وسمعت عنه، وحاورت، سمعت من أولاده الأماجد، وأقاربه، ومحبيه وهم كُثْر، وسألت العرب والعجم من سكان الدوحة، وكان العهد به قريباً، فأثنى الجميع عليه خيراً، وزودني بعضهم بمواقف له، رحمه الله تعالى.

وعشت بين ما أحيا من كتب التراث، في مكتبته العامة التي أنشأها ورخص لها (أبو عمر) فاستوقفني ذلك الكم الهائل من الكتب، أو قل ـ وهو أفصح وأسلمُ في التعبير ـ تلك: الذخائر القيمة لسلف علماء المسلمين وخلفهم، وقد يجذبك عنوان المرجع النفيس، فتجد تحته مجلدات، أتدري ـ أيها الفاضل ـ إلى أي رقم تصل؟

ولنقف عند عنوان، وليكن (البيان والتحصيل) مؤلفه العلامة/ أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، المتوفي عام (٥٢٠)هـ إن هذا السفر الجليل يحوي عشرين مجلداً بلغت عدة صفحاتها (سبعاً وخمسين ومائة وعشرة آلاف صفحة).

يقول عنه محققه د/ محمد حجي:

(كتاب حافل من أمهات الفقه المالكي، يطابق اسمه مسماه بيانا وتحصيلاً وشرحاً وتوجيهاً وتعليلاً لمسائل كتاب (المستخرجة) لمحمد العتبي، من أسمعة تلامذة الإمام مالك بن أنس، استغرق تأليفه

اثنتي عشرة سنة، وأودعه ابن رشد جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية المستوعبة للمدونة، وما كتبه عليه أئمة المذهب في نحو سبعة أجيال من شروح و اختصارات وتعليقات، ومن تأملاته، وتجاربه الشخصية في التدريس والإفتاء والقضاء، فجاء (البيان والتَّحصيل) خلاصة وافية محيطة بالفقه المالكي[1].

قل بالله عليك: كيف وقع (خادم العلم) على كتابي ابن رشد، وعلى غيرهما من نفائس التراث؟

والإجابة ميسورة:

﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّه ﴾[2]

ولنفس العالم العلامة المؤلف كتاب (المقدمات الممهدات) وهو مكون من ثلاثة مجلدات مجموع صفحاتها (تسعون وستمائة وألف صفحة).

يقول عنه محققه د/ محمد حجي:

(ليست المقدمات من كتب فروع الفقه العادية، ولا من كتب الأصول، وإنما هي بدعٌ من التأليف، يحتوي على دراسات وتأملات فقيه مالكي ضليع، بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ينظر في ميدان الخلاف العالي، وينافح عن مذهبه المالكي ـ عند الاقتضاء ـ بالحجة والبرهان)[3].

---

(١) أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (البيان والتحصيل) قطر (إدارة إحياء التراث) الدوحة تحقيق د/ محمد حجي ط (بدون) عام (بدون) جـ (١) ص (٥).

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٣)

(٣) أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد (المقدمات الممهدات) تحقيق د/ محمد حجي قطر (إدارة إحياء التراث) الدوحة ط (بدون) عام (بدون) جـ (١) ص (٦)

فإذا انتحينا جهة التفسير يطالعنا مرجع نفيس ألا وهو:

(المحرر الوجيز)

ومؤلفه العلامة أبو محمد عبد الحقِّ بن عطية الأندلسي المتوفى عام ٥٤٢ هـ.

وعدة مجلداته (خمسة عشر مجلداً)

مجموع صفحاتها (أربع وثلاثون ومائة وثمانية آلاف صفحة)

هذه ثلاثة نماذج من أكثر من مائتي كتاب، وغيرها كثير مما يأخذ هذا الطابع، ويتميز بسمات تجعله جديراً بإحيائه، ونشره.

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كان قرآنيا بطبعه، وللنشأة القرآنية في أحضان والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ أثر طيب في توجهه القرآني، فقد عايش الجدُّ القرآن الكريم، وعاش له من طفولته المبكرة، وعاش به[1]، وقد تجلى أثر ذلك في الشيخ عبد الله فقد استنارت قطر كلها ـ مدنا وقرى ـ بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، للرجال والنساء، في جميع الأعمار في المساجد بصفة دائمة، وفي المدارس في إجازة الصيف، وأقام مقرأة في بيته بمجلسه انتقلت إلى (مسجد الشيخ غانم) لكثرة روادها وضيق المجلس بهم، بل استعمل مكبر الصوت، وقد هيأ الله تعالى لي اللقاء بمن كانوا يحضرون هذه الندوة، فبهرني حفظهم، وجودة تلاوتهم، وستزدادُ ـ

(١) سنخصص موضعا من الكتاب للحديث عن الجد، رحمهما الله تعالى

أيها القارئ الكريم ـ عجباً إذا عرفت عنايته بالطلاب والمحفظين، ومكافآت المعلم والمتعلم، وتنظيم المسابقات.

هذا في مجالي القرآن الكريم وإحياء التراث، فماذا في التربية؟

وماذا عن شؤون القرى؟

وأين جهود الشؤون الدينية.

وما كَمُّ النشاط الدعوي في العام كله ورمضان خاصة؟

وهل كان دور الشؤون الدينية، وإدارة إحياء التراث التحقيق والطباعة فقط، أم كانت هناك أعباء تثقل هم أصحاب العزائم القوية والهمم العوالي؟

وما موقفه من حاجات الناس داخل قطر؟

وما مدى ثقة حكام الدولة الأماجد من آل ثاني فيه؟

وبم تصنف غيرته على الإسلام والمسلمين في أرض الله تعالى كلها، سلماً وجهادًا؟

وإلامَ تصل اهتماماته بحاجة الأمة الخاتمة عامة؟

وكيف خاضَ المؤتمرات خارج دولة قطر، وأحسن تنظيمها في قطر؟

وعضويته المؤسِّسة لكثير من المنظمات الإسلامية إلام وصلت؟

وبم نحدث عن براعته الفلكية؟

لقد وجدتني ـ وأنا في رحاب نجله الأكبر ـ أمام حشد من العظماء المتميزين في عطائهم، لا أمام رجل واحد.

وتمثلت لي أسئلة محيرة:

كيف كان ينظم وقته وجهده؟

أي الطرق اتبعها في الوفاء لتلك العظائم التي لا حصر لها؟

لا أجد ما يثلج صدري، وينشر الطمأنينة في نفسي، وينزل السكينة على قلبي غير قول الله تعالى:

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1]

وذلك القبس النبوي:

«إن للهِ عباداً اختصَّهُمْ بحوائجِ الناسِ، يفزعُ الناسُ إليهم في حوائِجِهِمْ، أولئك الآمنون من عذاب الله»[2]

واسأل الله تعالى أن يجعل له هاتيك الثلاث:

«إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[3]

اللهم آمين

**السيد حسن السيد الوكيل**
مستشار رئيس مجلس إدارة
مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري
للقرآن الكريم وعلومه

(١) سورة الأنعام الآية (٨٨)

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.

# مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن الكريم المنان، ذي الجلال والإكرام، والطول والإنعام، أنعم علينا بالإسلام، وأرسل في الأمة الوسط مسك الختام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام منْ علَّمَهُ ربه، وأوحى إليه بطلب المزيد، وخصة بالشفاعة والحوض المورود اللهم صلِّ عليه وسَلِّم، وبارِكْ وكرِّمْ، وَوَثِّق أسبابنا به، وضاعفْ حبنا له؛ إنك نعم المولى ونعم النصير.

وبعد

فالأمة الوسط خير أمة أُخْرِجَتْ للناس أمةٌ ميمونةٌ مباركة، رائدة موفقة، مفتتح رسالتها العلم، ألم يبدأ الله تعالى حبيبه ومصطفاه (ﷺ) بقوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]

أمر كريم من رب كريم لرسول كريم؛ ليبلغه لأمة كريمة، وليخرج به البشرية من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الإيمان والفطانة.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2]

---

(١) سورة العلق الآيات (١:٥)

(٢) سورة الجمعة الآيات (٢:٤)

إنها دعوة إبراهيم عليه السلام من وراء القرون، وهي عند الله تعالى محفوظة لا تضيع، حتى يجيء موعدها المقدور في علم الله تعالى، وفق حكمته، في وقتها المناسب، حتى تؤدي دورها، وتعمَّ البشرية بنورها.

وذلكم هو النداء السني، يرفعه إلى الرب العلي أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

وكان (ﷺ) المعلم المزكي المطهر الصاعد بأمته إلى مراقي الكمال، وفاتحتها العلم.

لقد كان ذلكم الافتتاح «اقرأ» تعظيماً ـ أي تعظيم ـ للنبي الموحي إليه (ﷺ) وإعلاءً وتكريماً ـ أي تكريم ـ للأمة الخاتمة، وتشريفا للعلم والعلماء، وإذا كان العلم نوراً تستنير به الحياة، وتستضيء به العقول، وترقى به الحياة والأحياء؛ فالنور المبعوث به رحمة الله للعالمين (ﷺ) نور معصوم، منطلقه الوحي، ومنزله العليم الخبير جل وعلا، وهو القائل:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(٢)

نورٌ تحيا به القلوب، وتطمئن بهداه النفوس، وتستنير به البصائر،

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٩)

(٢) سورة إبراهيم الآية (١)

وتستقيم على الفطرة الضمائر، وتسلم به العقائد من كل كَدَر، وترشد به وجهات البشر، يقول العلي الأعلى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]

وقد شاء الله تعالى أن ينبت سيدي الوالد نباتاً حسناً، ويورده في نشأته مورداً كريماً، ففي رحاب القرآن الكريم وُلِدَ، ورُبِّيَ، وعلى موائدِ العلم أجلس، وغُذِّي، وعلى الاعتصام بالحقِّ نُشِّئَ،وأُعْلِي، فقد حفظ والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، بل ارتحل طلباً لمحفظ أجود، وهو في التاسعة، وتصدَّى للتحفيظ وتعليم اللغة العربية كتابة وإملاءً وهو في الحادية عشرة من عمره، واختير إماماً لأهل الذخيرة، وهو في الرابعة عشرة، وعَلَّم صغارهم وكبارهم القرآن الكريم، وغير ذلك مما سنوضحه عند الحديث عنه ـ رحمه الله تعالى ـ فإذا قُدِّر لخادم العلم أن ينشأ في رحاب هذا الوالد، ويشب بين يديه، ويسمع منه، ويأخذ عنه، فماذا عساه أن يسمع أو يأخذ؟

وإذا كانت عين الطفل مرآة تعكس بأمانة، وعدسةً تُتَابِعُ، وتُحْصِي بحرصٍ، فعينا هذا الفتى ماذا تسجلُ وتحصي من خلال معايشته لوالد هذه سماته؟

---

(١) سورة المائدة الآيتان (١٥،١٦)

فالمنبتُ ـ بفضل الله تعالى ـ طيب، والتربة صالحة، والمناخ طَهُور، فـضْلاً عن الفطـرة التي فطر الله النـاس عليها، فماذا تكـونُ توقعاتُ علمـاء التربية سلفهم وخلفهم في المربيَّ الذي أحاطته هذه الظروف، وعاش هذه الحياة واقعاً، ،أي حصاد يكون محصلة هاتيك النشأة؟

إن الذيـن عايشوه، وامتزجـت حياتهم بحياته، تآلفـت أرواحهم مع روحه ـ قطريين وغير قطريين من الخليج أو البلاد العربية والإسلامية ـ حدثوا عنه، ماأراه إلا حديث صدق، ورؤية أمانة، فأجادوا، بل ربَّمَا أتوا بما لم يحدث به آله؛ لاختلاف مقتضيات العشرة، وطرائق التعامل[1].

إننـي حين أتحدث عن سيدي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري أجدنـي في حيرة أي الجوانب أخوض محدثاً عنـه، وآثاره فينا ـ معشر أولاده ـ لا تحصى فضلاً عن تنوعها، وانبساطها لتغطي حياتنا كلها؟

إنـه ـ رحمـه الله تعالـى ـ الوالد، وهـو نسب نعتز بـه، ونشكر العلي الأعلـى أن خصنا به، وجعلنـا خلفاً له، وأرانَا إيـاه راعياً، عرف دقائق أحوالنـا وخفـي تقلباتنا، ومهـر في معايشتهـا، والفصل فيهـا؛ دعماً، وحفـزاً على الإثراء ممـا حسنٌ، ونصحـاً، وتقويماً، وإقناعـاً باجتناب ما ساء والترفع عنه، وحُسْنِ استبداله بما طابَ، وعظم، مع بيان واضح، وإرشاد حكيم.

أأبسط الحديث عنه في تلك الزاوية الهامة والوضيئة في حياتنا؟

---

(١) د/ محمد بن عبد الله الأنصاري (فضيلة الشيخ الأنصاري واقع وتاريخ) قطر (الدوحة) مطابع الدوحة الحديثة ط(١) عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

أم أنتحي تجاه التربية، وهو المربِّي الذي لا يُشَقُّ له غبار ـ لا أزكيه على الله تعالى ـ والمؤدب الذي يَشُقُّ على نفس من يتصدى لتأديبه شدة حزمه، وإن كان الرفقُ من أخص خصائصه، وأبرز سماته، غير أننا بالنشأة، والملازمة التامة له رأينا ـ عن يقين ـ الرحمة في حزمه، والرفق في شدته؟

لقد كان يلزمنا في الطفولة المبكرة، وأهله القيام لصلاة الفجر، ففي البيت جماعة للنساء والبنات ومن لا يتناسبُ معه الخروج إلى المسجد من البنين، وفي الجماعة الأولى ببيت الله الوالد، ومن يناسبه الائتلاف بالجماعة، وصارت هذه سنة متبعة في أهله، وولده، وظهر أثرها فيهم جميعاً ألا وهي المحافظة على الصلاة في ميقاتها، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ حريصاً على ربطنا دائما بالقرآن الكريم، وعلوم الشريعة واللغة العربية، فأقرأنا وحَفَّظَنَا بنين وبنات، وما قَبِلَ منا القراءة إلا مجودة، حيث يرى أنَّ على قارئ القرآنِ الكريم الالتزام بجودة القراءة، وإتقان المخارج، لينال شرف التأسي برسولِ الله (ﷺ) فيما نزل به عليه أمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وأخذه (ﷺ) منه، وعَلَّمَهُ أصحابه رضي الله تعالى عنهم، بل نالت تلك العناية من خادم العلم أحفاده، وكان يحرص على أن يرانا في حلقات التلاوة في حضور صفوة أساتذة وأعلام التجويد؛ نسمع ملتزمين ما دعا الله تعالى إليه من أدب مع كتاب الله العزيز، كما في قوله جل شأنه:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤)

بل حين تصله بروفات المصحف الشريف يُلْزَمُ الجميع بالوضوء، ويقومُ كل منا ـ بنين وبنات ـ بما تَيَسَّرَ له، ولو بترتيب الصفحات، ويُسْمِعُنا من عبارات التشجيع ما يجعلنا نتمنَّى ألاَّ تُرْفَعَ هذه الصحائف الطيبات الطاهرات من أيدينا، وبفضل تعالى دون حول مِنَّا ولا قوة أبناؤه وبناته وثيقو ووثيقات الصلة بالقرآن الكريم، مجودون ومجودات.

وما كان ذلكم العطاء حبيس بيته، وما جعله خاصا بأولاده وأهله، ومن يلوذ بهم، أو ينزل مجلسه، لقد طلع على المجتمع القطري بخيري الدنيا والآخرة، فأنارت مراكز التحفيظ الدوحة، وجميع مدن وقرى الوطن الحبيب قطر، وجابت الحافلات المدن والقرى لنقل الدارسين والدارسات، فأحيا الله تعالى بالقرآن الكريم القلوب، وزاد الذين اهتدوا هدى، وآتاهم تقواهم.

والشيخ دؤوب لا يمل، مقدام لا يتراجع، يختار المحفظين والمحفظات، ويتابع هنا وهناك، ويعقد المسابقات والامتحانات، ويضاعف المكافآت للمحفظين والمحفظات، والدارسين والدارسات.

وكان حضورنا مجالس العلم، والاستماع لمطارحات الأفاضل الأعلام من علماء المسلمين عامة ضرورياً، وإلزاماً صار إلفاً لنا نحرص عليه، ونرغب فيه؛ وأَصَّلَ فينا هذا التوجه الكريم.

لقد كانت حياتنا معه ـ رحمه الله تعالى ـ دروسا متصلة، لقد جعل من لقاءاته داخل مجلسه وخارجه ندوات مثمرة، شهودها طلاب علم، والمتحدثون فيها ذو فضل.

ورغـم كثرة سفراته فإن نور العلم لم يترك منزله، فكان هو ـ رحمه الله تعالى ـ لنا ولمن يغشانا من أهلينا وغيرهم مدرسة، متنوعة العطاء، فريدة البنـاء، أولو العلم فيها متميـزون، وجلساؤهم طلاب طموحون، وما خص البنين دون البنات بتلك الرعاية، بل أعطى بناته ما يليق بهن من العناية، وركز فيهن روح المنافسة .

ولـم لا يكون الأمـر كذلك ـ رحمـه الله تعالى ـ وقـد كان في طليعة الدعاة إلى تعلم الفتاة؟

مجلـسه الـذي أصبح مـدرسة، ومركز إفتاء، وموطـن إصلاح ذات البين على أدنى المستويات وأعلاها، حتى كان رأب الصدع بين الزعماء الأفغان في حربهم مع الاتحاد السوفيتي داخل مجلسه، وبحضور صفوة مفكـري الإسلامي؛ فأعاد الله إليهم ألفتهم، وغادروا الدوحة على قلب رجل واحد.

وقـد شاء الله تعالى لـي في طفولتي المبكـرة ـ دون إخوتي جميعاً ـ أن أحظـى بصحبته إلى (جزيرة دارين) بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربيـة السعوديـة في مطلع حياتـه العملية، وأرى إقبـال الناس عليه، وحبهم له، وحرصهم على لقائه معلماً لأبنائهم، وإماما لهم، وخطيبا في جمعاتهم وأعيادهـم، ومتحدثا في مناسباتهم، ومقدَّمَا في مجالسهم، وتحركاتهـم، وواعظا ومرشداً، ومسؤولا عن عقود زواجهم، وساعيا في إصلاح ذات بينهم.

لقـد أحبهم وأحبوه، حتـى اعتبروه أحد عظماء هـذا البلد، ولازالوا

يذكرونه لأجيالهم، ويذكرونهم به، حتى أقاموا مسابقة قرآنية باسم خادم العلم ـ رحمه الله تعالى ـ وزعت جوائزها في يوم الأحد الثامن من رمضان ١٤٣٥هـ الموافق ٦ يوليو ٢٠١٤م بعد صلاة التراويح.

وكانت مسابقة كبيرة رائعة، شارك فيها العرب والعجم ـ رجالاً ونساءً شباباً وفتيات.

وقد كان نزوله (جزيرة دارين) قدراً كريماً من رب كريم، قد يثير عجب القارئ، ولكن لا عجب مع قدرة الله تعالى وإرادته، وبالغ حكمته. لقد نزل ـ رحمه الله تعالى ـ الدمام طلباً للعمل، وشاء الله جل شأنه أن يلقى الوجيه الفاضل الوالد (عبد الله بن محمد أبو عايشة) دون سابق معرفة، مما جعلنا نتساءل:

ما سر إقبال هذا الوجيه عليه، وتعلقه به، واصطحابه إلى (دارين) درة الخليج؟

بم تعلل التفاف الناس حوله، والثقة به، وتقديمه إماما وواعظا وخطيبا، ومفتيا ومعلما ومحفظا، ومستشارا وداعية إصلاح؟

حتى الصغار يبادرون إلى صلاة الفجر، ويتنافسون، من يحمل المصباح ويسير به بين يدي الشيخ.

ما الدافع للشباب أن يُلْقُوا بين يديه ما أثقل فكرهم وشق على نفوسهم؟

عجائب ييسرها الله تعالى له، ويجريها على يديه في أرض لم ينبت

فيهـا، ولم ينـشأ في رحابها، وليس بينه وبيـن أهلما من رحم، إلا رحم الإيمان، أكرم به رحما!

وإذا أمعنا النظر في الرحم الوصول رحم الإيمان، وجدنا صلته أوثق الـصلات وأطيبها، وأبقاها وأفعلهـا، وأعزها وأرفعها، لأنها إنما قامت لله تعالى وبالله.

تلك العلاقة التي جعلت (دارين) دار (خادم العلم) فازدهر نشاطه فيهـا، وأنشأ أول مدرسة نظاميـة بها عام ١٣٦٩هـ وأعمل فكره في بناء رجـال صاروا ركائـز نهضة، طعموا هـم وأهلوهم فـي الشيخ عبد الله الأنصاري أبوة تعجز الفصاحة عن بيانها

لقد اصطحب أبناءه الطلاب الذين أتموا الصف الخامس الابتدائي إلـى الهفوف ـ رغم قـرب الدمام ـ لمواصلة الـدراسة، وإتمام الصف الـسادس، ورضي الآبـاء إيمانا بحكمة الشيخ، وثقة بـه، والتقى بنفسه (مدير التعليم) وعاد بالموافقة، وقد شكر مسعاه الطلاب وأهلوهم.

إنها علاقة أب مرب معلم حريص دؤوب على نفع أبنائه، وهو موضع ثقة دائمة غير موقوتة

فهل يمكن أن يقال عنه: إنه كان معلما في (دارين)

لقـد كانت (داريـن) قاعدة ومنطلقا (لخادم العلـم) وإعدادا إلهيّاً ظهرت آثاره في نشاطه الذي لا يحد في قطر.

وإذا كان أهـل مكة أدرى بشعابها، فأهـل (دارين) الأكارم الأفاضل

أدرى، وأعـرف (بخادم العلم) رحمه الله تعالى، وأعلم بسماته، وأخبر بتوجهاته.

إن أعبـاء سيدي واستـاذي ومؤدبي الشيخ ـ رحمـه الله تعالى ـ إذا عـدت، وقيست لا ينهض بها رجل، بل رجال أولو عزم، يصنعون صنيعه فيجعلـون الفجر مفتتح اليوم، والحـاح النوم منتهاه، ومع ذلك يتحملها وحده، ويبلغ فيها، مما دعا كثيرا من عارفيه أن يقولوا: إن وراءه أسرارا يصعب على الحس قراءتها، أو تحديدها.

وأقـول: إن سلامة طوية سيدي وأستاذي ومعلمي، وحبه الخير وهباه بفـضل الله تعالى طاقات غير عاديـة، وجعلا منه ـ بتوفيق الله تعالى ـ نمطا بشريا فريدا وحبباه إلى الناس.

وأنـا لا أبالغ إذا قلت: إن سيـدي ومعلمي كان جهادا في كل ما يأتي ؛ في طلبه العلم بادئا بجامعته الأولى، والده سيدي الجد الشيخ إبراهيم الأنصاري، ومهاجرا إلى الأحساء وآخذا عن علمائها الأعلام الصفوة، ثم حاجا ومستأذنا أباه ـ رحمهما الله تعالى ـ في البقاء بمكة، فانتظم فـي المدرسة الصولتية، ولا زم علماء الحرم، فكان يتقلب بين علاَّمات عصرهم من شيوخ الحرم المكي ومدارس أم القرى الأعلام.

ثـم انطلاقـاً في العطـاء بادئـا ـ بفـضل الله تعالى ـ بخيـر الديار وأسناهـا، وأجلها وأعلاهـا، المملكة العربية السعوديـة، حتى إنه عند مطلـع النهضة في قطر لم يتح له العودة؛ ليـشارك، ويكون أحد دعائم النهـضة العلمية في وطنه الحبيب إلا باتصال شخصي بين حاكم قطر

ـ آنـذاك ـ الشيـخ/ علي بـن عبد الله آل ثاني بأخيه ولـي العهد الأمير سعـود بن عبـد العزيز آل سعـود ـ رحمهما الله تعالـى ـ ليسمح الثاني للشيخ عبد الله الأنصاري بالعودة إلى وطنه، وقد فاقت شهرته، وتألقت جهـوده في وطنـه الثاني المملكـة العربيـة السعودية، فـأذن له الملك سعـود بالعودة، فأحسن الوطن العزيز استقباله، وعلت مواهبه، وملأت الآفاق قدراته، وأصبح حديث أهل قطر والمقيمين بها، وأكبره حكامها الأماجـد، وقدموه، واعتزوا برأيه، وما وقفـت همته عند هذا الحد، بل طـارَ به طموحه، وعبرت بـه همته الآفاق، ليكون العالـم الإسلامي كله وطنه، وموضع نشاطه؛ فهو ـ بفضل الله تعالى ـ في كل البلاد العربية، وجميع البلاد الإسلامية، والمراكز الإسلامية على مستوى العالم.

رحمه الله تعالى وغفر له

**د/ محمد بن عبدالله بن إبراهيم الأنصاري**
**(أبو عمر)**

# أنا وأبي

شاء الله تعالى أن أكون أسبق تلاميذه، وأسبق أخواتي في صحبته، فأنا أول أولاده - بنين وبنات - مهدي في رعايته، ومتقلبي بحضوره إلا أن يكون مسافرا، ونصحي وترشيدي منه، أو من سيدي الجد الشيخ إبراهيم الأنصاري الذي شرفت بمجالسته، ونعمت بمحادثته، ورافقته في كثير من مساراته.

وفي طفولتي المبكرة اصطحبني والدي معه إلى (دارين)، وكان لي بها أم من خيرة الأمهات، تقدمني على أبنائها، فلا يطعمون إلا إذا حضرت، تطعمني بيدها، وتدفئني بحنانها، وتعنى بي أكثر من عنايتها بأولادها، إنها ( أم عبدالمحسن) زوجة الوجيه الكريم المفضال السيد ( عبدالله بن محمد أبو عايشة) الذي أدخلني في أولاده، وأنزلني خير منزل، ووالاني بعنايته، وكانت هي تأبى أن تراني كدرًا، أو قلقًا، أو فزعًا، وترفض كل الرفض ألا أكون نشيطًا مرحًا، تكسو الابتسامة وجهي، وتعبر ملامحي ونشاطي عن رضاي، فضل يعجز القلم عن بيانه، وأمومة لا تكون إلا من أم عرفت عظمة الأمومة، ووعت رسالتها، فبماذا أصفها؟

تخلع ثوبي، وتستبدل به آخر لغبرة فيه، وإن تكرر ذلك في اليوم مرات، وتحرص على أن أكون أطيب أترابي مظهرًا، وأبهاهم منظرًا، وأكثرهم انطلاقًا، تشغل بي في يقظتي، وترعى منامي، ولا تفارقني حتى تحس استرسالي في النوم، وقد تطمئن علي في الليل، وتشاركها

الرعايـة لـي، والإسراع بحاجتـي، والعناية بـي أم رؤوم ثانيـة في تلك الرحاب الطيبة، ترى من هي؟

إنهـا ابنتهـا الكبـرى ( أم عبدالقـادر) كبـرى بنـات الوالـدة ( أم عبدالمحسـن)، وكانت تلك الأم الثانيـة العظيمة لا تزال آنسة في بيت أبيها، رحمهم الله تعالى جميعًا.

أليست هذه نعمة سيقت إلي؟

قـد تشغل الأم عن ولدها الذي حملتـه، ووضعته، وأرضعته، وظَفِرْتُ أنـا بأُمَّين لا تغفلان ـ أبدًا ـ عنـي، ولا تنسيان ـ مطلقا حاجاتي، فضلا عمـا أتاحتا لي من دلال، فبـم يقابل ذلك النعيم الذي خصصت به في تلك الفترة ذات الأثر العظيم في حياتي؟

أمـا سبقي كتلميـذ له، فقد سايرتـه ـ رحمه الله تعالى ـ في ذهابه إلى المسجد أو عودته منه، وكثيرًا ما كان يُستوقف لسؤال أو استشارة، أجلسني مجالسه في المسجد وغيره، فلا تفوتني الفائدة وإن قَلَّت.

وبـدأ ـ رحمه الله تعالـى ـ تعليمـي وتربيتي مبكرا قبـل وصولي إلى سـن الالتحاق بالمدرسـة، وكان ذلك في (داريـن) درة الخليج، وحين أدركت سن الالتحاق بالمدرسة أثبت والدي ومعلمي قيدي في المدرسة النظاميـة التي أنشأها فـي (دارين)، وكان ـ رحمه الله تعالى ـ مديرها والمعلـم فيها، فأنست بصحبته، والتتلمذ علـى يديه في باكورة تعليمي النظامي، وكنت أصغر في العمر من زملائي السعوديين؛ حيث قد فاتهم التعليم المبكر لعدم وجود مدرسة نظامية في (دارين)، ومع ذلك كنت

موضع احترامهم، وعاشرته معلما يغار على تلاميذه، ويحتال لإفهامهم، يحفز فائقهم، ويرفق بالضعيف منهم، ويشجعه، ويعنى به؛ حتى يجعل له موقعًا كريما بين زملائه، وكانت نظراته إليَّ تحمل تطلعات الأب الحريص، والمعلم الجاد الذي يطلب أزكى الحصاد فيمن يربِّي.

وقد يشتد عليَّ، لكنها شدة الأب المعلم الذي يستعجل الزمن في تربية ولده، وحين عاد إلى ( قطر ) ، وافتتح بها أول معهد ديني التحقت بالمعهد للدراسة، وزاملني صفوةٌ، كانوا طليعة متميزة، وفرسانا بارعين، وقد أبَى الوالد المدير إلا أن يكون معلمًا، لست مبالغًا إذا قلت إنه دَرَّس جميع المواد المقررة، بل حول لقاءاته بالطلاب، إلى تربية متميزة؛ فملتقى الصباح ( الطابور) وما يماثله دروس عامرة بالنصائح والتوجيهات القيمة.

إن جانب التربية كان راجحًا فيه، وكان محببًا إلى معاشريه، وأنا من دونهم جميعا الطالبُ الابنُ، واختير لإدارة أكبر مدرسة في قطر (مدرسة صلاح الدين) والتحقت بها كطالبٍ من طلابها، وحالُ سيدي الوالد فيها كحالِهِ في كل موقع تربوي حظي به، مع زيادة أعبائه، وكثرة مسؤولياته، فقد أضيف إليه إدارة الشؤون الدينية و شؤون القرى، ومع ذلك كان معلماً وماذا تقول في قدرات مدير معلم؟

لقد كان ـــ رحمه الله تعالى ـ فكان خلاصة طموح ذاتي، وعطاء قطري إحسائي بحريني مكي، ونتاج تقلب بين علاَّمات ذلك العصر، في تلك البيئات العلمية الزاهرة الطيبة، وقد عطر مسيرته اعتصامٌ

بكتاب الله تعالى، وشغف بعلومه، ولغته، ويُحْكِمُ مسيرته ما مَنَّ الله تعالى به عليه من سمات المربي، تلك التي نحن أشدّ ما يكون احتياجًا إليها في أي عصر، ومع أي مجتمع.

وأنا ـ والحمد لله ـ أحد الذين يمتصون الرحيق المصفى في تلك المراحل، مضافًا إلى ذلك مدرسته الخاصة عند خلوته بي في البيت، وإن كانت قليلة لكثرة مشاغله، ولكنها كانت مثمرة أيما إثمار!

# الشيخ إبراهيم الأنصاري

في جوٍّ أسري عامر بالإيمان ، حافل بالتقوى، مؤثرٍ الدين، مقدِّم الآخرة، في بيئة استودع الله تعالى أهلها فطراً رَضِيَّة نقية، وعمر صدورهم بقلوب سوية نقية، في تلك البيئة الطيبة، وبين تلك العشيرة المطمئنة عاش زوجان أعراقهما إسلامية عربية مدنية أنصارية، وإن كانت نشأتهما فارسية، لم تشبهما لكنة، ولم تنحرف بنطقهما عجمة، منَّ الله تعالى عليهما بوليد سمياه (إبراهيم)، وكانت ولادته في اليوم السابع من رجب ١٢٩٨هـ الموافق عام ١٨٨١م في قرية عربية المناخ فارسية التربة، هي (جفر مسلم) إحدى قرى ساحل فارس الذي اشتهر أهله بعرب فارس، وكانوا أهل سنة، يغلب فيهم الفقه الشافعي.

ولكن من إبراهيم هذا؟

إنه (إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري).

ماذا يتوقع من أسرة هذا شأنها، وإلى ما عَرَفْتَ ينتهي نسبها؟

إن التوجه الصالح الذي سبق إليه الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو توظيف الخلف لخدمة العقيدة، وحمل رسالة الإيمان بعد تربيتهم على منهج الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولنقف مع ضراعة سيدنا زكريا ـ عليه السلام ـ ورفعه الدعاء الطيب إلى رب طيب، لا يقبل إلا طيبا، لقد حكى القرآن الكريم عنه:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[1]

وفي سورة مريم يحكي القرآن الكريم عنه:

﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[2]

وهل يطيب العقب، ويرضى عن الله تعالى، ويرضى الله عنه إلا بقلب سليم، ودين قويم؟

ثم أي وراثة تلك؟

أليس شأن الرسل جميعا كما قال (ﷺ)، فيما رواه عنه الصديق أبو بكر رضي الله عنه:

« إنا معشر الأنبياء لا نُورَثُ ما تركنا صدقةٌ»[3]؟

إنه ميراث العقيدة التي يدعو إليها، ويعتصم بها من وفقوا إلى حمل رسالتها، وإبلاغ شرعتها، والجهاد في خدمتها.

وعلى هذا النهج السوي سار الصالحون، وقد حكى القرآن الكريم عن عباد الرحمن:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4]

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣٨)

(٢) سورة مريم الآيتان (٥، ٦)

(٣) متفق عليه

(٤) سورة الفرقان الآية (٧٤)

وهل تكون قرة العين إلا في خلف صالح موفق؟

والوليد الذي نحن بصدده ينتهي نسب آبائه إلى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (رضي الله عنهما)، فالمولود الذي نحن بصدده أنصاري خزرجي.

فماذا خبأ القدر له في صدر والديه الكريمين، خاصة أن سكان هذا الساحل يعيشون حياة شركائهم في بلاد الخليج، فموارد الرزق محدودة، ولقمة العيش تحتاج إلى عناء، واجتماع جهود للظفر بها، وهذا يؤكد ضرورة توظيف أعضاء الأسرة في أداء عمل يحقق دخلا، ويوفر كفاية للأسرة؟

غير أنَّ والدي إبراهيم لم يتجها به هذا الاتجاه، لقد وهباه للقرآن الكريم، لعله يكون امتداداً طيباً لهما، وعملاً صالحاً يضاعف حسناتهما، فأسلماه، وهو في الخامسة أو يزيد قليلاً إلى محفظ للقرآن الكريم، وألف الصبي ذلك، وتدرج في الحفظ حتى بلغ التاسعة، فتوفي والده رحمهم الله جميعاً، فماذا يتوقع من الأم؟

إن لها الحق أن توقف الفتى عند هذا الحد، وتلزمه المشاركة في السعي لكفاية تلك الأسرة التي فقدت عائلها، ولكن الدم واحد، وتوجه الأسرة ثابت في يد أمينة لم تفرط فيما أخذ شقها الراحل (أبو إبراهيم) نفسه وأسرته من ميثاق، ووفاء بالعهد، لقد أبقت مسار ولدها على ما هو عليه، وكانت المفاجأة.

أي مفاجأة؟

## فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

ابـن التاسعـة لحظ في محفظـه لكنة تحرمـه إتقان بعـض مخارج الحـروف، فتاقت نفسه إلى محفِّظ أجود، وذلك الطموح الذي طار إليه بذكائـه يصعـب تحقيقه في (جفـر مسلم)، فنقـب، وسأل، واستشار، فَدُلَّ على قرية (جناح) فإن بها رجالاً أعلوا شهرتها ببراعتهم القرآنية والعربيـة، فاستأذن والدته، فأذنت له رغم حنوها عليه، وتعلقها به، مع صغر سنه، وحاجته المـاسة إلى رعايتها، وبعد المسافة بين القريتين؛ ممـا سيؤدي إلـى إقامته بعيداً عنهـا، فضلاً عن عاطفـة الأمومة التي يؤرقهـا اغترابُ عزيز عليها، غير أن وفاءها لأبي إبراهيم، ورغبتها في سبق ولدها وتميزه يحتمان عليها الموافقة.

ارتحـل الفتى يؤنسه حبه لكتـاب الله تعالى، ثم دعاء أمه له، وهذان يكفيـان لبلـوغ رضا الله تعالـى عن عبـده، وتوفيقه له، وتيسيـره أمره، وإبلاغه مقصده.

لقـد نزل (جناح)، فوجد ما حُـدِّثَ به، فواصل مسيرتـه مع القرآن الكريـم، وقربـه حسن خلقـه من شيخ مـسن، يدعى (مُـلاَّ حسن عبد الله) فأحبه الشيخ، وأنس به، ولمس فيه طموحاً، فعرضَ عليه أن يعلمه القـراءة والكتابة باللغة العربية على طريقة (أبجد) فَسُرَّ الفتى، وأبدى استعدادا، وتألَّقَ ذكاؤه، وجدَّ الشيخ في تعليمه، تارة على الورق، وأخرى على الخشب، فإذا لم يتيسَّرَا خط على الأرض، وصحح له أستاذه.

ختـم الفتى القـرآن الكريم، وبرع فـي تَعَلُّمِ القـراءة والكتابة باللغة

العربيـة، وعـاد إلى (جفـر مسلم) وأتـم الله تعالى عليه، فبـدأ حياته العمليـة، حيث جلس وهو فـي الحادية عشرة من عمـره يحفظ القرآن الكريـم، ويعلم اللغة العربيـة، لكن طموحه كان أكبـر، وتطلعاته كانت أعظم، فأبحر إلى (دبي) ومنها إلى (قطر)، ونزل (الذخيرة) فاختاروه إماماً لهم، ومؤدباً أولادهم، ومعلما صغارهم وكبارهم، وهو في الرابعة عـشرة من عمره، فالتفَّ الناس حولـه، وأحبوه، وأحبهم، وزوجوه منهم ـ بعـد ثلاث سنوات من إقامته فيهم ـ كريمـة منهم، وأعانوه، وأنجب، وكان هذا زواجه الأول، وعمره ـ إذ ذاك ـ سبعة عشر عاماً.

وقد دفعه الطموح الذي فُطِرَ عليه والبر الذي امتلأ به قلبه برًّا بأمه، وصلـة لرحمه، ووفاء لعشيرته، للعودة إلـى بلاد فارس، وقد خرج منها منذ ثمانية عشر عاماً قضاها في الخور.

ولكن أي طموح؟

إنـه ـ رحمـه الله تعالى ـ مع ما آتاه الله مـن بسطة في العلم لا يزال يطلب المزيد التزاماً بقوله تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1]

ففي بـلاد فارس عالم مـلأت شهرته الآفاق، وقـصده طلاب العلم من جميع مدن وقرى فـارس، وبلاد الخليج، وذاع صيته بلقب (سلطان العلماء).

(١) سورة طه الآية (١١٤)

لقد خرج الشيخ إبراهيم من (الخور) عام ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م، ومقصده الأول طلب العلم، فركب إلى (دبي)، ومنها إلى (لنجة)، وفيها مقام علامة عصره، وطيب زمانه (سلطان العلماء) فلازمه شهراً، ثم استأذنه في السفر إلى (جفر مسلم) لزيارة والدته، وصلة رحمه، فأذن له.

لم يمكث الشيخ إبراهيم في زيارته لأهله وعشيرته غير عشرة أيام، وعاد إلى شيخه وأستاذه، فلازمه ما يقارب عامين،و (سلطان العلماء) معجب به، مقدم له، ودعا زملاءه، ومشاركيه في طلب العلم إلى الرجوع إليه فيما استعصى عليهم، وأطلق عليه (ملا الأنصاري) وقد تزوج ـ بعد عام ونصف تقريباً ـ أم عبد الله، وأنجبت له من أراد الله تعالى أن يكون (خادم العلم)، وقد أجازه (سلطان العلماء)، وقرَّ الشيخ إبراهيم في (جفر مسلم) محفظاً وداعياً ومُحَكَّماً فيما يُدْعى للبتِّ فيه، أو يحال إليه من (سلطان العلماء)، أو من (الخان) نفسه.

وقد تميز الشيخ إبراهيم بقوة عزيمته، وعلو همته، وصدق إرادته، لا يخضع إذا نوزع في حقٍّ، أو أريد منه موالاة باطل؛ لقد حُكِّمَ فقضى بالحق، وسُوِّمَ؛ ليعدلَ، فأبَى، وأوذيَ فما وَهَنَ، بل ازداد ثباتا.

إن ميزان البشر لم يُسَوِّ بين الخصمين؛ فصاحب الدعوى فقير من عامة الناس، والمدَّعَى عليه حاكم القرية، والعدل يُقِرُّ حقَّ الضعيف فيما ادَّعى، والله تعالى يقول:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[1]

والتعبير القرآني جعل الخصوم سواء طارحاً كل معايير البشر، من جاه أو سلطان، أو مال، أو قوة، أو غير ذلك مادام الخصمان بين يدي القضاء، ولمَّا يُعْلَمْ صاحبُ الحق، ألم يقل الله تعالى: «بين الناس»؟

وبنو آدم ـ وإن اختلفت أقدارهم بما لديهم من نعم الله تعالى ـ هم الناس، وإلاَّ فماذا يكونون؟

إن الحقَّ مع الضعيف القليل ـ فيما يرى قصار النظر ـ والمدعَى عليه جائر، وإن كان مكلفا بإقامة العدل بين من ولي أمرهم، فمن يبصره؟

لقد فَرَّ المحكمان المصاحبان للشيخ إبراهيم، ورفضا الجهر بالحكم ـ رغم يقينهما بأن الحق مع المدعي؛ وما دفعهما إلى ذلك إلا خوف الوقوع تحت سطوة ذي سلطان جائر، وهنا نتساءلُ: أيسلك الشيخ إبراهيم مسلكهما، أم أن دينه سيعصمه؟

لقد كتب الحكم بيده، ووقع عليه، وأسلمه للمدعي ليرفعه إلى المدعَى عليه، ولسان حاله يقول:

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

ولكن بئس الْحَكَمُ!

ولم يكد المدعى عليه يقرأ الحكم ـ وهو به أعلم ـ حتى اشتاط غضباً، واستدعى الشيخ، وحاوره في غلظة، وحاول قهره، ولكنه وجد

(١) سورة النساء الآية (٥٨)

نفسه أمام عزم لا يرد، وهمة لا تفرط، ولا ترضى التفريط في جنب الله تعالى.

أودع الشيخ السجن، وضيق عليه، وتناوبه سدنة الطغيان، وتفننوا في الخداع ولكن، أيجديهم ذلك مع رجل فَقَّهَهُ الله، فَوُفِّق وأذعن، والتزم؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾[1]

وشاعَ أمر القاضي المتهم، وأسِفَ الناس لما نزل به، ولكن: ماذا يملكون له؟

وبلغ الخان (الحاكم العثماني العام آنذاك) ما نزل بالمحكم العادل، فأرسل رجاله، وأخْلَى الظلوم سبيل الشيخ؛ جبنا وذلاً؛ حتى لا يقع تحت طائلة الخان، وانفلق الحدث عن صدق لاريب فيه، وعدل لا يُكَدِّرُهُ هوًى، ونفس مؤمنة لا تخشى في الله لومة لائم، وبلغ هذا الخان، فازداد إعجاباً وتقديراً لنادرة المحكمين.

أيقر الشيخ في هذا البلد؟

إن دينه أبَى عليه ذلك، وأزمع الرحيل إلى (الخور)، وترجَّاه مبعوثو (الخان)، وأبلغوه إلحاح (الخان) عليه بالبقاء، ولكن كيف يرضى الإقامة في بلد لا يقدس فيها الحق، ولا ينال الضعيف حقه من القوي المغرور غير متعتع؟

وكان في عودته إلى (الخور) مفاجأة، لقد اصطحب معه فتى ذلك

(١) سورة النحل الآية (٩٠)

الحيـن الذي عاش المأساة، وقـد سبق ذكاؤه عمره، ووعى الدرس، وإن كان لم يبلغ العاشرة من عمره.

لقد رافقه في العودة من ينتظره مستقبل قطر، بل والمسلمين؛ ليخلعَ عليه لقب (خادم العلم).

إنـه ولـده (عبـد الله بـن إبراهيـم الأنـصاري)، وهو فـي التاسعة من عمره.

استقبلـت (الخور) ابنهـا الوفي، وحفيدها الذي خبـأت له الأقدار، ما تقربـه عيـن من تناله جهـود ذلك الفتـى، داخل قطر، وفـي العالم الإسلامي كله.

لقد ولـي الشيخ إبراهيم قضاء (الخور) ومـا يتبعها من مدن وقرى حسبـة[1]، ومع القضاء الإفتـاء، وإصلاح ذات البين، واستشارتهم إياه فـي أمورهم الخاصة والعامة، وصار بيتـه مثابة لأهل الخور، والنازلين بها، والمسافرين منها، لايكاد يخلو من زائر أو زُوَّار.

وكانت له صلاته الوثيقة بعلماء الخليج عامة، وعلماء الأحساء ومكة خـاصة، وامتدت هـذه الصلات إلى الساحـل الجنوبي في حضر موت، عُمان واليمن، ثم إلى علماء مصر، وغيرهم.

وكثيـراً ما كانت تأتيه معضلات الفتاوى والقضايا، فيجمع أطرافها، ويعـي موقـف الإسلام منهـا، ولايبرم رأيـا إلا بعد الرجـوع إلى أمهات

(١) دون أي مقابل مادي.

الكتب، والتأكد من عدالة ما أزمع التصريح به، وموافقته التامة لشرع الله تعالى.

وهو ـ رحمه الله تعالى ـ أول من أصدر تقويماً قطريًّا، خطه بيده، ونقله عنه ولده الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وخطه أيضا بيده.

حتى دخلت المطابع قطر، وأقام (بالخور) مدرسته التي عرفت باسمه قبل أن يكون التعليم النظامي في قطر، وأقام جامع الخور.

وما وصلنا من تراثه العامر بالفتوى، والفصل في القضايا، وكثير من معطياته سوى بعض الأراجيز في علم الفلك، وأرجوزة في ترتيب سور القرآن، وأخرى في الأخلاق، وسفر رائع جليل طبعه (خادم العلم) ـ رحمهما الله تعالى ـ تحت عنوان:

(إرشاد الجيران في معرفة آي القرآن)

غفر الله تعالى له، وأنزله منازل الصديقين والشهداء.

# خادم العلم

# مولده ونسبه

ولد (خادم العلم) الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٦م، وكان مولده ـ رحمه الله تعالى ـ في (جفر مسلم) من قرى بلاد فارس جنوبي إيران من أبوين كريمين مولدهما ونشأتهما بلاد فارس، وجذورهما تمتد بعراقتها؛ لتصل إلى أصول عربية صنعت في الإسلام ما لم تُسْبَقْ إليه، ورأى رسول الله (ﷺ) من هؤلاء ما لم يَرَ من أهل مكة أهله وعشيرته، وقد خصهم الله تعالى بمآثر حميدة شرفوا بها، وتألقت فيهم، واعتز بها تاريخهم، ألم يقل الله تعالى فيهم:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

أليس هؤلاء هم الأنصار الذين آووا و نصروا؟

أليسوا هم الذين آمنوا برسول الله (ﷺ) قبل أن يروه، ودعوا إلى تصديقه قبل أن يسمعوا عنه؟

ولكن من أي الفروع؟

لقد كفانا (خادم العلم) مشقة البحث عن نسبه الطيب المبارك،

(١) سورة الحشر الآية (٩)

حيـن سأله الأستاذ (أحمد حماني) عن نسبه في الأنصار، وهل يعرف جدَّهُ منهم؟[1]

فقال: أجل، هو سعد بن عبادة.

وسعـد بن عبـادة أحـد السعديـن ـ رضي الله عنهمـا ـ وهما سيدا الأنصار بلا منازع:

سعـد بن معاذ، وهـو سيد الأوس، الذي حكم فـي بني قريظة بحكم الله، والذي اهتز عرش الرحمن لوفاته.

وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وهو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بـن أبي خزيمـة بن ثعلبة بن ظريف بـن الخزرج بن ساعـدة بن كعب، ويكنـى (أبا ثابت)، وهـو أحد النقباء الاثني عـشر الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) بيعة العقبة الأولـى، وكلاهما شريف في الجاهلية، عظيم في الإسلام، وهما في الأنصار كأبي بكر وعمر في المهاجرين.

وفـرع (الأنصاري) الذي نحن بـصدده من ذرية (قيس بن سعد بن عبادة)، وقد حاز ـ رضي الله عنه ـ شرفاً وسبقاً وجوداً وكرماً ورئاسة شأنـه شأن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ وكان يقوم لدى رسول الله (ﷺ) مقام صاحب شرطته، ثم كان كذلك في خدمة الخلفاء الراشدين.

ومـاذا يتوقع لرجـل تعمقت أصولـه، وامتدت، لتـشرف بخير أصل، وتحظى بخيرة الآباء، وصفوة السابقين الأولين.

---

(١) كان وزير الشؤون الدينية في الجزائر آنذاك، وعضو رابطة العالم الإسلامي، وقد نشر المقال في جريدة الشعب الجزائرية بتاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٣م وجريدة الشرق القطرية في عددها رقم (٦٢٩) ١٩٨٩/١١/١١م أي بعد وفاة الشيخ بأقل من شهر.

لقد أشرب الله تعالى قلوبهم حبه، وحب رسوله (ﷺ)، وغمروا إخوانهم المهاجرين بفيض كريم من الحب الخالص، الطيب المبارك، المبرأ من الأهواء، المنزه عن الأغراض الدنية، حتى قال الحق تبارك وتعالى فيهم:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾

يحبونهم حبّاً لم يسبقوا إليه، ولم يُرَ بعدهم في غيرهم، فهم أولو النفوس السخية، والأكف الطيبة الندية، والقلوب السليمة الرضية، أعلى الله قدرهم، ورفع في الأولين والآخرين شأنهم، فقال جل شأنه:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

ثم يتوج الله ـ جل جلاله ـ ذلكم الشرف بشهادة منه ـ جل شأنه ـ وهم لها أهل رضي الله عنهم، وبها أحق، فيقول عز وجل:

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

وإذا طاب البشر، وطابت البيئة، وزكا المنزل، عزَّ الأكل.

انظر مليا، وأتح الريَّ لنفسك، والرقي لروحك، وأنت تتلو ذلك القول الكريم من ربٍّ كريم:

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]

أليسوا هم أهل طيبة، المدينة المنورة، مدينة رسول الله (ﷺ)، دار الهجرة، منزل الهدى، ومرسى رسول الله (ﷺ)، والسابقين الأولين من المهاجرين بعد أن آذاهم الشرك، وكاد لهم المشركون، وأُخرِجُوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله؟

ألم يطهرها الله تعالى تطهيرا، ويعصمها من الخبث، ويعليها بالإيمان فكانت زهرة المدائن عدلاً وإحساناً، وإيماناً وإذعانا؟

ألم يقل فيها الصادق المصدوق (ﷺ):

«إن الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كما تأرزُ الحيةُ إلى جحرِهَا»[2]؟

إنها بحق مدينة أعز وأكرم وأرفع خلق الله على الإطلاق سيدنا محمد (ﷺ)، آوته حيًّا فوقرته، ونصرته، ولحق بالرفيق الأعلى فيها، فشرفت به (ﷺ) حيًّا وميتاً.

مدينةُ أحمدٍ عزَّتْ مقامَا ... على دار الهدى نُزجِي سلامَا

وأي بشارة تلك التي أفاء الله تعالى بها على طيبة، وأهلها، وأجراها على لسان الصادق المصدوق مهداة إلى الذين آووا ونصروا في أعز ساعات الإسلام، يوم أعز الله تعالى مسك ختام النبوة وجنده، وفتح القوي العزيز عليهم مكة، وأسبغ على المؤمنين نعمه، ومكَّن لنبيه (ﷺ)، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فظن الأكارم الأنصار

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٧)

(٢) رواه البخاري.

أن الرسول (ﷺ) لن يعود إلى داره طيبة، وأنه سيؤثر بمقامه مكة، فطمأنهم الرؤوف الرحيم (ﷺ) بقوله:

«المحيا محياكم والممات مماتكم»[1]

أي بلد حظي بمثل هذا؟

وأي قوم خُصُّوا بمثل ما خصّ الله تعالى به أهل دار الرسول (ﷺ)؟

ولم تكن هجرة المسلمين من الجزيرة العربية ـ فيما أرى، ولست مؤرخا ـ لأسباب سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك مما يرى أكثر المؤرخين، بل كانت تشريفا لبقاع الأرض كلها، ونشراً لنور الإسلام في فجاجها، فتناثر أحفاد المهاجرين والأنصار في أرض الله تعالى كلها، فكانوا غيثا أحيا الله ـ جل شأنه ـ به النفوس، وأعاد الهدى إلى القلوب، وذكرهم بالله تعالى، ورسوله (ﷺ).

فإذا كان (خادم العلم) حفيد هؤلاء، وقبساً من قبسات ذلك النور؛ فليس بعجيب أن ترى قطر، والعالم الإسلامي منه تلك التقلبات الطيبة المباركة، فقطرات دمه من أزكى الدماء، ونسيج جسمه من هاتيك الخلايا الناضرة، وسبحات فكره من تلك الرؤى الكريمة؛ فلا مكان لعجب.

---

(١) رواه مسلم

# نشأته

النبات تغذوه التربة، والشجر يستمد عناصر بقائه ونموه من الجذور، وكلاهما في أشد الحاجة إلى المناخ الذي يكتنفه، فإذا طاب ذلك كله طاب الثمر، وعظم الحصاد، وحال البشر مثل ذلك أو أشد غير أن الفطرة تسبق، فإذا اكتنفت صاحبها بيئة طيبة، وقلوب مطمئنة بالإيمان، ونفوس فطرت على الإحسان، وكان ذلكم المربَّى ممن سبقت لهم الهدى، وكان قدره من الرحمن الرضا كان هذا المربَّى خيراً كله، وقد ضربَ الله تعالى لنا أمثلة في كتابه العزيز:

«لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ»[1]

ألم يقل الله تعالى عن مريم عليها السلام:

«فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا»[2]؟

وها هم عباد الرحمن يعطرون أجواءهم النيرة بتلك الدعوات المباركة الطيبة، فيقول ربنا جلَ وعَلاَ:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3]

وهل تقرُّ العين إلا بنسل صالح مبارك، وأثر طيب موفق؟

هل تقر العين إلا بثمرة فؤاد، يؤثر الطاعة، ويرجو رحمة ربه؟

---

(١) سورة ق الآية (٣٧)

(٢) سورة آل عمران الآية (٣٧)

(٣) سورة الفرقان الآية (٧٤)

هـل تقر العين بغير ذلكـم الرجاء الكريم من أبـي الأنبياء إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[1]

و(خادم العلم) ـ رحمه الله تعالى ـ نشأ نشأة صالحة، شبَّ في كنف والـد عالم ورع تقي، وقاضٍ صدوق أبي، يقدس الحقَّ، ويلتزمه، ويقضي بـه، وهـو مُعْتَصَمُه، يؤثر رضا الله ويرتجيه، غيـر مبالٍ بما قد يتعرض له، أو مهتمٍّ بمن يكون له الحكم أو عليه، وقد عاش الفتى الابتلاء الذي نزل بوالده من أوله إلى منتهاه، ورآه رأي العين، وهو يُري المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري قول رسول الله (ﷺ) واقعاً ملموساً، تشهده الأعين، وتطمئن به القلوب، ويباركه المؤمنون، ولكن أي قولٍ هذا؟

«وايمُ اللهِ لو أنَّ فاطمة بنتَ محمدٍ سرقَتْ لقطعَ محمدٌ يدها»

واجتنب في حكمه هذا المنزلق:

«إنما أهلكَ من كانَ قبلَكُمْ أنهم كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ»[2]

فالحاكم هو المدان، فماذا يكون موقفه؟ أيقضِي له؟

وماذا يقول لربه إذا أوقف بين يديه؟

بم يجيب إذا قيل له: لم جانبت العدل، وهو شرع الله، وآثرت الظلم، وقد نهى الله عنه؟

---

(١) سورة إبراهيم الآية (٤٠)

(٢) رواه مسلم

إنـه ـ غفـر الله لـه ـ يوقن تمام اليقيـن أن الهـوى إذا حكم اختلت الموازيـن، وشاعت الفوضى، وديست القيـم الفاضلة، فكيف يحيد عن الحق؟

ألم يعلن الصديق أبو بكر خليفة رسول الله (ﷺ) في أول خطبة له دستور الحق الذي هو شرع الله تعالى، فقال:

« القـويُّ فيكـم ضعيفٌ عندِي حتى آخُذَ الحقَّ منـه، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتى آخُذَ الحقَّ له إن شاء الله»[1]

وقد صَغُرَ بحكم الشيخ إبراهيم القوي الجائر، وإن كان حاكما، وكَبُرَ الضعيف، وأعزه الله تعالى، وإن كان من عامة الناسِ ودهمائهم.

لقـد عاش،وشهد عظمة الحق الأعـزل، وهو يقف شامخاً أمام باطل مغرور متعنت، فعلا الحق، وأُرْغِمَ الباطل.

لـو لم يشهد (خادم العلم) في نشأته غير هذا الموقف لكفاه ليكون (خادم العلم) بَعْدُ .

ولكن أباه الشيخ إبراهيم أجلسه بين يديه مجلس المربَّي، وأعاشه في رحاب القرآن الكريم، وحلق به في آفاق العلم، وكأنه بتقدير الله تعالى أدخله مداخل الرجال، فغرس فيه مروءة، وأقَرَّ فيه جرأة، وعَّرفَهُ مواطن الحزم، وكيف يكون، وركز فيـه التواضعَ في غير ضعف، والتسامح، مع وفرة العـزِّ، وأراه الجود، بل الإيثار، وأثره فـي ترابط المجتمع، وتوقير

(١) ابن هشام (سيرة النبي ﷺ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد لبنان (دار الفكر) عام (بدون) ط (بدون) م (٤) ص (٣٤١)

الناس لمن التزمه، وعوده مجالسة الكبار، وحسن محادثتهم، والإصغاء إلى ما يقولون، وتوقيرهم.

لقد آنس الشيخ إبراهيم في ولده عبد الله ـ رحمهما الله تعالى ـ سمات ميزته، ورأى فيه رجولة مبكرة، وذكاءً يسبق عمره، وامتداد أفق يصقل رأيه، ويدعم وجهة نظره، واصطحبه في حله وترحاله، في مجالسه وجولاته، ولا أدل على ذلك من أن الشيخ إبراهيم حين أزمع الرحيل إلى شبه الجزيرة العربية اصطحب معه ابنه عبد الله، وكانت تلك الصحبة أعظم عطاء من الأب لولده في نشأته.

ويحدثنا (خادم العلم) وهو في التاسعة من عمره في صحبة والده، وقد نزلا (دبي) ثم (البحرين) في عودة الشيخ إبراهيم إلى قطر، يقول (خادم العلم):

في اليوم الثاني ونحن في (البحرين) إبان حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ـ رحمه الله ـ وقد علم والدي أنه يجلس في المحكمة، بجوار سوق الخميس يستقبل الناس، فذهب إليه، وكنت معه، وسَلَّمَ عليه، وسلَّمْتُ أنا عليه، وسأل الوالد بعد أن قبلني:

هل هذا ابنك؟

فأجابه الوالد ـ رحمه الله ـ: نعم

فدعا لي ـ رحمه الله ـ بالبركة.

## فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

وأذكر فيما أذكر أن الشيخ عيسى ـ رحمه الله ـ كان قصير القامة، كثَّ اللحية، أبيض اللون مشرباً بحمرة، عليه وقار، يحمل العصا، ويلبس البرقاء، والشطفة وغترة الشال[1]

إن الشيخ إبراهيم لم يترك ولده عبد الله ـ رحمهما الله تعالى ـ خارج المجلس، مع أنه سيلقى حاكماً، وقد أحاطه كبراء آل خليفة، ووجهاء البحرين وغيرهم، وكأن القدر يُعِدُّ الفتى لما خُلِقَ له، ويُلْهِمُ والده إدخاله هذه المداخل، ليعتادها، وإجلاسه بين الكبار، ليألف ذلك.

والفتى فَطِنٌ ذكي يحصي صفات الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، ويصفه بعد عقود طويلة، ويحصي سماته وملامحه، وكأنه يراه، بل وصف ابنه (حمد) وصفاً دقيقاً؛ مما يجعل هذا اللقاء موقفا، له أهميته في التعرف على سمات (خادم العلم).

ويرينا الله تعالى حسن تصرف الفتى، وقد افترق عن والده لشدة الزحام في سوق (البحرين)، تُرَى ماذا يفعل حتى يلقى والده؟

لقد هداه الله إلى تصرف قد يغيب عن الكبار.

إن الوالد الشيخ إبراهيم، وولده عبد الله لابد أن يعودَا إلى السفينة؛ حيث إن المقصد (الخور)، فعاد الفتى إلى السفينة، وإليها عاد والده، فالتقيا.

إن دور الوالدين في النشأة كبير؛ فهما أول معلمين، وأسبق وألصق مربيين، وأثر الوالد في ابنه أكبر وأعظم؛ حيث يعده لأن يكون رجلاً، ومن

---

(١) الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري (إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن) تحقيق (خادم العلم) الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري قطر (الدوحة) مطابع قطر الوطنية ط (بدون) عام (بدون).

هنـا ندرك بعض جوانب شخصيـة الأب المربي الشيخ إبراهيم، ويتجلى ذلك في أمور اتضح لنا منها الكثير في تربيته لولده (خادم العلم).

ويبـدو واضحـا وحدة المـشرب في هـذه الأسرة، وأصالـة الجانب التربـوي فيها حين يلتقي فكر الأحفاد مع فكر الآباء والجدود؛ فالحفيد الأكبر للشيخ إبراهيم، الدُّكتور محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (أبو عمر) يقول في ديوانه، (إلى ولدي) في أرجوزة التربية[1]:

من حينِه عَلِّمْهُ كيف يسمعُ ... لغيرِه إن قالَ ما قَدْ يَنْفَعُ

وَأْمُرْهُ بالجلوسِ في المجالس ... مَعْ كلِّ مَدْعُوٍّ وكُلِّ جالسِ

يسمعُ للحديثِ كيفَ يُطْرَحُ ... والرأيِ والتعليلِ كيفَ يُشْرَحُ

لعَلَّهُ أن يستفيدَ ها هُنَا ... بعضَ الذي أضاعَهُ أبناؤُنَا

من حسنِ الاستماعِ للكلامِ ... مستحضراً للبالِ باحترامِ

يعلمُ كيفَ يبدأُ المحادثَهْ ... من غيرِ قطعٍ للذي قَدْ حادَثَهْ

ويستفيدُ مِنْ حضورِ المجلسِ ... بمثلِ ما استفادَ مِنْ مُدَرِّسِ

فالمجلسُ العامرُ بالأفاضلِ ... مدرسةٌ لكل طبعٍ فاضلِ

وهكـذا يلتقي الجد والابن والحفيـد في ميدان التربية عطاء وسلوكاً ودعوة[2].

---

(١) د. محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر) (إلى ولدي) قطر (الدوحة) مطابع الدوحة الحديثة ط(٤) عام (بدون) ص (١٩٤، ١٩٥).

(٢) تعليق الأستاذ السيد حسن الوكيل (المستشار بمجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه) عند المراجعة.

# جامعته الأولى

عايشنا الجد الشيخ إبراهيم الأنصاري، وعرفنا أنه تصدَّى للتدريس وهو في الحادية عشرةَ من عمره في بلاد فارس، محفظا للقرآن الكريم، ومعلماً التجويد، وداعياً إلى سلامة المخارج، ومؤكداً ضرورة نقائها من لكنة العجم، وموضحاً بعض ما يستعصي فهمه، ومدرِّساً اللغة العربية كتابة وقراءة وغير ذلك مما مَنَّ الله تعالى به عليه في زورته (لجناح) وعيشه فيها متقلبا بين حلقات القرآن الكريم، وتلك التي تدرَّس فيها علوم القرآن الكريم، وغيرها من فنون العربية.

وما أخذه عن شيخه (مُلاَّ حسن عبد الله) معلم اللغة العربية.

والمعلم قَدَرُهُ في طلابه مختلف، فقد يكون فيهم النابغة، ومعه متوسطو الذكاء المتدرجون في مستوى التحصيل، وما حرمت جماعة لطلب العلم، من محدودي الذكاء، وعصي الفهم، وهم في الترقي مع الأجاود، في أشدِّ الحاجة إلى التروي وسعة الصدر، واختيار أنسب الطرائق للوصول بهم إلى مستوى معين، يتناسب مع من تدنَّى فهمه، واضمحل ذكاؤه، شأن المعلم في ذلك شأن الطبيب إذا سلم تشخيصه عالج واضعاً في اعتباره التناسب بين حالة المريض وعلاجه، وقد استحوذت التربية على الشيخ إبراهيم الأنصاري رغم مشاغله التي تنوعت، وأعبائه التي كثرت، فقد افتتح حياته في الذخيرة إماماً، ومعلماً الصغار والكبار، وملبيا ما يستدعيه عمله كإمام مسجد، وكثر عطاؤه، وتنوع في الخور، وعظمت جهوده، وظلت التربية في طليعة

عملـه، فإذا كان الله تعالى قد مَنَّ عليه بـ (عبد الله) بعد فوزه بإجازة (سلطـان العلماء) له، وتحميله مسؤولية الفتـوى، وقد صار مُحَكَّماً في الخـور وما وليها من قرى الشمال، أتراه قـادراً على التفرغ لولده (عبد الله) والصبر عليه، وإعطائه ما تيسر مما أفاء الله تعالى عليه من علم وفقهٍ في الدين؟

إن كثيراً من المعلمين يعانون من فقدان القدرة على تعليم أولادهم، فـي الوقت الـذي برعوا فيه فـي تعليم غيرهم، ربمـا لأن عاطفة الأبوة تغلب، فتأخذ المعلم الأب الغيرة الجارفة إذا لم يجد ولده فائقا منافسا، أو حتى على مستوى يسعد الأب المعلم، ويعلي أمله في ولده.

وقد تكون نظرة الابن التلميذ استمسكت بصلة الأبوة، واستعصى على الابـن أن يتقبل والده كمعلـم، فبم تحدثنا حال (خادم العلم) مع والده (الشيخ إبراهيم الأنصاري) وقد استقصينا كثيراً من سماتهما؟

إن حكمـة الشيـخ إبراهيـم، وخبرتـه في تلقـي العلـم، وبراعته في التربيـة جعلته خير معلم لولـده، ثم إن ذكاء ولده، وشغفه بالعلم، وحبه لوالـده، وعظم ارتباطه به، صنعت منه أنجب تلميذ لأقدر وأميز وأقرب وأحب معلم.

لقد لمس الوالد في ولده نبوغاً مبكراً، وأحس فيه ذاكرة واعية، وقلباً مطمئنـاً، وعقلا طموحاً، ونفساً ولوعاً بالعلـم، شغوفاً بالقرآن الكريم، ينـصت فلا يغيب منه حرف، ويصغـي، فلا يفلت منه مخرج، ويحفظ، فتستمـسك ذاكرتـه بما حفـظ، ويتطلع إلـى المزيد، فَتَلَقَّـى عن والده

الكتاب العزيز، وقد بدأ به وهو في الخامسة من عمره، فشرحَ الله تعالى صدر الصبي، وأنار بصيرته، وبارك مداركه، وجعل القرآن شغله، فلا يكاد يفرغ مما كلف به، حتى تتوق نفسه، ويتشوق إلى إمداد والده له بفيض آخر من آيات الذكر الحكيم، ويلحُّ عليه في مضاعفة الواجب اليومي، ونفس الفتى تتحرق شوقا إلى اليوم الذي يقال فيه:

إنه ختم القرآن الكريم.

وسعادة الوالد المعلم باسترسال ولده، وحفاوته بفَوْقِهِ، وإعجابه بتحصيله، تزيده لله تعالى حمداً، ثم لولده حفزاً، حتى أتم الله تعالى نعمته على الوالد والولد، وأسبغ عليهما فضله، فأتم (الشيخ عبد الله) حفظ القرآن، وختمه، وهو في الثانيةَ عشرةَ من عمره.

وخلال تلك الفترة النضيرة النيِّرة، الطيبة الراضية، المطمئنة المثمرة في ظلال القرآن الكريم كان الوالد يكتشف ـ بهدى الله تعالى ـ الجديد من مخايل النبوغ، وأمارات السبق، وسمات العبقرية، فوالاه بصيب من العلم، وعرَّفه على عديد من الكتب في فنون العلم المختلفة، فقرأ عليه والده (الأربعين النووية) بشرح الإمام النووي ـ غفر الله له ـ فحفظ وأجاد، واستوعب شرحها أيما استعياب.

وعرض الشيخ على الفتى ـ رحمهما الله تعالى ـ قبسات من فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ـ فأحس منه اهتماماً، ورأى فيه رغبة فقدم إليه (متن أبي شجاع) فسرعان ما أتم حفظه، واستظهر ما فتح الله عليه به من فقه.

وقـدَّمَ له كتاب (عمـدة السالك) لابن النقيب، فما قَـصَّرَ، بل تزود منه خير زاد، وخرج منه بخير الحصاد.

فترقَّـى به إلـى (الرحبيـة فـي الفرائـض) ودارسو الفقـه يعلمون ما تتطلبه من جهد، فبرع فيها.

ووضع بيـن يديه (بلوغ المـرام من أدلة الأحـكام) لابن حجر، فبلغ فيها، وأتقن وتزود منها فأحسن.

وسار بـه نحو اللغة العربية، فإذا بالفتـى يسرع خطاه نحوها، ويبرز قدراته لاستيعابها، أليست لغة الكتاب العزيز الذي أحبه، وولع به؟

فحفـظ (متـن الآجرومية) لابـن آجـروم، وجلس بين يـدي والده، فاستظهر ما غمـض، وأوضح له ما التبس، وأوقفـه على جليل فوائدها لطالـب علـم النحو، فخرج منهـا بحصاد طيب، وعاد بكـسب كبير في علم النحو.

فألمح له إلى (منظومة الآجرومية) للعمر يطي، فأضافها الفتى إلى مكنونات حفظه، فأتقن تلك المنظومة، ووعاها، فأحسن.

ثـم صَعِد بـه إلى (ألفية ابن مالـك) وأهل اللغة أعـرف بها، وأدرى بوعـورة مسالكهـا، فاختار الشيخ لتلميذه أبوابـاً منها فوعاها، ونبغ في حفظها، وفي تلقي شرح ما حفظ من والده، غفر الله تعالى لهما.

أرأيت كيف طوف الأب المعلم بولده تلميذه، فأتم الله تعالى عليه بجهود والـده واجتهاده نعمة القرآن الكريم، وطوف به في رحاب العلم فأرسى فيه قواعده، ووقف به على المهمات التي تكون منطلقاته في طلب العلم؟

# الأنصاري بين يدي الشيخ ابن مانع

في عهد الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني بدأت تظهر بوادر رغبة صادقة في النهوض بالتعليم في قطر، وقد تأكدت تلك الرغبة حين استدعى الشيخ عبد الله ابن قاسم آل ثاني حاكم قطر الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع من البحرين، وكان ذلك عام ١٩١٥م، فتولى القضاء والخطابة والتدريس في قطر، وأسس الشيخ محمد بن مانع (المدرسة الأثرية) وقد ساهَمَ في إنشائها، وشجع قيامها بعض وجهاء قطر وأعيانها، وقام بالتدريس فيها وإدارتها الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله تعالى ـ ونهجت الدراسة فيها النهج التقليدي المتبع في الأزهر في مصر؛ حيث دراسة العلوم الدينية كالفقه، والحديث، والسيرة النبوية، والتفسير، وكذلك علوم اللغة العربية كالنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والإملاء، والخط، فوجد فيها الشيخ عبد الله الأنصاري طلبته، واتسقت مع طموحه في طلب العلم، فهو الدؤوب في طلبه، الجاد في اكتشاف موارده، وقد أزكى تطلعاته، وضاعف طموحه ما عَرَّفَهُ به والده الشيخ إبراهيم الأنصاري، فانعقدت صلة وثيقة، بين (خادم العلم) وذخائر تراث هذه الأمة الخاتمة، والشيخ محمد بن مانع خير من يؤخذ عنه، وأزكى من يقتدى به في ميدان العلم في ذلك العصر، فَهُرِعَ إليها الشيخ عبد الله الأنصاري، وطموحون آخرون كانوا أسس النهضة القطرية، فكان من أوائل طلابها:

ـ الشيخ عبد الله بن تركي، أحد رجالات التعليم في قطر.

- الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (خادم العلم).
- الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود الذي أسندت إليه رئاسة المحاكم الشرعية في قطر.
- الشيخ قاسم درويش.
- الشاعر القطري أحمد بن يوسف الجابر، ومحمد بن حسن الجابر، وابنه، ومبارك بن نصر.

وهكذا استطاع (خادم العلم) بسداد فكره، وصدق توجهاته، مع ماتيسر له من تربية متميزة على يد والده، استطاع أن يعدد موارد العلم، وأن ينهل من عطاء علامة عصره، ذي الأثر الطيب في كلِّ أرضٍ نزل بها، الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

# خادم العلم في الأحساء



الرحلة في طلب العلم شرعة دعا إليها الإسلام، ورغب فيها، وزكّى أهلها، يقول ربنا جل وعلا:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: «ومن سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً، سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنةِ»[2]

وعن أنسٍ (رضي الله عنه) قال: قال رسولُ اللهِ (ﷺ) قال:

«من خرجَ في طَلَبِ العلِم كان في سبيل اللهِ حتى يرجعَ»[3]

أبعد ذلك دعوة إلى الرحلة في طلب العلم، وتتبع العلماء أينما كانوا، والحرص على الجلوس بين أيديهم؟

وما حفز العلماء ـ سلفهم وخلفهم ـ إلا بالغ يقينهم أن العلم لا وطن له، وأن ما أوتي العلماء زاد لا يُصَدُّ عنه راغب، بل واجب العالم نشر ما علمه الله تعالى ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ألم يقل الرسول (ﷺ):

(١) سورة التوبة الآية (١٢٢)

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذيُ.

«بلغوا عني ولو آية»[1]

وماذا نقول فيما روي عن جاهمة[2] الأسلمي: هاجر رجلٌ إلى النبي (ﷺ)، يستشيرُهُ في الغزو؛

فقال: «ألك والدةٌ»

قال: نعم

قال: "فالزَمها؟ فإن الجنة عند رجليها"

وفي رواية أبي سعيد الخدري: أن رجلاً من اليمن.

وروي أن الفقيه نصر بن أبي حافظ المقدسي، لما رَحَلَ من بيت المقدس في طلب العلم إلى الفقيه (الكازروني) «بميَّا فارقين» من أرض العراق، قال له الكازروني: ألك والدةٌ؟

قال: نعم

قال: فهل استأذنتها؟ قال: لا.

قال: فوالله لا أقرأتُكَ كلمةً حتى ترجعَ إليها، فتخرجَ من سخطها.

قال المقدسي: فرجعتُ إليها، فأقمت معها إلى أن ماتت، ثم رَحَلْتُ في طلب العلم[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوشي (برُّ الوالدين) تحقيق (محمد عبد الحكيم القاضي) بيروت ( مؤسسة الكتب الثقافية) ط (١) عام ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م ص (٥٦) الحديث (٣٠) أخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) بر الوالدين (مرجع سابق) ص (٨٢)

وعلى طريق هؤلاء سار الشيخ عبد الله الأنصاري ـ ولا أزكيه على الله ـ فقصد (الأحساء)، فولَّى وجهه شطرها، وقد كانت في ذلك الحين مركز إشعاع تعددت مشاربه، وتنوع عطاؤه، بل كان كل عالمٍ من علمائها يمثل جامعة زاخرة بعلوم الدين، عامرة بفنون لغة الكتاب العزيز، وغير ذلك من فروع العلم، فهي مستقر صفوةٍ من العلماء، صدقوا فوفِّقُوا، وأخلصوا؛ فهُدُوا، وهدى الله تعالى بهم، وبلغوا، فوجد بلاغهم مستقرًّا في القلوب.

لقد كانت الأحساء دار منافسة في العلم، لا تكاد تعثر على ما اشتهرت به في أي بلدٍ آخر.

(فقد كان بها أسرٌ علمية اشتُهِرَتْ حتى كاد أفرادها أن يكونوا علماء جميعاً؛ لشدَّةِ التنافس على العلم، بين أولئك الأفراد، في داخل الأسرة من ناحية، وبين الأسرة وأفراد أسرة أخرى من ناحية ثانية، مما أشعل في النفوس الحيوية، والانطلاق نحو آفاق أوسع في العلم)[1] فاتسعت صدورهم قبل حلقاتهم لمريديهم من طلاب العلم، بل اتسعت رحابهم لإيواء الفقراء والمغتربين من الطلاب؛ حيث أقيمت الأربطة لتوفير المأوى والمأكل، وكان أهل الخير، وأثرياء المنطقة يتنافسون في الإنفاق عليها، وكفاية نازليها، ويوقفون الأملاك من بساتين، ومزارع، ويُخَصَّصُ عائدها، وإيجار ما وُقِفَ من البيوت للصرف على الأربطة وساكنيها.

(١) أحمد بن علي آل مبارك (مجلة العرب) مقال ص (٣٦٩)، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٢هـ / سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٢م.

وكانت سكنى (خادم العلم) في الرباط الذي بناه الشيخ العلامة (عبد الله بن أبي بكر بن محمد الملاَّ)، ويقع في (محلة الرويضة) بالكوت، ولا يزال ذلك الرباط أثراً باقيا، ومزاراً مقصوداً، يحكي همة هذا البلد الطيب، ودوره في إحياء فنون التراث الإسلامي، وتخريج الرجال.

**وكان من شيوخه في الأحساء:**

١ـ الشيخ محمد بن أبي بكر الملاَّ (المتوفي في ذي القعدة ١٣٩٥هـ) وقد نقل جثمانه إلى مدينة الرسول (ﷺ) ودُفِنَ بالبقيع، غفر الله تعالى له.

وعنه أخذ الشيخ عبد الله الأنصاري (تحفة الأطفال في التجويد)، و(الآجرومية) في النحو، وعلم الفرائض، كما درس عليه (موطأ الإمام مالك)، و(مَتْن الزُّبَد) في الفقه الشافعي.

٢ـ والشيخ عبد العزيز بن صالح العَلَجي، وهو مالكي المذهب (توفي عام ١٣٦١هـ).

وقد درس عليه في (فنون اللغة والأدب) كما قرأ عليه في (ألفية ابن مالك)، وأخذ عنه (الفقه المالكي)، وحفظ له منظومة ألفها الشيخ عبد العزيز في (الآداب ومكارم الأخلاق).

٣ـ الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف آل عمير وهو شافعي

المذهب، توفي عام (١٣٧٧هـ) وقد درس عليه (المنهاج) و(المنهج) و (قرة العين)، وكان الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف يدرس في (مدرسة آل عمير بحي الكوت)، وهو آخر من تولَّى التدريس بها.

٤ـ الشيخ عبد العزيز بن عمر آل عكاس وكان مرجعاً في الفقه المالكي، توفي عام (١٣٨٣هـ).

وقد درس عليه الشيخ عبد الله في (التفسير) و(الحديث).

٥ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مبارك، المتوفى (١٤٠٤هـ)

وقد قرأ عليه (خادم العلم) أول ما تولى التدريس في (مدرسة الشريفة) بالرفعة.

قرأ عليه (مبادئ علم الحديث) و (كراريس من صحيح البخاري)، و (فتح المنعم لما اتفق عليه البخاري ومسلم).

٦ـ الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الخطيب، توفي (١٣٩٤/١/٢٥هـ).

وكان يدرس في (مدرسة محمد بن عثمان آل عثمان) صباحاً.

وتولى التدريس في (مدرسة الشيخ حسين بن فلاح) بعد العصر.

وعلى يديه درس (خادم العلم) كتاب (عمدة السالك)

٧ـ الشيخ عبد العزيز بن حمد المبارك، توفي عام (١٣٦٠هـ)

وهو من أقدم شيوخ (خادم العلم) في الأحساء

وقد درس عليه دروسا متفرقة في (التفسير) و(الحديث).

وكان الشيخ عبد العزيز يدرس في (مدرسة الشريفة) بحي الرفعة.

٨ ـ الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملاَّ وتوفي الأحد ١٤٠٢/٧/٩هـ

وقد استفاد الشيخ عبد الله الأنصاري من شيخه أحمد كثيراً مما يتعلق بتاريخ حكام الخليج وولاياتهم، وأهم سمات عصورهم، ووفاتهم.

وكان حريصاً على حضور درس أستاذه الشيخ أحمد، وقد التقى بولده سعيد بن أحمد بن عبد اللطيف الملا في مكة المكرمة في شِعْبِ عامر عام (١٣٩٦هـ) فقال له:

كنت إذا تأخرت عن درس الشيخ أحمد، أتيت مجلسه حتى لا تفوتني فائتة.

٩ـ الشيخ محمد بن أحمد آل عبد اللطيف، توفي في (صفر ١٣٩٥هـ)

وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ مرجعا في فقه الشافعي، ويبدو

أن الشيخ عبد الله الأنصاري استفاد منه كثيراً في هذا المجال الطيب.

١٠ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد العبيد الله، توفي في (المحرم ١٤٠٨هـ)

وقد توثقت صلة الشيخ عبد الله الأنصاري بشيخه عبد العزيز العبيد الله، فكان ملازماً له، زوَّارًا له، فلا تفوته ـ أبداً ـ زيارة شيخه أحمد إذا نزل الأحساء ومما لا شك فيه أنه استفاد من شيخه كثيراً، وإن لم تصلنا بالتحديد العلوم التي درسها عليه، لكن إذا علمنا أن الشيخ عبد الله الأنصاري كان بارعاً في استقصاء ما عند شيوخه أيقنا أنه استفاد منه في علوم شتى.

١١ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطيب.

وحال (خادم العلم) معه كحاله مع شيخه الشيخ عبد العزيز بن محمد العبيد الله؛ حيث تنوعت قطوفه، وعزَّ حصاده في علوم شتى.

وقد عُرِفَ الشيخ بحرصه الشديد على الوقت ينفقه فيما ينفع ويسخره في طاعة الله ما استطاع، فكان إذا وجد سعة من الوقت ما بين العصر والمغرب ذهب مع بعض رفاقه إلى قرى الأحساء، وطاف في مساجدها بالنصح، والوعظ، والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انطلاقاً من:

«اغد عالماً أو متعلماً»[1] فكان يفيد ويستفيد.

هاتيك جولات سعدنا فيها بصحبة (خادم العلم) وطوفنا في سيرته نتعرف على منازله، ومواقع حصاده العلمي، وشيوخه الذين يسر الله له ملازمتهم، والأخذ عنهم خلال ثلاث سنوات، قد تقلُّ قليلا.

رحمهم الله جميعاً، ووهبنا العمل على طريقهم إنه سميعٌ مجيب.

(١) رواه الطبراني

# رحلته إلى البحرين

لقد كانت رحلة خادم العلم إلى البحرين محدودة، ولكن الأمانة تقتضي الإحاطة بها ما أمكن، فقد أفاد فيها علما، وحقق آمالاً، والعبرة في حياة العلماء ليست بالوقت، وإنما بعائد الوقت وقيمة من أخذ عنهم، ولو كانت الفترة وجيزة.

لقد انتقل ـ رحمه الله تعالى ـ إلى البحرين، والتقى بالشيخ **محمد بن عبد العزيز الجاركي الفارسي** المتوفى بالرياض ٢٥ من المحرم ١٣٨١هـ.

وقرأ عليه واستفاد منه في (علوم الآلة) و (علم العقائد).

والتقى بالشيخ **عبد الله بن محمد الكوهجي الفارسي الصديقي**.

المتوفى بالبحرين عام ١٣٨٨هـ. وكان الشيخ الصديقي ـ رحمه الله تعالى ـ ورعاً تقياً، زاهداً رضيًّا، وكان مرجعاً في الفتوى، يلجأ إليه القضاة فيما استعصى.

التقاه في الحورة بالمنامة، ودرس عليه (علم الفقه)، و (النحو)، و (الصرف) إلا أنها مدة قليلة، وكان رفيقه في تلك المدة **الشيخ ملا خليل الفارسي**.

وهكذا كان الشيخ عبد الله ـ رحمه الله ـ يقع حيث يطيب الرحيق، وينزل حيث تزدهر الرياض؛ ليعود بخير زاد، ويسعد بخير صحبة، ويحوز من نور العلم ما تصبو إليه نفسه الطموح، وتتعلق به همته العالية.

قضى الشيخ ـ رحمه الله ـ ثلاث سنوات في الأحساء لا ينقطع عن قراءة، أو سماع أو تحبير، أو سؤال حتى أمره والده بالعودة فرجع إلى جامعته الأولى؛ ليستأنف دراسته في رحابها، وعلى يد معلمه الأول بما تربطه به من صلات لا يجدها في غيره من العلماء، وما يحمل له ذلك المعلم من آمال، عزَّ أن يجدها في صدر غيره ممن علموه.

ظل الوالد الشيخ إبراهيم الأنصاري يفيض من علمه على تلميذه وولده عبد الله، وهو يتلقى بنهم، وكلما علم جديدا ازدادت رغبته في مزيد من المعرفة، وتطلع إلى أن يجمع الله تعالى له من العلم أضعاف ما علم، حتى عاش مشغولا بالعلم، جاداً في طلبه.

# في رحاب بيت الله الحرام

وفي عام ١٣٥٩ هـ تاقت نفسه إلى مهبط الوحي، ومبعث النبي الخاتم محمد بن عبد الله (ﷺ)، وتأجج في جوانحه شوق كبير إلى أداء فريضة الحج، فاستأذن والده، فأذن له، فشدَّ رحاله إلى مكة المكرمة، ولم يكد يفرغ من أداء مناسك الحج، حتى عاوده الحنين إلى ما شغل به، ومالت نفسه إلى مواصلة التزود مما أخذ نفسه به، ألا وهو طلب العلم، فقد حضر الندوات الدينية، وحلقات العلم بالمسجد الحرام، وتنسم نسيم الوحي، واستشعر أنوار الهدى، فرأى البقاء ضرورة، وصحبة هذه الوجوه الناضرة فرضا؛ ليضيف إلى ما بدأ مع والده، وما تيسر له بالأحساء والبحرين جديداً فيه صدى مولد الدعوة، وموطنها الأول، وعبير السابقين الأولين.

ولكن أنَّى له ذلك؟

لقد استأذن أباه في الحج، وما عرض عليه البقاء للدراسة، ولا يليق بمثله أن يأتي أمراً دون الرجوع إلى والده، والاستنارة برأيه؛ ولذا فقد أرسل إلى أبيه يستأذنه تكريماً له، واستئناساً برأيه، ولعل الله تعالى يرعاه، ويبارك له فيما هو مقبل عليه بدعاء طيب من والده، وكان الأب يعلم خبيئة ولده، ويدرك طموحه، ويعرف حق المعرفة شغله الشاغل فأذن له.

وفي أم القرى حيث أول بيت وُضِع للناس، وحلقات العلم الناضرة به، ومجالسه التي تحفها الملائكة، وشيوخه الذين باعوا أنفسهم لله، وعكفوا على إبلاغ الدعوة، وانقطعوا لتيسير أسبابها لمريديها الطامعين في أن يكونوا من أهلها.

في هذا المناخ الطيب المبارك، وفي رحاب مكة المكرمة حركه شوقه بين هؤلاء الشيوخ، وتقلب في رواد بيت الله الحرام من طالبي العلم، وشغف بالتحصيل، وأولع بالدرس والمحاورة.

**أقبل على حلقات العلم بالحرم المكي الشريف**، ومجالسة هؤلاء العلماء الأجلاء، والأخذ عنهم، جادا في طلب العلم وتحصيله، مكباً على الحفظ والدرس، مقبلا على دراسة علوم عصره في تلك البقعة المباركة، فدرس الفقه وأصوله، والتفسير، وعلوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلومه، وعلم المواريث والعقيدة والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، وعلم الفلك.

التقى بعلماء مكة المكرمة الأفاضل الذين اشتهروا بعلو مرتبتهم، وإخلاصهم في خدمة العلم وأهله، فاستقى من منابعهم واهتدى بهداهم.

وكان من أبرز شيوخه بالحرم المكي الشريف:

**الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة** إمام وخطيب المسجد الحرام في زمنه[1].

درس عليه (كتاب التوحيد) و(صحيح مسلم)، (وموطأ الإمام مالك).

**والشيخ محمد بن مانع** المتوفى بالدوحة عام ١٣٨٥هـ.

الذي قرأ عليه (بلوغ المرام)، (وزاد المستقنع)، و(مفردات الإمام أحمد) و(كتاب التوحيد أيضا).

---

(١) وهو مصري تخرج في الأزهر، وسافر إلى السعودية عام ١٣٤٤هـ، فتولى الخطابة في الحرم النبوي، ونقل بعد عامين إلى المسجد الحرام، مدرساً للحديث والتفسير، وصنف كتباً، وتوفي بمكة عام ١٣٩٢هـ

**ولازم العلامة الشيخ السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني** المتوفى بمكة عام ١٣٩١هـ.

أخذ عنه دروساً في (التفسير)، و(لب الأصول)، و(التلخيص على الألفية) و(الجوهر المكنون في البلاغة).

كما تابع دروس **العلامة الشيخ عمر حمدان المحرسي** المتوفى بالمدينة المنورة عام ١٣٦٨هـ.

فتلقى عنه دروسا في (شرح الشمائل)، (ومتن الخليل) في فقه المالكية، وكان لقاؤه به بالمدرسة الصولتية.

أما العلامة **الشيخ محمد العربي التباني الجزائري**[١]

وقد درس عليه (الزرقاني على الموطأ)، و(الإتقان في علوم القرآن).

وعلى يد العلامة **الشيخ حسن المشاط**[٢] تلقى دروساً في (لب الأصول) وشرح (ألفية ابن مالك).

وفي مجلس **العلامة الشريف الحسيب السيد محمد أمين كتبي الحنفي المكي**[٣].

---

(١) مؤرخ كبير ومحدث ومن مؤلفاته (رسالة في نزول المسيح)، توفي عام ١٣٩٠هـ.

(٢) فقيه مالكي تولى التدريس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية، عمل بالمحاكم الشرعية، ثم عضواً في هيئة التمييز، ثم وكيلاً لرئيس محكمة مكة، ثم عضواً في مجلس الشورى ثم عاد للقضاء (توفي بمكة عام ١٣٦٩هـ).

(٣) أحد مدرسي المسجد الحرام من اشراف الحجاز الأحمديون ولد سنة ١٢٧٥هـ وتلقى علومه في مكة وبغداد والهند واشتغل ببيع الكتب وطباعتها فلقب بالكتبي، ألف كتباً فقد جميعها توفي بمكة سنة ١٣٦٨هـ.

تلقى تفسير (الإمام النسفي)، و(مغني اللبيب)، كما درس عليه في (علمي النحو والبلاغة).

كما قرأ على العالم **الفاضل الشيخ محمد نور الدين بن سيف بن هلال**[1] أبوابا في (الفقه المالكي) و(الحديث).

واستفاد كذلك من **الشيخ أحمد بن الشيخ خليفة بن نبهان**[2] مسائل في علم الفلك حيث درس عليه كتاب ( الربع المجيب ) للشيخ خليفة بن نبهان والد الشيخ أحمد.

وقد مكث الشيخ خمس سنوات ـ تقريباً ـ في مكة المكرمة لدى هؤلاء الشيوخ الأعلام يتزود من العلم ما وسعه ذلك، ويجمع ما تيسر له جمعه، ويقرأ، ويراجع أساتذته، يستوضح ما غمض، ويستبين ما أجمل، ويعرض ما استطاع حتى يفرغ لغيره.

مَنَّ الله تعالى عليه، ومنحه خيرا كثيرا، وأبلغه مراده، وهيأ له موضعا طيبا كريما بين دارسي المسجد الحرام، وكأن الله الذي هيأه لهذا، ويسر له الأسباب قد أبدله بداره البيت الحرام ـ وأكرم به من دار ـ وبوالده البر الكريم شيوخا أفاضل أماجد حتى يصل إلى ما تصبو إليه نفسه.

---

(١) ولد في امارة دبي بمنطقة الرأس في ديرة في عام ١٣٢٣هـ وتعلم في مدرسة الفلاح بمكة وأنشأ المعهد الديني في دبي عام ١٩٦٢م وتوفي في مكة عام ١٤٠٣هـ.

(٢) أصله من البحرين، وانتقل إلى التدريس بالحرم المكي الشريف، برع في علم الفلك

# التحاقه بالمدرسة الصولتية

وكانت أشواق الشيخ وتطلعاته تسعى به، وطموحه يدفعه إلى طلب العلم أينما كان، وكيفما تيسر له، ولذا كان شديد الرغبة عظيم الهمة، قوي العزم على أن يملأ أوقاته كلها بالجد في طلب العلم فرأى أن يجعل لأول نهاره مسلكا علميا يضيفه إلى مساره الدراسي المبارك في الحرم المكي الشريف، فهداه الله إلى نبع ثَرّ، ودار عامرة برجال صدق في الله جهادهم، واشتد بالله عزمهم، فعلمهم من فضله، وأمدهم بمدده.

وآتاهم الله الحكمة

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [1] جمَّلهم الله تعالى، بالعلم فأصلح به ظاهرهم وباطنهم، فحق فيهم ـ والله حسيبهم، ولا أزكي على الله أحدا ـ قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [2]

فكانوا بفضل من الله تعالى أوفياء للعلم، أمناء على ما أوتوا، فما منعوه طالبا، ولا كتموه عن مستزيد، وما اتخذوه بضاعة تشرى بثمن بخس، وكان الفتى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن يجالس كل من يسرت له الأقدار مجالسته من هؤلاء العلماء الأعلام جادا

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٩)

(٢) سورة العنكبوت الآية (٦٩)

فـي السعي إليهم أينما كانوا، وحيثما حَلُّوا، وكانت المدرسة الصولتية بمكـة المكرمـة، والتـي أنشأهـا العالـم الربانـي الشهيـر، والمجاهد الإسلامـي الكبيـر **الشيخ/ محمـد رحمـت الله بـن خليـل الرحمـن العثماني الكيرانوي الدهلوي** ـ صاحب كتاب ( إظهار الحق) ـ كانت تلـك المدرسة أول مـدرسة نظامية في مكة المكرمـة، بل في الجزيرة العربيةكما كانت معقل الصفوة الأخيار فالتحق بها، وانتظم في طلاب الـصف الثاني من القـسم الثانوي للعلوم الدينيـة وكانت هذه المرحلة بعد الابتدائية العالية

«التخـصص»، وكان يسبق الابتدائية، ما يسمـى بالإعدادية لحفاظ القـرآن الكريم، ثم المرحلـة التحضيرية، وأظهر الشيـخ نبوغا، وسما بـه ذكاؤه فاجتاز الـصف الثاني بنجاح، واستحـق الارتقاء إلى الصف الثالـث، ثم سافر عائدا إلى الخور يؤدي ما يهديه الله إليه من واجبات البـر بوالده، وحسن الصلة بأهله، وكأنـه أراد أن يجعل من تلك الفترة عـرضاً لما مَـنَّ الله عليه به من علـوم ومعارف بين يـدي والده الشيخ الفقيـه، وهـو ـ لا شك ـ موقن أنه سيحقق مـن وراء ذلك نفعا، ثم عاد إلى مدرسته فالتحق بالصف الرابع في عام ١٣٦٥هـ.

وكان سكنه في القسم الداخلي للمدرسة المخصص لسكنى الطلاب وذلـك في عهد مديرهـا ومؤسسها العلامـة المرحوم **الشيخ «محمد سليم رحمت الله»**.

## فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

وقد تلقى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري دراسته في تلك المدرسة العريقة على أيدي علمائها الأعلام، وأساتذتها الأماجد، ومشايخها الذين يذكرهم التاريخ بكل فخر واعتزاز وهم:

الشيخ حسن المشاط والشيخ زكريا عبد الله بيلا، والشيخ مختار مخدوم بخاري، والشيخ محمد سليم رحمت الله، والشيخ عمر حمدان، والشيخ عبد الله فدا، والشيخ محمد عارف سمبس، والسيد أبو بكر سالم البار، والشيخ جعفر الكثيري والشيخ علي بكر الكنوي.

# البرُّ يعود به إلى قطر

وشاءت إرادة الله تعالى أن يختبر الشيخ، ويوضع بين أمرين أحلاهما مر؛ فقد بلغه وهو على هذه الحال من النشاط العلمي نبأ فقدان والده العزيز ـ رحمهما الله تعالى ـ بصره، فغلبه بِرُّهُ، وطار به وفاؤه إلى أرض الخور؛ ليكون بجانب والده ومؤدبه، ومعلمه الأول، وليرافقه في رحلة طلب العلاج.

وما كان الله تعالى ليرد دعاءً طيباً، أو يمنع محسناً جزاء إحسانه فهو القائل جل شأنه.

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (١)

وقوله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٢)

لقد خرجا متوكلين على الله، قاصدين بابه، رَاجِيَيْنِ مَنَّهُ وكرمه، طامِعَيْنِ في واسع رحمته، واتَّجها إلى الكويت.

وهناك تمت ـ بفضل من الله ورحمة ـ رحلة العلاج، وكانت المنة الكبرى من الله تعالى، فقد رَدَّ على الشيخ الكبير بصره، وأسعد الابن البار بذلك الشفاء، ثم عادا إلى قطر فَرِحَيْنِ بعطاء الله شاكِرَيْنِ نعمته؛ ليبدأ الشيخ عبد الله مرحلة جديدة من مراحل حياته.

---

(١) - سورة الرحمن الآية ( ٦٠ ).

(٢) - سورة الكهف الآية ( ٣٠ ).

# صلته بأساتذته وشيوخه

إن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وإن وَدَّع مواقع العلم كدارس إلا أن ما تميز بـه مـن ألفة، وما طبـع عليه من مودة، ومـا وهبه الله من خلـق كريم جعله مـوصولا بأساتذته غير نـاءٍ عنهم بروحه وفكره، فقـد توثقت علاقات حب ومودة بينه وبين أساتذته، فكان ودودا لهم، بارا بهم، متتبعا آثارهم العلمية، حريصا على معرفة أحوالهم، زَوَّارا لهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وعلـى سبيـل المثال كان الشيخ عبـد الله – رحمه الله تعالى – إذا نزل مكـة المكرمة لحج أو زيارة تلقاه مدير المدرسة الصولتية الأسبق وأستاذه الأكـرم **محمد سليم رحمـت الله**، فأكرم وفادته، وأحسن نزله، ورعاه خير رعايـة، ولعلك – أخي القارئ – تسأل ألـم يكن الشيخ عبد الله واحدا من هؤلاء الطلاب الذين تخرجوا من هذه المدرسة – وما أكثرهم؟!

فما بال شيوخها وكبيرهم يحتفون به هذا الاحتفاء؟

ما باله بقي قريبا من نفوسهم محببا إلى قلوبهم؟

لا شك أنك تستطيع بسهولة أن تقول: إن ذلك الشيخ الطالب ـ رحمه الله ـ كان فيـه مـن الصفـات ما ميزه على أقر انه، بـل امتدت العلاقة بيـن الشيـخ وأسرة شيخـه محمد سليم رحمـت الله ـ رحمهمـا الله ـ بعـد وفاة الشيخ محمـد سليم رحمت الله، فكان الشيـخ عبد الله دائم الاتـصال بابن أستـاذه، كثير السؤال عنه، ينزل مكـة فيزوره، ويحسن الآخـر استقباله، ويكرم وفادته ويقوم على ضيافته، ويلزم خدمته حتى يغادر مكة المكرمة.

# رحلته العملية في السعودية

- درة الخليج دارين.
- نزوله الدمام.
- صحبة طيبة ولقاء مبارك.
- الداعية والمعلم الأول في دارين.
- إبداع في التربية.
- منهج تربوي عملي.
- أول مدرسة نظامية في دارين.
- تربية ناجحة.
- المعلم الصادق.
- الأب المعلم.
- الشيخ والقضاء بالقطيف.

# درة الخليج دارين



وكانت نفس الشيخ المتطلعة إلى العطاء المشوقة إلى نفع المسلمين، الراغبة في شكر نعمة الله التي أفاضها الله على الشيخ بما يسر الله من معرفة، وعلمه من علم حريصة على إبلاغ الدعوة وأداء الرسالة؛ رجاء وعد الله تعالى الذي وعد به عباده الشاكرين بقوله تعالى:

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (١)

وشكر العلم لا يكون إلا بإنفاقه، وتزويد الآخرين، ونشره، والنفع به.

كانت تلك النفس الطموح، العظيمة تدفعه إلى العمل دفعاً، ولو بالهجرة من أرض إلى أرض؛ ابتغاء وجه الله تعالى، ثم طلبا للطيبات من الرزق.

ألم يزين الله قلبه بالقرآن الكريم؟

وفيه قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً ﴾ (٢)

وفيه أيضا ذلك الأمر الحكيم من العلي الحكيم جل شأنه:

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٣).

---

(١) - سورة إبراهيم الآية ( ٧ ).

(٢) - سورة النساء الآية ( ١٠٠ ).

(٣) - سورة الملك الآية ( ١٥ ).

ونزولا على أمر الله تعالى، وأخذا بالأسباب، ورغبة في نشر العلم انتقل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٧ هجرية، وقصد مدينة الدمام لوجود فرص العمل الوفيرة للتدريس بها؛ فقد كانت تلك الآونة مرحلة انطلاق قوي إلى التعلم شملت الكبار والصغار في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، بل المملكة كلها.

# نزوله الدمام

نـزل الشيخ الدمام، فحدث عنه علمه، وعرَّف أهـلَ المنطقة به خُلقه، ودَلَّهُمْ عليه ما آتاه الله من حكمة، وتعرف عليه كريم من كرام أهل (**دارين**) وعينٌ من أعيانها ممنْ أودع الله قلوبهم حب العلم، وتقدير العلماء، وتوقير أهـل الفضل مـن العارفين بالله، وكان ذلكم الرجل هـو الوجيه (**عبد الله بن محمد أبو عايشة**) الذي دعاه لزيارة قريته (**دارين**)، وحدثه عن شغف أهلهـا بالعلـم، وشوقهم إلى أن يقيـم الله فيها مَنْ ينفـع الله به أهل هذا البلـد، ويصلح الله على يديه أمـر دينهم ودنياهم، ويمضي بناشئتهم على طريق التربية القويمة، والتعليم السديد الموجه.

استخار الشيخ ربه، فاطمأن قلبه لما دُعِيَ إليه، وصحب ذلك الداعي الكريـم، واعتبر رفقته إلى هذا البلد تلبيـة لدعوة الله الذي أتى به من قطـر، واختار لـه الدمام، فأنزلـه فيها، وجمع بينه وبيـن ذلك الشيخ، وألـف بين قلبيهما، وحبب إليه أهل « **دارين** » قبل أن يراهم، وجعل لهم مكانة في قلبه قبل نزوله فيهم.

وما دام الشيخ قد عزم فليتوكل على الله

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ (١).

وانطلقـت المسيـرة المباركـة تحدوهـا النوايا الطيبـة، ويسعى بها الصدق إلى هذا البلد الطيب، المتعطش إلى العلم، الجاد في طلبه.

---

(١) - سورة الطلاق ( ٣ ).

# صحبة طيبة ولقاء مبارك

وما أن وطئت قدماه هذه الأرض، وصلى بهم إماماً في إحدى الصلوات حتى أسلموا إليه الأمانة، ورضوه إماماً في صلواتهم، وخطيباً في جمعهم وأعيادهم، ومدرساً، وواعظاً للصغار والكبار في مسجدهم.

وسرعان ما التف الناس حوله وأحبوه، وأنسوا به، وأولوه ثقتهم، وأسلموا إليه أمورهم وأبناءهم، واستودعوه غالي أسرارهم، وغشوا مجلسه أنَّى كان؛ فقد جعل من بيته مدرسة، وأعاد إلى المسجد رسالته، فلم يعد لمجرد إقامة الصلاة، بل سار سيرته الأولى فصار مرجعاً لروّاده إذا أرادوا التزود من العلم، ومآباً لهم إذا عرض أمر يستوجب الفتيا، ومثابة لهم إن أعوزهم أمر إلى المشورة، ومرجعاً لإصلاح ذات البين، وصار اسم الشيخ يتردد في كل بيت، ويذكره الصغار والكبار، ولا يخلو مجلس ذو شأن من حضوره؛ إليه يرجعون فيما دقّ من أمورهم، وما عظم من شؤونهم.

لقد رأى فيه أهل (دارين) نمطاً فريداً في الدعوة إلى الله، شغفاً بالعلم واعتزازاً بالإسلام، وحرصاً على الدعوة إلى الله، متخذاً فيها المنهج القويم الذي وضعه رب **العزة لحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد** (ﷺ)، ولكل مَنْ تأسى به حيث قال جلّ شأنه:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [1].

---

(١) - سورة النحل ( ١٢٥ ).

كان رحمه الله ـ لين الجانب تأسيا بمن قال الله تعالى فيه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١).

رفيقاً في غير تفريط، والدعاة إلى الله أولى الناس بذلك: « ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه » (٢).

وكيف لا يتمثل هذا في داع إلى الله، حريص على إحياء قيم الإسلام، جاد في استنقاذ الأمة مما ألمَّ بها؟

والداعية طبيب ما يلفظ من قول، أو يسلك من سلوك إلا أُحْصِيَ في قائمة علاجه؛ فكان له أو عليه.

واجتماع هذا الخليط المتباين من شيوخ وكهول، وشباب وصبيان إنما ينبئ عن عبقرية رائدة؛ لقد وجد كلٌّ من هؤلاء في الشيخ عبد الله ما يتفق وميوله، ويجيب على تساؤلاته، ويقرأ طموحه وتطلعاته، ويغذيه بما يناسبها وما يتفق واستعداد صاحبها.

لو لم يجد الكبار فيه ما يحملهم على السعي إليه، والالتفاف حوله، والإنصات إليه، والأخذ عنه ما أولوه هذه الثقة، وما أعطوه من أنفسهم ما أعطوه.

قل لي بالله عليك: ما الدافع إلى تسابق الشباب إليه، وفي الشباب ما فيه من رؤية للنفس، وخروج على كل قديم، وإن أخفوا ذلك لأمور

---

(١) - سورة آل عمران الآية ( ١٥٩ ).

(٢) صحيح ابن حبان

تحيط بهم، وحدود وضعها لهم المجتمع؟

ما الذي طوّع الشباب له؟

وما الدافع لهم إلى أن يلقوا بين يديه ما أثقل فكرهم، وشق على نفوسهم؟

لا شك أنهم رأوا فيه الداعية الأريب الخبير بأدواء النفوس، العليم بما يقيمها؛ فوضعوا بين يديه خواطرهم دون وجل، وطرحوا أمامه مشكلاتهم، فاتسع صدره لما خصوه به، ودلهم على ما يجعلهم بمنجاة من هوى النفس، ويقيمهم على صراط الله العزيز الحميد.

وما بال الصبية يتبارون في خدمته، ويتنافسون في الدُّنُوِّ منه، والظهور معه في درسه ووعظه، أو في سيره إلى المسجد، أو عودته؟

وكما يقول أحد الذين شبوا معه: كنا نتسابق لحمل المصباح « التريك » ليلاً، والمشي إلى المسجد والعودة منه بين يدي الشيخ.

لقد عَلَّمَنَا كيف يحترم الصغير الكبير، وكيف يعطف الكبير على الصغير، وكيف يكون البر بالوالدين، وحسن التعامل بين أفراد المجتمع الواحد.

إنهم لمسوا فيه ما أشبعهم، ووجدوا عنده ما يجذبهم إليه وصادفوا في هذا الشيخ الوافد من قطر ما يؤنسهم؛ فما كان لهم أن يطيقوا بُعْده، أو يفتروا عن صحبته.

وهكذا تبوأ الشيخ مكاناً كريماً في نفوس أهل دارين على اختلاف

أعمارهم، وتباين طباعهم، فأقبلوا عليه، ورغبوا في عشرته ولزموا مجلسه، وخصوه بحبهم، وأولوه ثقتهم، ووجد فيهم قلوباً خصبة، ونفوساً متعطشة إلى المعرفة، وعقولاً مفتوحة لنور العلم.

فلماذا لا يبدأ معهم، ويعطي ما عاهد الله تعالى عليه؟

# الداعية والمعلم الأول في دارين

والنفس التي فُطِرت على الخير، وأشربت حبه، وألفت العطاء، وتعودت البذل تأبى أن تمر لحظة دون أن تترك أثراً، أو تُخَلِّدَ ذكراً، وقد وجد الشيخ عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ التربة خصبة، وألفى نفسه في بلدة طيبة؛ فالنفوس مشوقة إلى العلم، راغبة فيه، يسعى إليه شبابهم وكهولهم، ويتنافس الآباء في تعليم أبنائهم، وتفيض نفوسهم بغضا للأمية، وثورة على الجهل.

وهنا وجد الشيخ ـ رحمه الله ـ طِلْبته، وأدرك غايته، فأنشأ مدرسة مجانية ـ كانت أول مدرسة في دارين غير نظامية ـ لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية، والحساب، والخط العربي، لا يبتغي بذلك إلا وجه الله تعالى، والأجر والمثوبة منه جل شأنه.

ولإيمانه الراسخ بأن العلم قوام رسالة الإسلام، ثم ليقينه أن العلم غذاء للعقل، وتهذيب للنفس، وسمو وارتقاء بالروح فقد أخذ على عاتقه هذه المسؤولية التي نذر نفسه لها؛ محتسبا ذلك عند الله عز وجلَّ، راجيا أن يحقق الله به النفع، فيمحو به أمية، ويزيل به جهلا، وينشر ـ بفضله جل شأنه ـ على يديه علما.

وقد التحق بالمدرسة شباب في أخطر مراحل العمر؛ حيث تكوين الشخصية المستقلة في نظرتها إلى الحياة، وتطلعاتها، وطموحها، والمواجهة الصريحة لعالم مليء بالمتناقضات، حافل بالصراع بين

الخيـر والشر؛ فكان لهم نعم المربي الفـاضل الخبير، والمعلم القدير الحكيم والموجه الناصح الأمين.

وشاركهم رجال تقدم بهـم العمر غير أن طموحهم دفعهم إلى طلب العلـم فكانوا جميعاً يتطلعـون إلى التزود بزاد من المعرفة، ويرجون أن لو تخلصوا من الأمية بأوزارها، والجهل بقبيح آثاره.

وبين يـدي الشيخ ذابت الفوارق، وتعانقت الغايـات، وظهر التنافس الحميـد، فأخذ الشباب حكمة الشيـوخ، واستعار الكهول حيوية الشباب ونشاطـه، ووقف بين الحشد الكريم ذلكم الرجل الذي وقف نفسه على العلم معطاءً، صبوراً، واسع الصدر، يعطي بغير حدود، ويُعلّم أنَّى تيسر لـه التعليم، فلم تعد دروسه قاصرة علـى المدرسة، بل ألقى دروسه في المسجـد، وفي بيته، وفـي أي موقع أتيح له، فكنت لا تراه إلا معلما حتى آتـى الجهد المبـارك أكله، وظهرت آثـاره المبشرة في أهـل هذا البلد الكريم المضياف (دارين)

ولـم يدع الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مجـالاً أو فرصة لنشر العلم إلا انتهزهـا فحول شهر رمـضان إلى ساحة للخيـر؛ فلياليه عبادة ووعظ، ومجالـسه علم وتثقيف، ونهـاره تلاوة، ومدارسة للقـرآن الكريم وعلم وطاعـة، وامتثال لأوامر الله العلي الأعلى، كما اعتاد الشيخ ـ رحمه الله تعالـى ـ الاعتـكاف في العـشر الأواخر من هذا الشهـر المبارك؛ مما شجع كثيراً من أهل (دارين) على مشاركته؛ فعمر المسجد بالذاكرين، والركع السجود، والبكائين من خشية الله.

# إبداع في التربية

والشيخ شغوف باللغة العربية مولع بها، يحببها إلى أبنائه ومريديه كلما أتيح له ذلك، فقد عود الطلاب أن يحضروا له مجلسا بعد العشاء، ويشاركهم الحضور الآباء، فيكتب لطلابه في أعلى الصفحة حكمة من النثر أو الشعر فيها تهذيب وتوجيه، ويطلب إليهم تكرار كتابتها بخط حسن فيكون بذلك قد جمع بين التربية وتجويد الخط.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان يطلب من طلابه حفظ أبيات من الشعر يحددها لهم كل مرة، ثم يطلب إليهم إلقاءها إلقاءً جيدا دقيق الضبط، مصحوبا بالتعبير بحركات اليدين، وإشارات مناسبة، وتغيرات في ملامح الوجه إبرازا للمعنى، وتجسيدا للفكرة، وتقريبا لمفهوم الكلمات ومدلول العبارات، كل هذا وأولياء الأمور يشهدون، ويعجبون، فيغرس في الدارسين الشجاعة، والثقة بالنفس، والقدرة على المواجهة، والتغلب على الخجل منذ الصغر، وينمي فيهم موهبة الخطابة.

# منهج تربوي عملي

وكان الشيخ عليما بأصول التربية يختص بعض أبنائه بمزيد من العناية حفزا لهم، وتنمية لقدراتهم الخاصة، وغرسا لقيم يرى أهميتها في تنشئتهم، فتراه ـ على سبيل المثال ـ يعزم على الحج، فيختار تلميذه محمد عبد الله أبو عايشة الذي لم يبلغ العاشرة من عمره؛ ليكون رفيقه في تلك الرحلة، متقلبا به بين وسائل المواصلات بحرا وبرا، ويغشى به مجالس أحبابه من علية القوم وأعيانهم، ويمتعه بصحبتهم في السفر، وسماع حديثهم، فإذا ما وصل الركب إلى مكة المكرمة كلفه أستاذه بحفظ كُتَيِّبٍ يحوي أدعية في الطواف والسعي والمشاعر، ومع صغر سن الفتى لكن هيبة الشيخ وحرص الطالب على رضاه جعلاه يستظهره عن آخره في وقت قياسي.

ويتجه للسلام على شيخه ومعلمه الشيخ علوي، وبرفقته الفتى؛ حيث يرى الوفاء في درس عملي عاشه مع أستاذه.

انظر: كيف يمزج الشيخ في تربيته بين العلم والقيم، ويجعل تلك القيم واقعاً؟

وبذلك يسبق بسلوكه كثيرا من نظريات التربية الحديثة التي طار بها الغرب، وتاه بها على الشرق.

# أول مدرسة نظامية في دارين

لقد كان للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ طموحاته، وتطلعاته التي لا تقف عند حد؛ فهو شغوف بالعلم، حريص على نشره، وقد دفعه هذا إلى الدعوة لإقامة منشأة تعليمية نظامية يبدأ بها التعليم المنهجي في دارين، تلك البلدة التي اختاره الله تعالى لها، وحببها وأهلها إليه، وجمع بينه وبينهم على هدى وإيمان، فقامت علاقات وثيقة، ونشأت روابط قوية أساسها الحب في الله ولله، وقد وجد في هؤلاء الأحبة الأعزة صورة مشرقة للخير، محبة للعلم، ورآهم يتدفقون على مجالسه أنَّى كانت، ومتى أقيمت؛ دافعين بفلذات أكبادهم إلى رحابه في أعمال مختلفة، متابعين لهم، مستقصين أحوالهم مع الشيخ، متأملين اتجاهاتهم إذا خلوا منه، متعجبين لهذا الذي يألف ويؤلف، مكبرين قدرته على صناعة أبنائهم صناعة ممتازة وتحويلهم إلى أكرم ما يرجون لهم عقيدة وسلوكا.

قل ـ ولا حرج ـ لقد وجد الشيخ في دارين مجتمعا متميزا؛ صغاره ظمأى إلى العلم، الآباء والأمهات يرقبون ثمرته في أبنائهم، وكم تكون سعادة الأسرة حين ينطق، أو يكتب الابن كلمة. فما بالك إذا أتم جملة!

ثم تخيل سعادة الأسرة حين يسمعها الصبي قرآنا مرتلا مجودا، أو يروي لهم حديثا يحسن نطقه، ويجيد ضبطه، أو يسوق في دقة وإتقان بيتا من الشعر، أو أثرا من الآثار.

إن رجلا واحـدا قادما من قطر استطاع في زمن وجيز أن يغير وجه الحياة في هذا البلد، وأن يسرع حثيثا بهم ليروا الحلم حقيقة، ويلمسوا الأماني واقعا.

لقـد كان كل من وما في (دارين) يتطلع إلـى شمس مشرقة بالعلم، ويهفو إلى مستقبل ينير فيه العلم مسيرة الجيل القادم.

لقد بات العقـلاء يحضون على العلم، ويحفـزون الجهود الصادقة؛ حتى تتخذ كل الوسائل لنشر العلم.

وكان ظهـور الشيـخ فاتحـة خير، وداعيـة نهضة، فأعلـن ما يجيش بخاطرهـم، وطرح بما أوتي من فصاحة، ومـا عهد فيه من فطنة، وما شاع عنه من قدرة فائقة على الإقناع.

لقـد عرض الشيخ ـ رحمه الله تعالـى ـ فكرته، وأوضح دوافع دعوته تلك، فشرح الله تعالى الـصدور لقوله، ووضع له القبول في قلوب أبناء هـذا المجتمع الطيب، وأحسوا أنه إنما يحدثهم بما في نفوسهم، ويعيد علـى أسماعهم ما أضمروا من تطلعات، فانبرى رجل كبير كريم صالح طالمـا أجرى الله على يديه الخير، ويـسره للنفع، وحببه إلى الطيبات، وحبـب الطيبات إليه، وأودع حب العلـم والعلماء قلبه ، ذلكم الرجل هو **الشيـخ عبـد الله بـن محمـد أبو عايـشه** ـ يرحمـه الله ـ فبادر بإحدى مكرماتـه الوفيـرة؛ حيـث قدم من طيب مالـه بيتا كبيـرا فيه عدد من الغـرف، ويتوسطه فنـاء كبير، وجعله تجارة خالـصة مع الله، لا يبتغي الثمـن إلا منه، ولا يطلب بما قـدم إلا رضاه ـ جل شأنه ـ محتسبا ذلك

عنده، راجيا ثوابه، طامعا في رحمته، فربح البيع إن شاء الله تعالى.

افتتحت المدرسة النظامية عام ١٣٦٦هـ، واستقبلت بها دارين عهدا جديدا، وامتلأت القلوب فرحا، وفاضت الوجوه بشراً، وهنأ الناس بعضهم بعضا بهذا الصرح الذي اعتبروه مقدمة لخير كثير، وهكذا دخل التعليم الحكومي بلدة (دارين) على يد المعلم الداعية، المهاجر إلى الله تعالى بما حمل من آمال طيبة، وتطلعات سامية لأمة الإسلام، وقد قدر الله أن يكون مطلع هذه الآمال في تلك الدرة الرابضة على الخليج العربي، فكان ذلك منعطفا تاريخيا لهذا المجتمع الصغير في حجمه الكبير بهمة أهله، وعظيم طموحهم، ومرحلة متطورة في حياته، وتقاليده، وتفكيره.

لقد كان التعليم في دارين مقتصرا على الكتاتيب؛ حيث يدرس القرآن الكريم، وكانت كوكبة من الرعيل الأول قد درست في تلك الكتاتيب فحفظت كتاب الله تعالى، وتلقوا على يد ( المطوع ) دروسا في علوم الدين واللغة العربية والخط والحساب.

أما في عصر التعليم النظامي فالدراسة أعمق، والترقي فيها ميسور، وهي في انطلاقتها تساير عصر النهضة التي تعيشها المملكة العربية السعودية إبان هذا العهد الميمون.

# تربية ناجحة

لم يكن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ معلما محدود الأفق، تكبله قيود المنهج، وتحكمه سطور الكتب، بل كان مربيا خبيرا بشعاب النفس البشرية، عليما بأسس التربية الناجحة التي تبني العقول والرجال، وتهيئ النفوس لحياة تتناسب مع خلافة الإنسان في الأرض.

لقد كان مؤمنا بحاجة العقل إلى موالاة دائمة وإثارة مستمرة حتى لا يغلبه الخمول أو يجمده الملل، فتراه يقيم المسابقات، ويزكي روح المنافسة بين طلابه، خاصة فيما يتعلق باللغة العربية التي عشقها وقد شرفت بنزول الكتاب العزيز بها، فهي جزء من عقيدته، وكان قادرا على أن يحول حلقة الدرس إلى حلبة سباق يُظْهِرُ كلٌّ فرسانها ما كمن فيهم من قدرات، وما انطووا عليه من مواهب، وتطير بكل فارس رغبة صادقة في الحصول على مركز متقدم متميز. ولعل القارئ الكريم يظن أن الشيخ قد أعد للفائقين الهدايا القيمة، أو صفَّ أمامهم الكؤوس والدروع، أو طَرَّز لهم الشَّارات، وزخرف شهادات التقدير.

الأمر مخالف تماما، إن المربي أخبرُ بميول طلابه، وأدرى بما يحفز هممهم، ويشحذ عزائمهم.

لقد جعل للفائز الأول لقبا يزينه، ويعرف به بين رفاقه، ألا وهو ( سيبويه )، وعلى هذا اللقب كان التنافس، وبه كان فخر من يناله على أقرانه، وله به التقدير من كل من عرفوه.

إنهـا كلمة، ولكنهـا كما يشير بعض طلابه كانت أعظـم أثرا من كل ما يمكـن تخيله من الجوائـز، أو الاتحافات الماديـة المعاصرة، وربما لازمت بعض طلابه، فصارت فخرا له طوال حياته.

وسعادتـه بالفائق، وإعجابه به لا يقل عـن سعادة هذا الذكي النابغة بسبقه، فيضمه إليه؛ ليَجِدَ برد الأبوة الحانية، ويستشعر الحب الصادق، ويـسوق إليه كريم البشارة بمستقبل عظيم، فيرى نفسه محاطا بهالات تدفعه دفعا إلى أن يحافظ على الفوز، ويلزم التميز.

وهـو مع هذا شديد ـ في حكمه ـ مـع من يقعد به جهده، أو ترجع به همتـه، فيؤثر الكـسل والخمول — حتى ولو كان أكبر مـن الشيخ سِناً — مما يحفزه إلى مراجعة نفسه، وحشد طاقاته حتى يُرَى فائزا متميزا.

# المعلم الصادق

إن التعليم رسالة مقدسة، لا تؤتى أكلها إلا بصدق حاملها المبلغ لها، وبمقدار إخلاصه تكون ثمرة جهده، ومدى استجابة سامعيه له وتأثرهم به، ليكون كل ما يصلهم منه فكرا، وسلوكا، بل مُنْطَلَقاً في الحياة كلها.

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ معلما صاحب رسالة ناجحا بالغا من طلابه كل ما يريد، وإني لأسوق إليك ـ أيها القارئ الكريم ـ قصة، وأترُكَكَ للحكم على من تقرأ سيرته، وتقديره كمعلم.

كان بقرية دارين رجل معتوه هادئ لا يؤذي أحداً إلا إذا بادره بالأذى، وقد اعتاد الجلوس على قارعة الطريق حيث يطيب له المقام، ولم تكد الأمور تستقر، وتأخذ الدراسة مسارها الطبيعي في مدرسة دارين النظامية حتى ألف ذلك المعتوه ـ صالح بن مقرن ـ الجلوس أسفل الصف الذي يدرس فيه الشيخ، وأحب الإصغاء إلى ما يقول خاصة دروس التجويد والحديث، وكان يحفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة كما كان يرويه الشيخ، ويردد بعض مقاطع التجويد، وينغم أبياته الشعرية كما يسمعها من الشيخ حتى يقول بعض الطلاب النظاميين إنا كنا نرجع إليه ـ أي المعتوه ـ أحيانا فيما يفوتنا من متابعته، أي الشيخ عبد الله.

أليس في ذلك ما يستوقفك، ويدعوك إلى أن تقلب فكرك، وتطيل النظر حتى تبدي رأيك في مثل هذا؟

ما الذي حمل المعتوه على أن يحول مجلسه؛ حتى يكون قريبا من الشيخ؟

ولم كانت كلماته تصل إلى قلب المعتوه، وتستقر في فكره، وتتسق مع وجدانه؟

وإذا كان هذا أثره في هذا الشخص، فماذا يكون أثره في طلابه ومريديه؟

# الأب المعلم

لم تكن علاقة الشيخ بطلابه موقوتة بساعات الدراسة، وإنما كانت علاقة المربي الفاهم لدوره، المقدر لرسالته فهو أب بما تحمل هذه الكلمة من معان سامية، يحصي حاجاتهم، وتستقر عنده مشكلاتهم، ويرى ما ينفعهم فيقره، ويدرك ما يخشى عليهم فيرفضه.

قوله أمر مطاع، ورؤيته موثوق بها، يباركها الأهل، وينقاد لها الطلاب دون أدنى اعتراض.

**ولم لا؟**

لقد لازموه بعد الدراسة حباً وتقديراً، وسعوا بين يديه إلى المسجد في الأوقات الخمسة، وتنافسوا على حمل المصباح بين يديه في الطريق إلى المسجد لصلاتي العشاء والفجر، وكان إذا رأى في واحد منهم ما يكره صب عليه غضباً في حكمة، وأراه سوء فعله، وبَصَّرهُ بما هو أقوم فلا يلبث حتى يعود معترفاً بذنبه، معلناً استقامته.

وأني لأضرب مثلاً لأبوة ذلك المعلم ـ رحمه الله تعالى ـ لقد تدرج طلابه في المدرسة الابتدائية بدارين حتى أتموا الصف الخامس الابتدائي ولقلة عدد الطلاب لم توافق إدارة التعليم على فتح صف سادس.

ما دور المعلم هنا؟

ربما تظن أن المعلم قد انتهى دوره حين أنهى منهجه، ووصل بطلابه إلى الامتحان فإن اجتازوا كان فخراً له، وإن كانت الأخرى ألقى اللوم

على طلابه، وبَرَّأ ساحته من أي عيب أو نقيصة، لقد بدأ ـ فيما يرى ذوو النظـرة العاجلة ـ دور ولي الأمر؛ ليرى رأيه فـي مستقبل ولده، ويحدد مساره التعليمي الجديد.

غير أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أبٌ لهم جميعاً؛ فدوره قائم بأبوتِك لهم، والتي يعتز دائماً بها، فيختار هو لهم المدرسة التي يفضلها لإتمام دراستهم، وإن خالفت رغبتهم، أو رأي غير ذلك أولياء أمورهم، فاختار لهم مـدرسة الهفوف الأولى لمواصلة الدراسة بهـا، وإن كانت رغبتهم في الدمـام لأنها أقرب، ولكن ثقة الآباء، وإيمانهم بحكمة الشيخ، وبعد نظرتـه، وتقديـر الأبنـاء، واحترامهم لـه جعلهم يقدمـون رغبته على رغبتهم، وينزلون على رأيه، فأخذ أبناءه الطلاب وهم:

١ـ محمد عبد الله أبو عايشة.

٢ـ خليفة السيد أحمد.

٣ـ هاشم السيد إبراهيم.

٤ـ إبراهيم عبد الرازق الهارون.

٥ـ محمد بن حمد اليوسف الذوادي.

وسافر بهم ،**والتقى بمدير التعليم آنذاك وهو الأستاذ عبد العزيز التركي** ـ رحمـه الله ـ وأتم الموافقة، وألحقهـم بمدرسة الهفوف عاد إلـى أهليهم، ومعه بشارات التوفيق في سعيـه، وبلوغ مراده في مواصلة هؤلاء الأبناء تعليمهم.

إنها الأبوة الصادقة بما لها من سمات، وما تحمل من مزايا.

# الشيخ والقضاء بالقطيف

لقد جعل أهل (داريـن) الشيخ مرجعاً، يحكمونه فيها شجر بينهم، وكان إذا فـصل؛ فعلى هدى يحق الحق، ويبطـل الباطل، ولا يخشى في الله لومة لائم ،ويرشد الضال ويريه عثرته؛ ليتوب منها، ويجلي له الحق؛ ليعود إليه، ويلزمه، فولوه الفصل في منازعاتهم، فحالفه الصواب فيما قضى بـه، وأعانته فطنته، وحضور بديهتـه، وبلاغة حجته على احتواء الخـصوم، وإقنـاع كل بما يخصه، فـرضي الناسُ حكمـه، ونزلوا على رأيه، وأسندوا إليه النظر في أحوالهم الشخصية، وعقود النكاح، وغير ذلـك فذاع صيته، وعلت شهرتـه، وسمع به قاضي القطيف، ووقف على كثيـر من أمـره، وبلغه فصله فـي كثير من المنازعـات، وحسن قضائه فيهـا، فاستدعاه وأكـرم وفادته، وعرض عليه أن يكـون مساعداً له في القـضاء، وبعد إلحـاح وإظهار حاجة القـضاء الشديـدة إليه، وتمسك قـاضي القطيف به رغبة فـي الإفادة من فقهه وخبرتـه وورعه وتقواه، ولكثرة القضايا قَبِلَ الشيخ مُضطراً؛ رغبة في إقامة العدل، وتعاوناً على البر والتقوى، وإن كان يدرك بعلمه عظم هذا الموقع.

تحملـه صابـراً محتسباً، مستعينـاً بالله تعالى فـي كل ما يأتي منه، سائلاً إياه أن يهبه السداد والرشاد، وأن يجري الحقَّ على لسانه وقلبه، فأظهـر براعة في عظائـم القضايا، وأثار من حولـه إعجاباً بما أنطقه الله تعالى به من أحكام، مما جعل قاضي القطيف يزداد استمساكاً به، وحرصاً عليه.

لكن صلاته بأهل دارين كانت تلح عليه، وتشده إلى هذا البلد الطيب، وحبه للتربية، وشغفه بالدعوة يهيبان به للعودة إلى هؤلاء الذين أحبهم وأحبوه، والرجوع إلى تلك المجالات التي يسرها الله له ونفع به كثيراً، وكانت تلك الدوافع مجتمعة تتنازعه، وتدعوه إلى العودة إلى تلك المجالات التي خلت من جهوده، والتي لا يقل أي منها في قيمته وخطره عن القضاء، وظل يتحين الفرص للخلاص والعودة، ولذلك لم يلبث أن فرَّ من القضاء عائداً إلى دارين بعد ثمانية أشهر، فاستقبلته دارين، وسعد به أهلها، واستبشر كل من فيها.

# عود حميد إلى أرض الوطن

## دعوة الوطن له

وكما يحن العظيم إلى وطنه، ويتطلع إلى حياة طيبة في ظلاله، حيث يعطي في سخاء، ويبذل في صدق، ويشارك في بناء حضارته، ويساهم في صنع أجياله كذلك الوطن يحن إلى النابغين من أبنائه إن غابوا عنه، ويتلهف إلى عودتهم، وينتظر أن يرى على أيديهم ما يذكره له ولهم التاريخ، وأن يشاهد آثار عقولهم، ونتاج أفكارهم في صنع الحياة والأحياء على أرضه، وهذا من حقوقه الكبيرة عليهم.

وإذا كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قد حقق خلال سنوات معدودات ما حقق في المنطقة الشرقية عامة، وداريـن خاصة فإن قطر الأم الحبيبة، لتنظر إليه ـ وهو نبتها ـ نظرة إعجاب وإكبار، وتعلق عليه آمالاً كباراً، وتأمل أن ترى وفاءه كفاحاً ونهضة على أرضها في وقت يسعى فيه قادتها سعياً حثيثاً نحو النهوض بها، والانطلاق بأبنائها إلى غايات كبرى توفر الخبرات اللازمة من أبنائها في كل نواحي البناء الحضاري، فقد قيض الله لقطر في تلك الحقبة من تاريخها المجيد حاكماً طموحاً، شغوفاً بالعلم والعلماء، مؤمناً بدور العلم في بناء الشعوب، وأثره في صنع حضارة الأمم، وقد كَرَّهَ الله تعالى إليه الأمية، وجعله حرباً على الجهل والتخلف كان ذلكم **الحاكم هو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني** ـ رحمه الله تعالى ـ وجزاه بما فعل خيراً، وقد

أدرك بفطنتـه ـ غفـر الله لـه ـ أنَّ ما يصبو إليه من رقـي، وما ينشده لوطنـه العزيز المبـارك لا يكون إلا بنهضة تعليميـة اجتماعية توفر لها الحكومة الرشيدة كل إمكاناتها المناسبة، وتجمع لها الكفاءات النادرة، والخبرات الواسعة، كما تهيئ النفوس القطرية لها، بحيث يسعى الكبار فـي شوق إلـى ساحات العلـم، ويدفع الآبـاء فلذات أكبادهـم دفعاً إلى ذلـك النور الذي أصر حاكمهم آنـذاك ـ رحمه الله تعالى ـ على نشره، وتيسيـره لكل قطري، ويبـدو أنه كان قد عاهد الله تعالـى على الجهاد لتأصيلـه في المجتمع القطري الجديد، وسأله ـ جل شأنه ـ أن يهيئ له من أمره رشداً، وأن يوفقه فيما هو مقبل عليه.

وما دامت الخبرات هي الأساس الأول، والمنطلق الصحيح فإن لقطر خبـرة مهاجرة مـلأت ـ بفضل من الله تعالى ورحمـة ـ كل درب سلكته إيماناً وعلماً، وزودت كل من عاشرته بزاد طيب من العلم يعينه على أن يكـون يوماً ما مصدر عطاء، ومساهماً في بناء حضاري يصل حاضرنا بماضينا العريق، **ولم تكن تلك الخبرة المهاجرة إلى الشقيقة الكبرى المملكـة العربيـة السعوديـة سوى ذلكـم الشيخ عبد الله بـن إبراهيم الأنـصاري** ـ رحمه الله تعالى ـ وهو قطـري المنبت والمنشأ، والحياة، بـل قـل كل ما فيه من قطر وإلـى قطر ـ وإن كانـت طموحاته التي فطر عليها تتسع للعالم الإسلامي كله، وما الوفاء إلا خلق إسلامي رفيع، فهو وفي لوطنه، حفي به.

لقـد رأى الرجل الـصدوق، والراعي الأمين، والحاكـم الذي يرعى

مسئوليتـه في شعبه **الشيخ علي بـن عبد الله آل ثاني** ـ نضر الله وجهه وطيب ثراه ـ أن غياب رجل كهذا عن بلده، وإقامته خارج وطنه فقد كبير، إذ تستدعي النهضة الشاملة استحضار خبرات من أبناء الدول العربية الشقيقة، فكيف بِخِبرَةٍ هواها مع قطر، وحبها لها، وتعلقها بها؟

والنفـوس هنـا متعطشة إليـه، راغبة فيه، طامعة فـي أن تنال حقها عنـده، أرسل حاكـم قطر **الشيـخ علي بن عبـد الله آل ثاني إلـى أخيه الأميـر سعـود بـن عبد العزيـز آل سعـود ولي عهـد المملكـة العربية السعوديـة** يطلب منه السمـاح للشيخ عبد الله بـن إبراهيم الأنصاري بالعودة إلى قطر ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ وما كان المرحوم **الأمير سعود** ليرد طلب أخيه حاكم قطر فأصدر مرسومه **إلى الأمير سعود بن جلـوي** أمير المنطقـة الشرقية بالسعودية متضمنـاً الإذن **للشيخ عبد الله بـن إبراهيـم الأنـصاري** بالعودة إلى قطر، فكانـت عودته المباركة عام ١٣٧٢هـ.

# تأسيسه أول معهد ديني بدولة قطر

استقبلت قطـر بكل مشاعرها وأحاسيسها الفـارس العائد، ورحبت به، وهي تعلق عليه آمالاً.

استقبلته وهي ترجو على يديه خيراً، وتأمل أن يكون له دوره في صنع الحياة المرتقبة على أرضها الطيبة.

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب رسالة، وهبها نفسه، وجهده وكل عزيز لديه، رسالة قوامها العقيدة السليمة، ومنها يكون منطلقه في كل اتجاهـات العطاء الطيب المبارك، فهداه الله ـ جل شأنه ـ إلى التفكير في إقامـة أول معهد ديني بدولة قطر يكون فاتحـة خير للدين والدنيا، يجمـع به الدارسين علـى عقيدة سليمة، ويدعمها بـكل علم نافع، فإذا انتـشروا في مناكـب الأرض، وولوا أمورها كان دينهـم عصمة لهم في تفاعلهم مع الحياة والأحياء أخذا أو عطاء.

أعد الشيخ خطته، وأوضح تصوره، وكان الله تعالى قد وضع له قبولاً لدى أولي الأمـر، ينزلونه منزلاً كريماً، ويعجبون برأيه، فأعجب **الشيخ علـي بن عبد الله آل ثاني** ـ رحمـه الله تعالى ـ بعرضه،فأقره، وباركه، وأقامه على إدارته، وكلفه باختيار الجهازين الفني والإداري اللازمين.

وقـع الشيـخ ـ رحمه الله تعالى بتوفيـق منه جل شأنـه ـ على صفوة مـن علماء قطر، وطليعة رجـال التعليم بها، منهـم ـ على سبيل المثال

لا الحصر - **الشيخ عبد الله بن تركي، والشيخ محمد سعيد بن غباش، والشيخ مبارك سيف الناخي، والشيخ أحمد القدسي، والشيخ عبد المقصود، والشيخ راشد حسن الدرهم، والشيخ عبد الرحمن أحمد الملا، والمطوع خميس فياض، والسيد عبد الله عبد اللطيف سكرتيرا** - رحمهم الله تعالى - وغيرهم من رواد ذلك العصر، ممن لهم باع في التربية، وخبرة في مجال التعليم، فكانوا خير عون له، أمناء على تلك الرسالة التي اختارهم الله تعالى لها، فكان حسن الاختيار دلالة توفيق وكريم رعاية من الله تعالى.

لقد أعطى هؤلاء الأفاضل الأماجد صادقين، وعملوا مخلصين، وقدموا عن سعة في ظل قيادة تربوية رشيدة موفقة، تقدر قيمة العمل التربوي، وتدرك عظمته.

**وهكذا شهدت قطر مع عودة ابنها البار عبد الله بن إبراهيم الأنصاري قيام أول صرح تعليمي ديني في قطر عام ١٣٧٤هـ.**

لقد أقام المعهد عملاقاً، وضع مناهجه، وحدد مساره، ورسم سياسته التعليمية، واختار أساتذته صاحب فكرته مما كلفه جهداً كبيراً، وعملاً دؤوباً، فاختيار مناهج - مثلاً - ليس بالشيء الهين، ولكنه أمر له خطورته يحتاج إلى مراجعة، وتدقيق، وموازنة، وقد تعقد لجان ولجان، وقد تكون هناك فترة اختبار لصلاحيته وغير ذلك، ولكن الأمر اختلف تماماً فقد كان الشيخ أساس اختيار المناهج، وتنسيقها وتحديد أزمانها، وتنويع المواد مستفيداً بخبرته التربوية، مستعيناً بمن يثق فيهم من ذوي الرأي في هذا المجال، وكان الاختيار موفقاً سديداً مؤدياً أهدافه التربوية.

ورغم مسئوليات الإدارة، وتبعات ريادة هذا العمل التربوي الشامخ قام الشيخ بتدريس مادتي التفسير والحديث، وكان محباً لطلابه يحثهم على القراءة، وحفظ ما استطاعوا من عيون التراث، وبادله طلابه حباً بحب، بل كانوا أبناء بررة أوفياء لأب بر رحيم خبير بما يصلحهم حريص على النهوض بهم.

يحدث بعض العاملين معه في المعهد الديني، فيؤكد أن علاقته بالطلاب كانت وثيقة أبوية تربوية، كان يجمعهم، ويحاورهم في كثير من أمور الدين والدنيا، ويستمع إليهم، فيقر ما يراه صواباً، ويعدل ما يراه غير ذلك بعد إقناع صاحبه، وكان يوجههم بالحكمة والموعظة الحسنة مخاطباً العقول، مستميلاً منهم القلوب، كما كان يجمعهم في كل مناسبة ـ صباحاً أو مساءً ـ يعظهم، ويذكرهم بالبعد عن قرناء السوء، ويحثهم على حلقات العلم والذكر، ويحبب إليهم معالي الأخلاق. إنه كان يستقصي الفضائل، ويفرغها في قلوب أبنائه الطلاب الفينة بعد الفينة.

وكان الشيخ غيوراً على المعهد، حريصاً على ألا تمس مناهجه، معارضاً أن يضم إلى وزارة التربية والتعليم خوفاً من المساس بأصوله التي قام عليها، ورغبة في بقائه للرسالة الكبرى التي أقيم لها، وعند انتداب أساتذة لسد العجز في المعهد كان يضعهم ـ كما يقول أحد هؤلاء الأساتذة : تحت الميكروسكوب خشية أن تنطوي نياتهم، أو اتجاهات باعثيهم على أمر يقصد به التعديل، أو مجرد المساس بشيء من قيم هذا الصرح، مهد الدعاة، ومنشأ الذين يتحملون مسئولية العقيدة،

وعبء حماية التراث، وتحقيق السبق العلمي لدولة قطر في جميع المجالات، ولا تسكن نفسه إلا حين تثبت لديه صحة نواياهم وصدق توجههم، وكان موقفه هذا واضحاً تجاه ندب كل من **الأستاذ عبد الله اليوسف (مدرس الرياضيات)، والأستاذ رضا فاخوري (مدرس التربية الفنية)، والأستاذ عمر الخطيب ( أول معلم للتربية الرياضية بالتربية والتعليم القطرية)**، وقد بعث بهم مدير المعارف لسد العجز في هذه المواد بالمعهد الديني، ولم يلبث هؤلاء أن تحولوا إلى أعضاء كرام في أسرة المعهد بما قدموا من جهد طيب، وتعاون بناء، وإخلاص شهد لهم به الجميع.

ولم يكن نشاطه مقصوراً على المواد العلمية، أو محصوراً فيما حدد من مناهج بل كان يؤمن بأهمية النشاط، وأثره في بناء الرجال فكان ينظم رحلات خارج الدوحة، ويقوم بأعمال تحفز الطلاب والمعلمين على مواصلة النشاط، واستمرار التفاعل بينه وبين التحصيل العلمي بجانب تلك التمارين الرياضية التي يمارسها الطلاب، ومعهم الشيخ عبد الله يشد أزرهم، ويضاعف حماسهم، ويحبب إليهم ذلك اللون الطيب من النشاط بمشاركتهم وتشجيعهم.

وقد يثير هذا شيئاً من الدهشة في نفس القارئ....

شيخ مشغول بالدين، مأخوذ بالدعوة يتخذ كل وسائله، وإمكاناته في الترغيب فيه، والتمسك بشرائعه تجد عنده التربية الرياضية هذه الرعاية؟ بل التشجيع والحث؟

وربما كان هذا الظن دافعاً للأستاذ عمر الخطيب إلى التفكير

في عدم قبول الندب للعمل بالمعهد الديني، حيث يقول: لقد أبديت لمدير المعارف الأستاذ عبد الله عبد الدايم عدم رغبتي في الانتداب للمعهد الديني، وكانت مبررات الرفض أنه لا ملاعب بالمعهد يمارس فيها النشاط الرياضي وليست هناك دروس رياضية ومديره لا يحب الرياضة كما كنت أعتقد، وكان اعتقادي خاطئاً.

ولكن الأحداث تعلي الحقيقة، حقيقة هذا الشيخ، وتكشف عن بعد نظره، وعمق فهمه وسعة أفقه، فالتربية عنده بناء متكامل، وتكوين متناسق لشخصية الطالب عقلياً، وجسمياً، ونفسياً، فلا يعقل أن ينمو عقل في جسم يأكله الضعف، أو تستقيم نفس لمنطوٍ على نفسه، مؤثر للعزلة، هارب من الحركة والتفاعل.

والشيخ داعية إصلاح يتخذ ما استطاع كل الوسائل الممكنة التي تتناسب مع أهدافه، وتساعد على تحقيقها، فلم يكن ليعارض إضافة نافعة، أو يتصدى لنشاط مباح، وهو بطبيعته رياضي ماهر في أقسى ألوان الرياضة.

ألم يكن ـ رحمه الله تعالى ـ غواصاً يضرب به المثل؟

فكيف يُظَنُّ أنه لا يفسح المجال للنشاط الرياضي؟

والشيخ إنما يستمد توجهاته من ذلك الدين القيم، والإسلام بطبيعته لا يرفض الوافد عليه إلا إذا ناقض أصلاً، أو خالف تشريعاً من تشريعاته، فإذا لم يكن كذلك، ورُئِي فيه الخير رحب به، وحض عليه، وباركه، على هذا كان شيخنا.

لقد انتدب الأستاذ عمر الخطيب لتدريس مادة التربية الرياضية بالمعهد وهو خال تماماً من الملاعب، فهل ترى الشيخ ينتظر حتى يخاطب الجهات المسئولة، وترد عليه؟

إن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أكبر من هذا، وهو يملك ثروة وطاقة لا يتحكم فيهما غيره، أما الثروة فنشاطه المشهود له به، وقد أفاضه على أبنائه الطلاب، فكانوا أهلا لتحمل أعظم المسئوليات، وتلك الطاقة الكامنة فيمن يصنعهم على عينه أشد ما تكون احتياجاً إلى مصارف طيبة تنفق فيها.

لقد ألمح إلى أبنائه أحبائه الطلاب برغبته في تجهيز ملعب في أرض بور مجاورة للمعهد، ولم يكد يتم حديثه حتى تهللت الوجوه واستبشرت، وتحركت عزائم الشباب، وانطلقوا باسم الله، وقد وضع الشيخ ـ رحمه الله ـ يده في أيديهم، وقد فاق فورة الشباب وبهرهم نشاطه، وأدهشتهم مشاركته، فحملوا التراب والأحجار فخورين، وسوَّوْا الأرض مستبشرين، فلم يمض غير أيام قلائل حتى أصبح في حوزة المعهد ملعب يفوق نظيره في أي منشأة تعليمية أخرى أُنفِقَتْ فيه أموال طائلة، وبُذِلَت في سبيله جهود متضافرة.

وبدأ الإعداد للمشاركة في المهرجان الرياضي، وليس بالمعهد فرق رياضية، ولكن الهمم التي أقامت الملعب قادرة ـ بعون من الله تعالى ـ على أن تُعِدَّ نفسها ليوم المهرجان.

لقد أقيمت حلقات التدريب ليلاً ونهاراً، والرائد المربي بينهم، وأدهشهم ما شاهدوا.

هنا كانت المفاجأة، إن المعهد منذ شهرين كان بلا ملاعب، ولا فرق رياضية، وأستاذ التربية الرياضية العملاق لم يصل إلا في هذا التاريخ، فكيف صُنِع الشباب؟

ومتى أقيمت الفرق؟ وكيف تم تدريبها؟

إن القيادة الواعية لا يحكمها الوقت، ولا يقعد بها ضعف الإمكانات، كما أنها لا تعرف التعلل، أو اختلاق الأعذار، وإنما تؤمن بأن الحياة عطاء، وأن العقل مدد دائم، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وانهالت التبريكات والتهاني على الشيخ وكل هذا النشاط، يضاعفه الحب، وينطلق به الوفاء إن حب المعلمين للشيخ جعلهم إلى جواره بالمعهد صباحاً ومساءً دون انتظار مقابل، وكذلك تعلق الطلاب به، جعلهم يلاحقونه، ويلتفون به أينما حل، ولذا فهم دائمو الحضور إلى المعهد يسألون، ويناقشون، ويستزيدون علماً ولم يكن عجباً أن يتخرج في المعهد الديني الأول بدولة قطر كوكبة من العلماء والمفكرين نفث فيهم الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ من روحه، وورثهم نشاطه، وخلع عليهم بالغ همته، ورباهم على مبادئ تجلت في عطائهم، بل قل ـ ولا حرج ـ إن هذا الجيل هو جيل الرواد الشامخين.

وإني لأستسمح القارئ الكريم حتى يقول كلمته بعد عرض نماذج ممن رُبُّوا على يد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في المعهد الديني الأول بدولة قطر الذي أسسه، وأداره، وعلم فيه، وربّى، وتعهد طلابه ليصبحوا فيما بعد صوراً مشرقة، ومُثُلاً تحتذى.

من هؤلاء الرواد على سبيل المثال لا الحصر:

- الأستاذ راشد عبد الله علي، وزير الخارجية الأسبق بدولة الإمارات العربية.
- الأستاذ عبد الله حميد المزروعي، وزير العدل الأسبق بدولة الإمارات العربية.
- الأستاذ ثاني بن عيسى بن حارب، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الأسبق بدولة الإمارات العربية.
- الأستاذ أحمد عبد الله عسكر ( رحمه الله تعالى ).
- الأستاذ محمود هزاع عبد ربه ( يمني ) من رجال التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية.
- الأستاذ عبد العزيز عبد الله تركي، وزير التربية والتعليم الأسبق بدولة قطر.
- الأستاذ محمد سالم الكواري ( سفير سابق ).
- الأستاذ راشد سالم الكواري ( متقاعد ).
- الأستاذ يوسف عبد الرحمن الملا، مساعد وكيل وزارة التربية والتعليم بدولة قطر للشئون الثقافية.
- الأستاذ سلطان محمد الملا، مساعد إدارة التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر.
- الأستاذ نصير اختر بشير ( باكستاني ) بالتعليم الأهلي بالتربية والتعليم بدولة قطر.

- الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المولوي مدير إدارة العلاقات الثقافية بوزارة التربية والتعليم.
- كمـا شرفني الله تعالى بأن أكون تلميذاً لسيدي ووالدي فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وأن أكون زميلاً لهؤلاء الرواد الأعلام.

وإنـه لمِنْ يُمْنِ الافتتاح أن تضم هذه الكوكبة أعلاماً من دولة عربية أخـرى كدولة الإمـارات العربية، ودولـة اليمـن، ودول إسلامية كدولة باكستان، وما كان بوسعي استقصاء منسوبي المعهد؛ فقد ضم المعهد بين أروقته كثيراً من أبناء قطر، وأبناء دول عربية مجاورة، وأبناء دول إسلاميـة التقـوا جميعاً من أجل غاية واحـدة، وارتووا من معين واحد، وأتيحـت لهم فرص متكافئـة، ورأوا في مدير المعهـد وأساتذته جميعاً آباءهـم يمثلون وجه قطـر بما فيه من بشاشة، وما يكـسوه من إشراقة الحـب الشامل، والبر الـذي لا يعرف التفرقة، والعطـاء الصادق الذي لا يفرق بين قطري وغيره.

واستمـر المعهـد فـي أداء رسالتـه، ورعاية قاصديه، وبـذل أقصى الجهـود لبناء تلك الشخصيـات الناشئة، والنهوض بهـا دينياً، وعلمياً إلـى أن رأت الدولـة إنهاء خدماتـه بعد ثلاث سنـوات لتأخذ المدارس النظامية دورها، فكان شبابه زينة المدارس التي انتقلوا إليها، يعرفون بتفوقهم العلمي، وتميزهم الخلقي، ونشاطهم الواضح.

# الشيخ مدير
# لمدرسة صلاح الدين

وتلقي إليه قطر بأماناتها الواحدة تلو الأخرى، وهي واثقة أنه أهل لما يناط به، بل إن حكام قطر بما أوتوا من سداد الرأي، وبعد النظر وصدق الفراسة ليرون أنه أكبر مما يُخْتَارُ له، ولذا فهم يخبئون له عظائم الأمور، وهم موقنون بكفاءته، واثقون بقدرته على النهوض بها، والوصول إلى أعظم ما يتصوره أولو الخبرة.

اختاروه مديراً لأكبر مدرسة ـ آنذاك ـ بدولة قطر، ألا وهي المدرسة الابتدائية الجديدة والتي أطلق عليها اسم البطل المنقذ صلاح الدين فاشتهرت بمدرسة صلاح الدين، فإذا هو نشاط يفيض على كل من فيها، وإذا هو حب يغمر من حوله جميعاً.

طلابها ـ وهم من أهم أسس العملية التعليمية ـ أحبوه، فأحبوا العلم من خلاله، وآباؤهم تعلقوا به، فعشقوا التربية بعشقهم له، والمعلمون العاملون بالمدرسة ألفوه، فأخلصوا العمل، وتفانوا في أداء الرسالة وفاء للعلم، وتقديراً **للشيخ عبد الله الأنصاري** ـ رحمه الله ـ أوفى الأوفياء، وقد أنزله خلقه من معاشريه منزلاً كريماً، وجعلت له سماته المتميزة مستقراً في قلوبهم، فقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ مثلاً للقيادة الذكية الواعية الحكيمة في كل موقع من مواقع المسئولية التي وليها، والعمل التربوي بطبيعته يختلف عن أي عمل، وقيادته تستلزم من القدرات ما قد تستغني عنه القيادة في كثير من مجالات العمل الأخرى، فهو

علاقة بالدارسين، وهم نشء في سن متقدم، وارتباط بأولياء الأمور، وطباعهم مختلفة اختلاف بصماتهم، ومتنوعة تنوع أمزجتهم، وتعاونٌ مع مَنْ هم دونه في المسئولية من هيئة التدريس والعاملين بالمدرسة، واتصالٌ بالمسئولين، وعرضٌ لقضايا العمل، ومناقشةٌ لمشكلاته، ولكل فئة من هؤلاء طريقة في التعامل معها، والالتحام بها، والتفاعل معها، والاستفادة بكل إمكاناتها.

فالطالب إذا أحب المدرسة أحب العلم، وأقبل على الدراسة، وشغف بها، ولن يحب المدرسة إلا إذا وجد فيها آباء يسبغون عليه رحمتهم، ويشملونه بعطفهم وحنانهم ومودتهم، فيجد راحة في تلك الدار التي تزيل أميته، وتخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

وأولياء الأمور يستودعون المدرسة فلذات أكبادهم، وأحب الخلق إليهم، ويسلمونهم إلى أصحاب الرسالة العظمى، لينشئوهم إنشاءً جديداً، ويبدعوا في توجيه أفكارهم وسلوكهم، فإذا وجدوا من يخلص لهذه المهمة، ويصدق في تحمل أعبائها أعطوه من أنفسهم كل ما يستحقه، من ود عظيم من مقدريه المؤمنين به، المعظمين لرسالته.

أما العاملون بميدان العطاء التربوي ( المدرسة ) فهم في حاجة إلى حكيم يقدر الإخلاص، ويشجع عليه، ويفطن للمخالفة، ويعرف كيف يحتويها، ويستقطب المخالف، ويسيطر عليه، ويعدل من سلوكه، بل يحتويه، ويجعل منه نموذجا طيباً للعطاء الجاد المخلص.

أما المسئولون على مختلف مستوياتهم فهم في حاجة إلى عقل كبير، وقلب قوي، ونفس مطمئنة، بالإيمان ترى الحق فتقره، وتحسن إبلاغه،

وتكبر العدل، وتأبى الظلم، وتواجه فيه، ولا تخشى في الله لومة لائم.

وقد شاء الله تعالى أن تجتمع تلك المزايا وأكثر منها في شيخنا، رحمه الله تعالى.

يُحَدِّثُ كثير من معاصريه طلاباً أو غيرهم أن منهجه التربوي كان حافزاً للفائقين قلَّ أن يجدوه عند غيره، كما انطلق بكثير من المقصرين إلى الجد والجهاد حتى نافسوا الفائقين، فأحبه أبناؤه الطلاب حباً كثيراً، والتفوا به وأحاطته قلوبهم، واستراحت إلى كلماته أسماعهم واستجابوا لنصائحه، واتبعوا إرشاده.

وأولياء الأمور حظوا عنده بعلاقات ما كانوا ليجدوها عند غيره؛ فهم يجدون عنده أخبار أبنائهم، فيطلعهم على المزايا؛ ليحثوا أبناءهم على الاستزادة منها، ويسوق إليهم ـ في حكمة ـ جوانب التقصير كاشفاً عما بذل من جهد في علاجه، مبدياً وجهة نظره في دور الأسرة ومشاركتها، فاستراحوا إليه، واطمأنوا لجهوده، وأمنوه على ودائعهم.

والعاملون بالمدرسة يمثلون جسداً رأسه مدير المدرسة، فإذا صلح الرأس صلح الجسد، ولا يكون صلاحه إلا باستقامته على الحق والتزامه العدل، وحيدته في تعامله مع أعضاء هذا الجسد، لا يحابي على حساب الرسالة الكبرى، ولا يدني فلاناً لظرفه، ومعرفته بفنون القول، وإن خرب الأداء وفقد الصلة برسالته.

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ شخصية فريدة، يزن من حوله بميزان الصدق والعدل، ويبلوهم بذكاء وفطنة؛ حتى يتبين كوامن صدورهم،

ويكشف الله تعالى له خوافيهم، فإذا بان اعتدالهم أولاهم ثقته، ومنحهم حبه، وكثيراً ما كان يقول: نحن نعطي الثقة، ولكن لمن يستحقها، ولمن هو أهل لها.

وإن ظهر خلاف ذلك عالج بحكمة، وأصلح ما استطاع.

لقد كان حريصاً على أن يجعل من نفسه مثلاً وقدوة.

كان كما حَدَّث عنه معاشروه أول الحضور إلى المدرسة صباحاً، ولا يتغيب عنها أبداً، ولو كان مريضاً.

كان للعاملين معه أباً رحيماً، وأخاً كريماً، يرعى حقوقهم، ويصون كرامتهم، ويسعى في حاجاتهم حتى يبلغها.

كان لأحد مدرسي مدرسة صلاح الدين قريب في النمسا، وكان له بنتان وولد، وقد كبرت البنتان، واتصل أبوهما بقريبه هذا، لينقذه بنقل البنتين إلى بلد عربي مسلم؛ حيث يخشى عليهما الفساد، وكانت التأشيرات صعبة آنذاك بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، فما اعتذر الشيخ، أو تعلل بصعوبة الموقف ـ وهو محق لو اعتذر ـ ولكن الشيخ لم يكن يعرف مثل هذا الخلق، فانبرى دون تردد في عزم وثقة بالله، والتقى مباشرة بأعلى الجهات المسئولة بالدولة، وعاد بالتأشيرتين، وحضرت البنتان، وعاشتا في رحاب دولة عربية مسلمة، تقيم شرع الله تعالى وترعى حدوده، وأقامتا حتى تزوجتا.

ترى ماذا يكون موقف عاملين يرون في قائدهم هذا التفاني في خدمتهم، والعمل على استقرارهم.

لابد أن يبادلوه وفاء بوفاء، وإن كانوا لن يبلغوا شأوه،لقد كان مدرسو المدرسة يأتون وقت فراغهم إلى المدرسة بعد الدوام الرسمي، حيث يجمع كل معلم طلابه مراجعاً، مجيباً على تساؤلاتهم واستفساراتهم، موضحاً لهم ما أبهم عليهم، وربما يتخاصم المعلمون؛ لأن بعضهم نال قدراً من الوقت مع طلابه، بينما قضى آخرون وقتاً أطول، وكل هذا بلا مقابل مادي.

إن روح الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سرت فيهم، فحبب الله تعالى إليهم العطاء الطيب النظيف غير المشروط، وروعيت مصلحة الطلاب بأعظم وأروع الصور ببركة إخلاص القيادة، وصدق الراعي، وإخلاص العاملين معه.

كانت المدرسة تستقطب الغالبية العظمى من أبناء الوجهاء ثقة منهم في إدارتها التي تولاها شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ وإيماناً بعظمة منهجه التربوي، ورغبة في إفادة أبنائهم من جهوده المخلصة وعطاء صفوة الأساتذة الذين لا يألون جهداً في أداء الواجب بصورة يرضى عنها الله تعالى أولاً، ثم تتناسب مع رسالتهم، وثقة الوطن الأعز فيهم.

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يؤمن بدور ولي الأمر في إنجاح العملية التعليمية، وإتقان البناء التربوي، فكان الأذن الواعية لكل ولي أمر وجيهاً كان أو فقيراً، ولذلك كان مقصد الجميع، يسعدهم منه وجه صبوح، وابتسامة مشرقة، وسعة صدر، وحسن استقبال، يجدون عنده راحتهم، وَيُوَدِّعُونَ مجلسه بنفوس راضية مطمئنة.

# توجهات تربوية

- علم وسلوك قويم.
- حسن توجيه لطاقات الشباب.
- درس لابد منه.
- التربية على المنهج الإسلامي.

# علم وسلوك قويم

تتعاون المواد الدراسية في صناعة الطالب، وتكوين شخصيته وتحديد سماته العقلية والنفسية والجسمية والذوقية، وتختلف كفاءة القائمين على التربية في أي مؤسسة تعليمية باختلاف قدرتهم على الموازنة بين هذه الجوانب، وإعطاء كل منها حقه دون أن يطغى جانب منها على الجوانب الأخرى، وكثيراً ما يكون لاتجاه الرأس ( مدير المدرسة ) أثر كبير في تحديد الجانب المحظوظ، فقد يكون علمياً مشغولاً بقضايا الفكر، فيتركز طموحه في إبراز الناحية العلمية والتميز فيها، والنهوض بها.

وقد يكون مرهف الحس فياض المشاعر، فيوقف حياته وحياة من قدر لهم أن يصحبوه على النواحي النفسية والخلقية.

وقد يكون مولعاً بالرياضة حريصاً على تأصيلها، ولو على حساب بقية المواد، أو يكون ذا ذوق خاص متميز فَيُعْنَى بتربية الأذواق وهكذا.

وفي كل هذه الحالات لا تثمر التربية شخصية سوية، ولا تبني الإنسان المنشود المستهدف لدى علماء التربية، إذ بناء الإنسان عملية متكاملة، تنمي فيه قدراته المختلفة، وترعى اتجاهاته كلها، وهي ـ وإن تفاوتت حاجة كل إنسان، واهتماماته في النيل من هذه الجوانب والتفاعل مع كل منها ـ ضرورية في البناء التربوي السليم.

والذين تتلمذوا على الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لمسوا فيه تلك

المزايا مجتمعة، فاهتمامه العلمي جعل مدرسة صلاح الدين مدرسة نموذجية من حيث الأداء والتحصيل العلمي والنتائج، كما تقام فيها الصلاة كمنهج لا يتخلف عنها معلم أو متعلم أو غيرهما متخذاً في ذلك الأسلوب القويم للدعوة بحيث تتبع الصلاة من المصلي، ويترقب وقتها راغباً فيها لا يحركه غير حبه، ولا يدفعه إليها إلا عقيدته، وإيمانه بعظمة الوقوف بين يدي الله تعالى، فهو لا يساق إليها، ولا يكره على الانتظام في صفوفها.

انظر كيف تؤدى الصلاة؟ وكيف يدعى إليها النشء فضلاً عن الكبار كما يرى شيخنا رحمه الله تعالى؟

تعود التلاميذ المشاركون في المهرجان أداء صلاة العصر جماعة مع المعلمين قبل الذهاب إلى التدريبات استعداداً للمهرجان الرياضي، وأُذِّنَ لصلاة العصر يوما ما ـ كالمعتاد ـ وإذا بأحد الأساتذة يلاحق التلاميذ والمعلمين، ويدعوهم إلى الصلاة بانفعال وشدة، وكأنه لو لم يسلك هذا المسلك ما ذهب أحد إلى الصلاة، فما كان من الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ إلا أن قاطعه، وقال له: لِمَ تنهرُ الناس؟

إن المؤذن أعلم الجميع، وهم ـ والحمد لله ـ في طريقهم إلى الصلاة، فلا تحرج الناس.

أمَا خاطب الله تعالى نبيه (ﷺ) بقوله:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [1].

(١) سورة الغاشية الآيتان (٢١،٢٢).

إن الشيخ يريد اندفاعاً عن رغبة، وتنافساً تمليه العقيدة، واستباقاً بحركة الحب لله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو يأبى أن يكون الداعية فظاً غليظ القلب، وإنما يحرص ـ دائما ـ على أن يكون منهج الدعوة ـ مع الناس عامة ومع هذه البراعم خاصة ـ كما علَّم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١)

حتى لا يملَّ الناس الدعاة، أو يقبلوا على العبادة في فتور، ومجاراة للعادة.

ما أجمل أن يتعهد المربون النشء بهذا المنهج القرآني الكريم، ويحببوا إليهم الصلاة، ويتفننوا في ترغيب الشارد عنها!

أليس من الممكن أن يكون من هؤلاء دعاة؟

فأي عمل أفضل من أن يلقنوا الأسلوب الصحيح للدعوة إلى الله تعالى في حياتهم العلمية على يد معلمهم الأكبر الشيخ عبد الله الأنصاري؟

(١) ـ سورة النحل الآية ( ١٢٥ ).

# حسن توجيه لطاقات الشباب

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ذا ذوق إبداعي رائع، وليس ذلك بغريب على من نشأ في رحاب القرآن، وطعم جمال التصوير من خلال أسلوب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وغذي بجمال الأداء، فأصبح الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ شغوفاً بتربية الأذواق حريصاً على تنمية الإبداع لدى أصحاب المواهب من طلابه، وتوجيه قدراتهم توجيهاً سديداً يتفق وتلك العقيدة التي شرفنا الله تعالى بها، فوجدت التربية الفنية في رحابه خير رعاية؛ حيث وفر لها الإمكانات، وشجع على ممارستها، وكرَّم النبوغ فيها؛ حتى أصبحت المدرسة معرضاً فنياً يحكي قدرات متفاوتة، وما أقيمت مسابقة إلا وشارك فيها أبناء المدرسة، ونافسوا، وحققوا فوزاً، ونالوا، ونالت مدرستهم التكريم على ما قدموا من إنتاج فني رائع، ولقوا من أستاذهم ومربيهم الشيخ عبد الله خير تشجيع.

والشيخ الرياضي بطبعه ونشأته أكبر مشجع للرياضة، وخير مؤازر لطلابه لإدراك أكبر قدر منها، حتى اعترف أستاذ التربية الرياضية بفضل الشيخ عليه، وعونه له بالتشجيع، وتيسير الوسائل والأسباب المعينة له ولطلابه.

في آخر العام الدراسي، وعند بدء الصيف كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يجمع حصتي التربية الرياضية والفسحة ـ وكان وقتها ساعة

ـ ويطلب إلى معلم التربية وسكرتير المدرسة ومن لديه فراغ من الأساتذة الخروج بالطلاب إلى الخليج لتدريبهم على السباحة، وعقد صداقة بينهم وبين البحر، مع تزويد الجميع بنصائح غالية في هذا الفن الرياضي الذي أتقنه، وبرع فيه، وكانت الثمرة أن أتقن الطلاب السباحة، ولم يحدث بفضل الله تعالى أدنى حادثة.

وقد تكون الرياضة طريقاً لإضافة جديد متنوع من المعارف، وتنمية الذوق، وتوجيه القدرات، وحسن استغلال طاقات الشباب، وليس كالرحلات طريقٌ إلى ذلك بما فيها من نشاط الحركة والتنقل، وما يتعوده الرحالة من الصبر، ويلتزمه من الاعتماد على النفس، وحب الجماعة والائتلاف بها، والاستمتاع بمظاهر الجمال، والتعرف على بيئات وظروف قد لا تتيسر للإنسان في حياته العادية، وغير ذلك.

وقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ مضرب المثل في ذلك.

وحين سئل عن ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

أنسيتم أنني غواص؟

إنه يواصل مع الطلاب التمرينات الرياضية الصباحية.

أرأيت أخي القارئ الكريم كيف تكون مشاركة الرائد؟

وكيف يعطي من حوله من نفسه القدوة والمثل؟

# درس لابد منه

وعلى طريق التربية يحاول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أن يجتاب مع طلابه كل روافد التربية، ويستكمل جوانبها ما أمكن، ويخوض بأبنائه مجالات هامة، وإن أغفلتها المناهج، أو حالت دونها الظروف والإمكانات، والتربية عند الشيخ كلٌّ لا يتجزأ، وإذا اقتصر الأمر على استيعاب المناهج، وبعض السلوكيات، وما تيسر من النشاط فتلك تربية مبتورة.

إن التفاعل مع المجتمع أخذاً وعطاءً، والرفقة في السفر، وما يلزمها من آداب، والتعارف والتنافس مع مجتمعات أخرى قيم غالية فإذا أتيحت في رحاب العلم، ووقعت مشاهدة محسة عن طريق القدوة الحسنة، وشارك فيها الطلاب كدروس عملية، فمنهم من يصيب فيشكر على إصابته، و مَنْ يخطئ فيقوم الخطأ استقرت في النفس، وخالطت المشاعر، وامتزجت بالطبع، ومن كشيخنا يحرص عليها أشدَّ الحرص؟

لقد استطاع الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ باتصالاته أن يعقد لقاء رياضياً بين الفرق الرياضية بمدرسته ومثيلاتها بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية (في الخبر والدمام)، وكان ذلك في إجازة نصف العام الدراسي ( ٥٩ ـ ١٩٦٠م ) ونشط معه رجال من المعلمين في طليعتهم معلم التربية الرياضية، واستأجرت المدرسة حافلة

لقطع رمال أم حويض؛ حيث لم يكن هناك طريق معبد يربط قطر بالسعودية، وصحب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ الركب بسيارته الخاصة (فولكسفاجن)، وقدراتها معروفة، والطريق غير مناسب لها، ومع ذلك صمم الشيخ على السير بها ـ ربما لحكمة ـ فقد تتوقف القافلة لأمر ما....

**فكيف يتم الإنقاذ؟**

أو ربما انطوت نية الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على حِكَمٍ أخرى لاصطحاب هذه السيارة، ويمر الركبُ على الكرعانة، ويدعو وجيه من وجهائها – هو الشيخ فهد بن علي الثاني – الشيخ عبد الله، ومن معه لتناول القهوة، ويرى الشيخ فهد سيارة الشيخ عبد الله فيمازحه قائلاً: ستترك هذه السيارة في أول الطريق وتركب الحافلة مع الربع، لأنها لا يمكن أن تقطع الرمال وهي بهذا الحجم والقوة، ولكن الشيخ يبتسم كعادته، ولسان حاله يقول: ستذهب وتعود بإذن الله تعالى، وكأنه يريد أن يعلم من معه درساً مؤداه: إذا ضعفت إمكاناتك فاحرص على أن تصنع شيئاً بهذه الإمكانات، ولا تلتمس لنفسك عذراً.

ذهب بها الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ونظم للركب رحلته، وأماكن الراحة على الطريق للاستجمام والطعام والصلاة والمزاح الكريم الذي يهون وعثاء السفر على هذا الطريق الموحش، فما أحسوا تعباً أو نصباً حتى وصلوا إلى مقر الضيافة المعد لهم لدى وزارة التربية والتعليم السعودية، فأقاموا ثمانية أيام نافسوا خلالها في عشر مباريات، وكان

الفـوز مـن نصيب شباب قطر في سبـع مباريات، والتعـادل في اثنتين وهزيمة واحدة.

عـادت القافلة يتقدمها القائد بسيارتـه إعلاماً بأن الثقة في النفس أساس النجاح، وأن العزيمة تصنع ما تعجز عنه الإمكانات.

عـاد شبابنـا وقد لقنهـم الشيخ ـ رحمـه الله تعالى ـ مـع كل لحظة درساً، وأراهـم فـي كل خطوة سلوكاً، وعلمهم خـلال أيام ما قد تضيق عنه سنوات طوال.

# التربية على المنهج الإسلامي



الحق أقول دون إسراف أو مبالغة، مراعياً الله فيما أحدث به، فالله وحده يعلم أنني ما أكتب كلماتي إلا إحقاقاً لحق، ووفاءً لتاريخ، ورعاية لحق الأمة:

إن عناية سيدي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ بالتربية أمر ينبع من فطرته، ويتسق مع عقيدته، ويعبر عن حبه العميق لدينه، فقد عَلَّمه الإسلام أن الإيمان تربية، فقد آمنا بالله رباً، ربانا ـ جل شأنه ـ على نعمه، وتولانا بفضله، وربى رسله وأنبياءه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تربية معصومة، لا يأتيها الباطل، ولا يدركها ريب، ولا يمسها هوى، فبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وأحسنوا البلاغ، وصبروا وصابروا، وجاهدوا في الله حق جهاده، فكانوا رحمة لمن آمن، وحجة على من أدبر..

ألم يقل الله تعالى لموسى عليه السلام:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (١).

وفي آية أخرى يقول لموسى ـ عليه السلام ـ أيضاً:

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ (٢)

فإذا ما رفع ذكر خاتم الأنبياء ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له ربه ـ جلا وعلا ـ ممتنا عليه:

---

(١) ـ سورة طه الآية ( ٣٩ ).

(٢) ـ سورة طه الآية ( ٤١ ).

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (١).

وربـيَّ الرسول الأكـرم ـ صلى الله عليه وسلـم ـ أصحابه رضي الله عنهم أجمعيـن، كما ربيَّ أمته الخاتمة، فكيف يعيـش إنسان في رحاب هذه الأجواء الذكية النقية الخالصة، ويقلب صفحات التربية المصفاة، ولا يؤمن بـأن التربية أساس من أسس هذا الديـن الحنيف، وأن العمل في مجالها جهاد لإبلاغ رسالة اختار لها صفوة خلقه رسلاً، والأخذُ بها اتباعٌ لنهجهم القويم.

لقـد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ينطلق إلى جهاده التربوي، وهو على يقين أنه إنما يجاهد في الله ولله.

يقـول ـ رحمـه الله تعالى ـ فـي حديث أدلى به إلـى مجلة العهد في عددها السادس الصادر في ١٣/٨/١٩٧٤م:

إن الإسلام ليـس بدين جمود، الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وهو لا يقف أبداً حجر عثرة أمام من يريد الرقي والتقدم، والإسلام فيه كل ما يخص حياتنا.

إن الطاقات الروحية التـي يمدنا بها ديننا الحنيف كفيلة بأن تحمي شبابنـا وأولادنـا – لو تمسكوا بها – من كل سوء. أ. هـ. ( مقال معاد ) وتسجل له جريدة الشرق في عددها الصادر في ٢٣/٤/١٩٩٠م قوله:

(١) ـ سورة النساء الآية ( ١١٣ ).

## فضيلة الشيخ عبدالله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

إن الإسلام يجمع بين الفكر المثالي والواقع الإنساني في اتزان يجعل للفكر الإسلامي طابعاً خاصاً متميزاً. أ. هـ.

أما التربية حسب مفهومه الإسلامي فهي تنمية للجسد والعقل والخلق يقول في نفس العدد السابق:

وترجع كلمة التربية في أصلها اللغوي العربي إلى الفعل ( ربا ـ يربو) أي نما وزاد، ونقول: ربَّاه بمعنى نشَّأَهُ، ونَمَّى قواه الجسدية والعقلية والخلقية. أ.هـ.

وحين سئل عن موقفه من النظريات التربوية الحديثة أجاب في مجلة العهد ـ العدد السابق ـ بما يوحي بتشبعه بروح الإسلام، حيث ينبغي أن تعطى كل مرحلة من مراحل الإنسان المراد تربيته ما يناسبها.

لقد طرح عليه هذا السؤال:

للتربية في عالمنا اليوم نظريتان الأولى تقول بترك الطفل حراً يتعلم من التجربة والخطأ.

والثانية تطالب بتوجيه وتقويم الطفل، وعدم تركه. فما رأيكم؟

فيقول: إنني في مجال التربية أؤيد هاتين النظريتين معاً، فقد وجدت من تجاربي أن الطفل لابد أن ينشأ، ويربى ويتعلم، ولا يترك، وهذا ينطبق على الغلام من سن سبع إلى الخامسة عشرة من عمره، فلابد وأن نحذره من هذا الخطأ ونرشده إلى الأعمال الصحيحة،

ونلقنه مبادئ الأخلاق والتقاليد والعادات الاجتماعية، نعوده العادات الحسنة الصالحة والشاعر يقول:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا تلين إذا كانت من الخشب

التوجيه والنصح والإرشاد واجب بالنسبة للغلام، ثم ما تقول به النظرية الثانية؛ وهي تركه حرا يتعلم من التجربة والخطأ فهذه قد تصلح للشاب إذا ما بلغ الثامنة عشرة، هنا يكون لديه نشاط وقوة إرادة، وهذا قد يجعله في بعض الأحيان مخالفا لما تعودنا عليه، وتعرفنا، وإذا ما اتبعنا القوة في هذه المرحلة قد يدفعه ذلك إلى الاختلاف معنا والخروج علينا، في هذه الحالة نأخذه بلطف وحنان وشفقة، ونقدر له اندفاعه وحيويته، ونترك له – أحيانا – المجال ولو علمنا أنه سوف يخطئ – إذا كان الخطأ لا يمس دينه أو عرضه أو شرفه؛ ذلك أنه قيل: "مَنْ لَمْ يُخْطِئْ لَمْ يُصِبْ". أ.هـ.

أرأيت أخي القارئ كيف صاغته التجربة، وصنعته صلته الوثيقة بالإسلام؟

وهو مؤمن بدور الأسرة في التربية، وأثرها البالغ في إنجاح العمل التربوي.

يقول لصحيفة الشرق في عددها السابق: والتربية في الإسلام مرجعها الأول الأسرة، فتعود إلى الأب والأم لقوله ـ (ﷺ) ـ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

فالأب راع في أسرته، وفي تنشئة أبنائه، والأم راعية في بيتها ومال زوجها وتنشئة أبنائها وبناتها تنشئة إسلامية، تقوم على المحافظة على الأخلاق والعادات والتقاليد الإسلامية، والأب والأم يجب أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم، وألا يفعلوا ما عنه ينهونهم، فلا ينهون عن المنكر ويأتونه بأي صورة، ولا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه، وأن يتبعوا قول العلي القدير الذي وضع الأسس والمناهج؛ فيقول عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّه أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

فهذا أمر سماوي بألا نقول ما لا نفعل، أمر يضعه كل أب وكل أم في تنشئة أبنائهم موضع التنفيذ، ويتخذه مجالا للاقتداء والتأسي.

وهكذا نرى العقيدة واضحة الأثر في اتجاهات شيخنا، وقد أعده الله بها إعدادا سليما لمواجهة الحياة، وإن اختلفت العصور، وتباينت البيئات، ومهما ادعى الإنسان من رقي، أو أقام من حضارة.

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن يؤكد عظمة الإسلام وعظمة الآخذين به، المعتصمين بحبله، المهتدين بهداه فرادى وجماعات، وأنه لا نجاة للبشرية إلا بالعودة إلى دين الله.

---

(١) - سورة الصف الآيتان (٢، ٣).

# إدارته الشؤون الدينية والقروية

ولقد شاء الله تعالى أن تكون النهضة التي بدأها حكام قطر ـ نضر الله وجوههم ـ عامة شاملة، تطور المدن، وتوفي القرى حقها تعطي الحضر، وتيسر لهم، وهي على سكان القرى والبدو أحرص.

إنها السياسة العادلة التي ترى أبناء الوطن سواء، على كل منهم واجب نحو وطنه، وله حقوق في هذا الوطن، والحضارة التي تهمل ضعاف الأمة، وتتناسى أعماق الوطن حضارة قاصرة؛ فالرقي الحقيقي لا يكون سمة بلد من البلاد إلا إذا ظهر أثره في ملامح سكان المناطق النائية وحياتهم، وحدثتك عنه تلك البقاع التي عانت العزلة، وتحالف عليها الإهمال وسوء الحال حينا من الدهر.

وقد قيض الله تعالى لبلدنا العزيز قطر رجالاً آلوا على أنفسهم ألا يتركوا موضعا حتى يسبغ عليه التقدم أنواره، وألا يدعوا فردا إلا وينال حظه مما يسر الله تعالى للوطن على أيديهم، واتجهوا بعنايتهم وكريم رعايتهم إلى القرى، فأنشئت إدارة الشئون الدينية والقروية التابعة لوزارة المعارف عام ١٩٧٧م وعهد إلى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بإدارتها إلى جانب إدارته لمدرسة صلاح الدين، وهي مهمة صعبة ينوء بحملها العصبة أولو القوة؛ حيث يتولى الإشراف على تنظيم العلوم الشرعية وما تتطلبه من الكتب والمناهج، ثم القرى بما تحتاج

إليه من صبر ومصابرة، وجهد صادق، وعمل متواصل ودأب، وخبرة واسعة لعظم تطلعات الناس وتنوع حاجاتهم وكثرتها، وقلة صبرهم وحرصهم الشديد على سرعة تحول أحوالهم، وكانت مسئوليته ـ رحمه الله تعالى ـ تشمل قرى قطر عامة، كما تشمل كل ما يتصل بها من تعليم،وخدماتٍ أخرى .

ولقرى الشمال ظروف خاصة؛ فهي كثيرة متناثرة، لا تكفي قرية واحدة لإمداد مدرسة بالعدد المناسب من التلاميذ مما يدعو إلى اختيار القرى ذات الوضع المتميز، وإقامة المدارس بها؛ لتقدم كل مدرسة خدماتها التعليمية إلى أبناء عدة قرى، وبذلك يصبح الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مسئولا عن اختيار الموقع المناسب لكل مدرسة كما يتحمل تبعة نقل التلاميذ والمعلمين إليها، وتوفير كل الخدمات اللازمة لإتمام العملية التعليمية بها، كما يدخل في اختصاصه سائر الخدمات العامة المتعلقة بتلك القرى كالمياه، والمواصلات وقضايا الإسكان عامة، كما أولته الدولة ثقة غالية فأصبح مرجعا في أمور الناس عامة مواطنين وغيرهم؛ فمن يرغب في التقدم للامتحان في مرحلة من مراحل التعليم ـ مثلا ـ أو يريد الالتحاق بالمدارس، وليس لديه جواز تكفيه شهادة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حين يعطيه ما يفيد أهليته لذلك، ولو قدر لنا أن نراجع ملفات هذا الجيل لوجدنا ضمن أوراق ملفات أبنائه شهادة الشيخ موقعة بيده معتمدة كمستند رسمي لصاحب هذا الملف، وكذلك كان الأمر لكل من يريد الحصول على

جواز قطري من الوطنيين لابد أن يحصل من الشيخ على ما يزكيه وكأن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قد أصبح موسوعة بشرية كاملة اتسعت لأنساب وشخصيات وأحوال من حوله من القطريين وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة حظي بها الشيخ عند المسئولين، ومنزلة في نفوس الناس جعلته مقصدهم في كل ما يعرض لهم، فكان مكتبه لا يخلو من مراجعين، وطلاب حاجات من أنحاء قطر، وكان بما أفرغ الله عليه من صبر، وما أيده به من عزم، وما آتاه من حكمة حريصا على أن يأخذ كلٌّ حقه، وينقلب إلى أهله مسرورا، ولقد كان يتحمل كثيرا من ملاحاة ذوي الحاجات ومحالهم وقد يشتد النقاش، ويخاصمونه بخشونة وغلظة، وكما هي طبيعة البشر كلٌّ يريد أن يستأثر بالخير لنفسه، ولا يعنيه أمر الآخرين، ولا تؤرقه حاجاتهم، وقد يدفع هذا بعضهم إلى اتهام الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بأنه لا يريد أن يعطيهم حقوقهم، والشيخ هادئ الطبع رَضِيٌّ النفس تأبى الابتسامة أن تفارقه، سمح لا عن ضعف، كريم عن أصالة وفطرة يؤمن بما عَلَّمَ الرسول الأكرم ـ (ﷺ) ـ سائله:

(أوصني ولا تكثر عليَّ لعلي لا أنسى قال: لا تغضب) [1] إنها دعوة الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن ـ وخاصة ـ هؤلاء الذين استودعهم الله حاجات الناس، وطباع الناس متباينة، وأقدر الحكماء من يلقى كلاًّ بما يسعده.

---

(١) .. رواه مسلم.

فلا يلبث هذا الملاحي حتى يثوب إلى رشده، ويفطن لاندفاعه وسوء ظنه، فيكسوه الخجل، ويقر حاله باعتذاره، فينكب على الشيخ مقبلا رأسه، شاكرا عدله، راضيا حكمه.

وكان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يرى راحته في التعب لإسعاد الآخرين، وبذل الجهد في متابعة حوائجهم، ولا يطمئن خاطره إلا ببلوغها، ولا يرضى حتى يرى الابتسامة تكسو وجه من كان بالأمس محزونا، فهو يؤمن أن تنفيس كربة مكروب، أو إقالة عاثر، أو إنصاف مظلوم، أو إدخال السرور على أهل بيت جاهد محزون من أجَلّ الأعمال، وأفضل القربات، وجزاؤه أعظم الجزاء.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ (ﷺ):

« من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كرباتِ الدنيا نفسَ الله عنه كربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ ومن يسَّرَ على معسرٍ يسرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرةِ، والله في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه »[1].

والشيخ بما فطر عليه من حب الناس والرغبة في نفع من يعرف ومن لا يعرف، وولعه بالسعي في حاجاتهم، وسعادته بإدراكها، وفرحه بالبلوغ فيها، وحرصه على ألا يرى مكدودا أو محزونا، وفزعه من أن تنساب دمعة.

اتسع صدره لشكايات الناس، وأصغى لمقالهم دون سآمة أو ملل

(١) رواه مسلم.

ووسع لهم في مجلسه، ولم يضق بملاحقتهم له في طريقه، ولم يتأفف من غشيانهم منزله في أي وقت بل كان يبش في وجوههم، ويحسن لقاءهم، ويفرح بقدومهم فرحه بأسباب التجارة الرابحة، ويستقصي برفق أحوالهم، ويطيب خاطرهم، ويسمعهم ما يطفئ أحزانهم، ويذهب غيظ قلوبهم، ويبعث الأمل في نفوسهم ويضيء الحياة من حولهم.

وقد جمع الله تعالى في الشيخ ـ ولا أزكيه على الله والله حسيبه ووكيله ـ مبشرات؛ فصباحة وجهه، وإشراقة ابتسامته، وطلاقة لسانه، وعذوبة حديثه، وقدرته على احتواء محدثه مما جعل لقاءه ـ مجرد لقاء ـ بردا وسلاما على ذوي الحاجات، ثم هو بعد ذلك فطن قوي الذاكرة، لا تنسيه الحاجات بعضها بعضا، فتجدها عنده مرتبة منسقة، سابقها مقدم على لاحقها، ينطلق إلى المسئولين حاملا أمانات الناس لعرضها، والدفاع عنها، والوصول إلى الحق فيها.

وهو لا يكل ولا يتسرب إليه فتور أو ملل، فقد يسعى أياما وليالي، متحملاً المشاق، مستعذبا السهر لإيجاد حل مناسب لأمر من أمور الناس. وكثيرا ما كان يذهب بنفسه إلى ذوي الحاجات، فيطوف بالقرى يتعرف على المشكلات أيا كان لونها مادية أو تعليمية أو اجتماعية، فيسوي ما استطاع منها، ويضيف إلى أماناته ما يحتاج الرفع إلى جهات أخرى، وهو لا يكتفي بذلك، بل يلح في سؤال الناس عن أحوالهم، وما إذا كانوا بحاجة إلى أي شيء، وهم لا يجدون حرجا في الطلب منه؛ حيث أطمعهم فيه ما وثقوا به من حبه لخير الناس، ولين جانبه، وسلامة فطرته.

وإذا أحس بينهم خلافا، أو توقع حدوث مثل ذلك ألقى عصاه، وجمع أطراف النزاع، وقد تمكن حبه من قلوبهم، فسوى خلافاتهم، وأزال ما قد يعترض الوئام من معوقات، ثم تركهم وهم على وفاق تام.

إن أمر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لعجب؛ لقد كانت الجفوة وغلظة الطبع تجعل بعض ذوي الحاجات يشتد حتى يضيق جلساء الشيخ، وما يضيق أو يعبس، وقد يحتد أحدهم على الشيخ حتى يظن الداخل – ممن لا علم لهم بطبيعة الشيخ – أن الشيخ قد منعه حقا، أو أوقع به ظلما، وما هي إلا لحظات حتى تطفئ سماحة الشيخ ثورة هذا المشتط، وتذهب غضبته، ويسلم الجافي الغليظ أمره راضيا إلى من علمه الله تعالى كيف يجمع الناس بحلمه، ويملك زمامهم بصبره وكريم خلقه، وصدق الله تعالى إذ يقول لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

وتلك هي صورة الإسلام الصادق التي تجمع ولا تفرق، وتصون ولا تبدد، وتثمر أعظم العلاقات بين أبناء الأمة الخاتمة؛ ليكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا.

ولكن ما بال هذا الشيخ – رحمه الله تعالى – يصبر على هذا، ويتحمل كل هذه المشاق، وقد أعزه الله بما آتاه، وأنزله منازل كريمة؟

---

١(١) سورة آل عمران الآية ( ١٥٩ ).

لِـمَ يتحبب إلى الفقراء، ويتودد إلى البسطاء، وينفق الوقت والجهد في استرضائهم؟

لقد عاش الشيخ في رحاب الإيمان منذ نشأته الأولى حين رباه والده ـ رحمهما الله تعالى ـ على الإسلام، وغرس فيه قيمه، فعرف أن الضعفاء البسطاء ابتلاء للأقوياء وذوي السلطان؛ إما أن يفوزوا بهم، أو يهلكوا بإهمالهم، ولذا كان شعاره الذي يردده كثيرا:

( من لهؤلاء الضعفاء لو تخلينا عنهم )؟

ثم إن حاجات الناس تجارة مع الله تعالى، وهيهات أن تبور تجارة مع العلي الأعلى.

لعله ـ رحمه الله تعالى ـ يكون ممن عناهم الحديث.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ:

« إنَّ للهِ عبادا اختَصَّهُمْ بحوائجِ الناسِ، يفزعُ الناسُ إليهم في حوائِجِهِمْ، أولئك الآمنون من عذابِ اللهِ »[1].

أو عساه كان يسرع الخُطَى في الحاجات تأسيا بابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وإتباعا للرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل، فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله

(١) ـ رواه الطبراني.

لفلان علي حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك، فقال: إن أحببت؟ قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد. فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، والعهد به قريب، فدمعت عيناه، وهو يقول: « من مشى في حاجةِ أخيه، وبَلَغَ فيها كان خيرًا له من اعتكافِ عشرِ سنين، ومن اعتكفَ يوماً ابتغاء وجهِ اللهِ تعالى جعل الله بينه وبين النارِ ثلاثةَ خنادقَ أبعد مما بين الخافقين »[1].

انظر ـ أخي القارئ ـ أين أنزل الرسول الأكرم ـ (ﷺ) ـ حاجات الناس؟

وكيف ارتفع بأقدار الساعين فيها، وقدر تلك العبادة التي يغفل عنها كثير من الناس، وإن استغرقوا في الفرائض، وغيرها من الطاعات؟

ماذا يعني أن يطرق الضعيف بابك؟

بم تعلل طمع هؤلاء البسطاء فيمن وسع الله تعالى عليهم، وزادهم بسطة في الجاه والسلطان؟

لعل الآية تجيبك:

﴿ الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[2].

---

(١) - رواه الطبراني والبيهقي.

(٢)- سورة العنكبوت الآيات ( ١، ٢، ٣).

أي ثواب يعده الله تعالى لمن وسعوا على الضعفاء، فبشوا في وجوههم وأفسحوا لهم صدورهم ومجالسهم، وحثوا الخُطى حرصا عليهم ورغبة في التفريج عنهم؟

أظنُّ سيدي الوالد الشيخ ـ رحمه الله تعالى، والله حسيبه ولا أزكي أحدا على الله ـ فطن لهذا، وتلك التي لا يلقاها إلا الذين صبروا، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن تقضى حاجات الناس عامة، وخدمات القرى خاصة في موعدها دون إهمال أو إبطاء مشغولا بمشكلات الآخرين، دائم المراجعة لما بين يديه من حاجات.

فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

جميع الحقوق محفوظة

# الشيخ والقرآن الكريم

- ذلك الكتاب لا ريب فيه.
- التحدي بالقرآن.
- الحياة في ظلال القرآن.
- النشأة قرآنية.
- صحوة قرآنية.
- اختيار المحفظين.
- سياسة رشيدة.
- المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم .
- الندوة القرآنية.
- كرامة أهل القرآن.
- طباعته للقرآن الكريم.

# ذلك الكتاب لاريب فيه

القـرآن الكريم هـو كلام الله العلي العظيم المنزل على نبيه الخاتم ورسوله الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المعجز في لفظه ومحتواه، المتحدى به، المنقول إلينا بالتواتر، وقد سماه الله تعالى:

( القرآن ) يقول جل شأنه:

﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (١).

و( الكتاب ) يقول تعالى:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (٢).

وقال عز وجل:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

و ( الفرقان ) يقول الحق جل جلاله:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (٤).

و ( الذكر ) يقول عز وجل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٥).

---

(١) - المزمل ( ٢٠ ).

(٢) - الأنبياء مفتتح السورة.

(٣) - البقرة ( ٢ ).

(٤) - الفرقان مفتتح السورة.

(٥) - الحجر ( ٩ ).

إلى غير ذلك من الأسماء التي ميزه الله تعالى بها؛ يقول الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز غفر الله تعالى له: "روعي في تسميته (قرآناً) كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته (كتاباً) كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن حقه العناية بحفظه في موضعين، لا في موضع واحد، أعني أن حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما، فتذكر إحداهما الأخرى".

فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة.

ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عليه من الحُفَّاظِ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقي القرآن محفوظاً على حرز حريز؛ إنجازاً لوعد الله تعالى الذي تكفل بحفظه.

حيث يقول:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١).

(ولم يصبه ما أصاب غيره من الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند) (٢).

---

(١) - الحجر (٩).

(٢) - النبأ العظيم (دار القلم الكويت).

وناهيك عن تلك الصفات التي وصفه بها منزله، وهي كثيرة ضمنها كتابه، وعلمها رسوله صلى الله عليه وسلم منها:

أن القرآن (نور) يقول الحق عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ (١).

وأنه (مجيد) يقول جل جلاله:

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (٢)

وأنه مبارك يقول الله تعالى:

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ (٣)

وأنه ( هدى وبشرى ) يقول العلي العظيم:

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

إلى غير ذلك من الصفات التي وصف بها قرآنه، وعرفنا بها كتابه، والتي يضيق الوصف عن حصرها.

القرآن هو المنطلق الحق لهذه الأمة إلى كل خير، وسبيلها إلى كل رفعة، وطريقها إلى الفلاح ديناً ودنيا.

---

(١) - النساء ( ١٧٤ ).

(٢) - مفتتح سورة ق.

(٣) - الأنعام ( ٩٢ ).

(٤) - البقرة ( ٩٧ ).

هو الحق الذي لا تؤثر فيه العواصف، ولا تنال منه الأحقاد.

هـو الكتاب العربي الذي أنزله الله بعلمه، وشرفنا نحن به حيث نزل بلغة العرب، ففاقت به، وسبقت باحتوائه.

قال جل جلاله:

﴿ وَإِنَّـهُ لَتَنْزِيـلُ رَبِّ الْعَالَمِيـنَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِيـنُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١).

وقال جل شأنه:

﴿ لا يَأْتِيـهِ الْبَاطِـلُ مِـنْ بَيْـنِ يَدَيْـهِ وَلا مِنْ خَلْفِـهِ تَنزِيلٌ مِـنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢).

سعادتنـا ـ معـشر المسلمين ـ تتوقف عليه، وبمقـدار اعتصامنا به يكون إمداد الله تعالى لنا، وعطاؤه إيانا في ديننا ودنيانا.

فلا سبيل لرشادنا وفلاحنا ـ أفراداً وجماعات ـ إلا به.

قال جل شأنه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ (٣).

القرآن الكريم جامع لحاجات البشر منذ نزوله على سيد الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) ـ الشعراء ( ١٩٢: ١٩٥ ).

(٢) ـ فصلت ( ٤٢ ).

(٣) ـ آل عمران ( ١٠٣ ).

## فضيلة الشيخ عبد الله الشيخ إبراهيم الأنصاري

فيه للبشرية أنجح الحلول لقضاياها ومشكلاتها في كل دروب الحياة.

قال عز من قائل:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(من أراد علم الأولين والآخرين فلْيَقُلْ بالقرآن)

فنفعه عام، وعطاؤه شامل، وهداه دائم.

فهنيئاً لمن لازم جواره، وأخذ به، ورد إليه أموره، وسَلَّمَ لكل ما فيه تسليماً.

---

(١) - النحل (٨٩).

# التحدي بالقرآن

إن هذا الكتاب الخاتم لهو المعجزة الكبرى الخالدة الباقية ما بقيت السماوات والأرض، لقد أتى بالتحدي الذي أخرس الفصحاء، وأسكت أبناء العربية، وأرباب البلاغة، وعمالقة البيان.

لقد أتى بكلمات وعبارات من نفس حروفهم، ولكن أنى لهم بها؟

أنـىَّ لهم أن يحاكوا أقل القليل من بلاغته، وأيسر اليسير من بالغ حجته؟

لقد كان التحدي الذي واجههم الله تعالى به، ودعاهم إليه له مراحل أكدت العجز، وأثبتت الضعف، وألزمت المعاندين للقرآن الصمت.

تلك اللغة لغتكم، فيها نشأتم، وعليها كان مرباكم، وبها نزل ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأتوا بمثله، وهيهات أن يأتوا، وإن اجتمعت الإنس والجن.

قال جل شأنه:

﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [1].

وقد حكم الله تعالى عليهم بالعجز مسبقاً، وظل هذا التحدي خالداً باقياً.

انتقل التحدي إلى صورة أهون وأخف، ودُعُوا إلى ما هو أخف وقعاً.

---

(١) - الإسراء ( ٨٨ ).

يقول العلي الأعلى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

ثم انظر على تدرج القرآن في التحدي، والوصول إلى أقل ما يظن قطعاً للألسنة، وإنهاءً لجدل المبطلين.

يقول الله تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢).

وتكرر التحدي، وتأكد العجز

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣).

وصدق الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم وخسر هنالك المبطلون.

وبقي النداء قائماً خالداً لكل زمان ومكان، ولكل أمة وشعب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) - هود ( ١٣- ١٤ ).

(٢) - يونس ( ٣٨ ).

(٣) - البقرة ( ٢٣ ).

قال تعالى:

﴿ يَـا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُـمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُـمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُـمْ وَإِنْ تَكْفُـرُوا فَـإِنَّ لِلَّهِ مَـا فِـي السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[1].

وتتوالـى القرون، وتتعاقب الأجيال، ويقوى المسلمون تارة ويسودون، ويملـؤون الدنيا بعدلهـم، وينشرون فـي الناس حضارتهم هـدى ونوراً وبنـاء سليماً للإنـسان والشعوب مـن منطلقات إيمانيـة مبعثها الوحي قرآنه الكريم وسنته الشريفة، فترى صورة الإسلام في كل مسلم، علمه وفكـره، وعطائه ومنعـه، ورضاه وغضبه، وسلمه وجهـاده، وغير ذلك، كلها أمـور تحكمها عقيدته، ويحركها إيمانه، ويمضي بها إسلام الوجه لله رب العالمين.

وقد يهون المسلمون ـ تارة أخرى ـ وتلفهم الدنيا بثياب معتمة تحجب فيهـم البصيرة، وتـشوه منهم الفكـر، وتميت فيهم الطمـوح وتنزلهم مؤخـرة الصفوف، لا حول لهم، ولا قـوة، لا يؤخذ بما يقولون، ولا يرجع إليهم في أمر.

والقرآن العظيم ـ مـع كل الأحوال ـ حقٌّ لا ريب فيه، وهدى لا ضلال معه، ونور لا تطفئه الأحقاد، وذكر لمبلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأمته الوسط الخاتمة، ولو كره المشركون.

---

(١) ـ النساء ( ١٧٠ )

يقول العلي الأعلى:

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (١).

تختلف معطيات الحضارة، وتتفاوت ـ غاية التفاوت ـ درجات الرقي، ويتضاعف حظ الإنسان من العلم، ويغزو ما يغزو من حقائق الكون وعجائبه، ويغوص ما قدر له الغوص في أعماق نفسه، ودقائق تكوينه هو، والقرآن أكبر وأعظم لا يبلغون منه مجتمعين إلا ما يحمل المخيط إذا أدخل البحر.

يقول الحق جل جلاله:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).(٢).

إنه الداعي الذي يلزم من خاصمه الحجة، ويقيم عليه الدليل بعد الدليل، ويمد أهله بالبرهان تلو البرهان، لا يفتر عطاؤه، ولا يتوقف فيضه، ولا يوهنه عناد، بل يلوي عنق مَنْ حادَّ الله ورسوله.

---

(١) - الزخرف ( ٤٣، ٤٤ ).

(٢) - لقمان ( ٢٧ ).

# الحياة في ظلال القرآن

الذين تَرَبَّوْا على مائدة القرآن الكريم، فذاقوا حلاوته، واستشعروا جماله، وألفوا صحبته، واستطابوا عشرته، وصافح الذكر الحكيم آذانهم صباحاً ومساءً، فأنسوا به، واطمأنت بأعلى الذكر وأسناه قلوبهم قال جل شأنه:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١).

ردوا إليه أمورهم، وحكموه فيما شجر بينهم، فَرَضُوا بفصله، وسلَّمُوا لحكمه، ففيه لكل أدوائهم شفاء، ولجميع معضلاتهم هدى يقول العلي الأعلى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٢).

أورثهم الله محبته، واصطفاهم لحفظه وتلاوته، قلوبهم بآيه مطمئنة، وبصائرهم بما أوتوا مستنيرة، لا يرون في حياتهم وحشة، لأن القرآن أنيسهم، ولا يَشْكُونَ ـ وإن خلوا ـ عزلة، لأنه جليسهم.

أليس هو كما قال منزله سبحانه وتعالى:

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

---

(١) - الرعد ( ٥٧، ٥٨ ).

(٢) - يونس ( ٥٧، ٥٨ ).

(٣) - البقرة ( ٢ ).

وكما قال جل شأنه:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1].

هم كما قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[2].

إذا قرئ تأدبوا بأعلى ما ينبغي من أدب، فاستمعوا وأنصتوا واستقبلت أنواره قلوبهم، وتعلق بالله رجاؤهم، فخصهم بفضله، ووسعتهم رحمته.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3]

وإذا رتلوا مهروا، فكانوا ملائكة أطهاراً أبراراً، وإن عايشوا البشر وكانوا معهم.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

« الماهرُ بالقرآنِ مع السفرةِ الكرامِ البررةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران »[4].

وإذا تدارسوا انقلبوا بنعمة من الله وفضل.

---

(١) .. ص ( ٢٩ ).

(٢) .. الأنفال ( ٢ ).

(٣) .. الأعراف: ( ٢٠٤ ).

(٤) .. رواه مسلم.

أي فضل كذاك الذي يجلوه لنا الصادق المصدوق (ﷺ) فيما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

(وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحَفَّتْهُمْ الملائكةُ وذكرهم الله فيمن عنده)[1].

وكفاهم من الله تعالى شرفاً وفضلاً، ومنةً من الله وسبقاً أن ينزل الله عليهم سكينته، فيكونوا على طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أول من خُصَّ بذلك، وشرف به، وذوو الفضل من المؤمنين تبع له.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وأي فوز كهؤلاء الذين تغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة تكريماً لهم، وتعظيماً لشأنهم وما اشتغلوا به، وشهادة بما هم عليه من هدى وما ألزمهم الله من تقوى، وما أفاض عليهم من كرامة؟

ثم تعالوا إلى ما ميزوا به، ألا وهو ذكر العلي الأعلى لهم عنده تحقيقاً لوعده: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ﴾[3].

وتشريفاً لذاكريه وهو القائل جل جلاله:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾[4].

---

(١) رواه مسلم من حديث طويل.

(٢) التوبة: ( ٢٦ ).

(٣) التوبة: ( ١١١ ).

(٤) البقرة: ( ١٥٢ ).

وقد قيل:

وأكْثِرْ ذكرَهُ في الأرضِ دَوْماً لتُذْكَرَ في السماءِ إذا ذكرتَ

وقيل أيضاً:

وساعةُ الذكرِ ثروةٌ وغنىً وساعةُ اللهو إفلاسٌ وفاقاتُ

وأسنى الذكر، وأرفعه، وأعلاه وأشرفه القرآن الكريم، كلام من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وصفة من ليس له شبيه، ولا ند، تبارك الله وتعالى علواً كبيراً.

وهو النور الذي لا ظلمة بعده، والشفاء الذي لا علة فوقه، والهدى الذي لا ضلال لمن اعتصم به.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾[1].

هو العصمة من الفتن، والمخرجُ من كل ضائقة يقول سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فيما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: ستكون فتن كقطع الليل المظلم. فقلت يا رسول الله وما المخرج منها. قال:

(كتابُ اللهِ تبارك وتعالى فيه نبأُ مَنْ قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم هو الفصلُ، ليس بالهزلِ، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيرِهِ أضله الله، هوحبلُ اللهِ المتينِ، ونورُهُ

(١) ـ النساء: ( ١٧٤ ).

المبينُ، والذكرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، وهو الذي لا تزيغُ به الأهواء ولا تلتبسُ به الألسنةُ، ولا تتشعبُ معه الآراءُ، ولا يشبعُ منه العلماءُ ولا يملُّهُ الأتقياءُ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبُهُ، وهو الذي لم تنتَهِ الجنُّ إذ سَمِعَتْهُ أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً من عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، ومن قال به صَدَقَ، ومن حكم به عَدَلَ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم)[1].

الله الله فيمن نشأوا في ظلاله، ودرجوا في رحابه، وشبوا مع آياته، فالحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر، وتباركه، وتزكيه، نعمة ترقى بالعبد، وتنير له في الحياة مسالكه، تصفو بها نفسه، ويرقى بها حسه، وتشرق بها سريرته، وتزكو بها علانيته.

أولئك الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده ـ عامة ـ لكتابه، ويسره لهم، وزينه في قلوبهم، فكانوا أهلاً لما اختصهم به من شرف، وما حاطهم به من كرامة.

قال الحكيم الخبير:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[2].

---

(١) ـ القرطبي: ( باب ذكر جمل من فضائل القرآن ) وقد ورد هذا الحديث في صحيح الترمذي ( ح٢ ص١٤٩ بولاق) مع اختلاف في بعض كلماته، وزيادة ونقص.

(٢) ـ فاطر ( ٣٢ ).

# النشأة قرآنية

ماذا يتوقع من رجل أنبته الله نباتاً حسنا، فلم يكد يفتح عينه على الوجود، وتستقبل أذناه أصداء ما حوله حتى رأى القرآن الكريم، فامتلأت عينه بنور حروفه وكلماته في سن مبكرة لم يكن فيها قد درس اللغة العربية، وأجاد كتابتها، وتمرس على أساليبها ؟

لقد سمعه مرتلا متعبدا به آناء الليل وأطراف النهار من أب بر كريم، شغل بالقرآن، فجعله أنيسه وسميره إذا خلا، فتجاوبت أحاسيس الفتى ومشاعره مع تلك الأصداء.

ورأى في نشأته الأولى قداسة ذلك الكتاب، وعظمته من خلال تعاملات والده مع الكتاب العزيز، وأخذه به، وجمعه الناس عليه، يثلج به صدورهم، ويملك به قلوبهم، فكانوا يلتفون حوله في حرص، وقد تنزهوا عن الأهواء، وترفعوا عن النفاق، لأن جامعهم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ورائدهم الرغبة الصادقة في الاستفادة الصادقة من علم الشيخ وفقهه، والاستنارة برأيه فيما يعرض لهم من أمور، وهكذا قدر للفتى أن يلمس القرآن في كل ما حوله، فأحبه، وتعلق به، وتوثقت الصلة بينه وبين كتاب الله تعالى حين أجلسه أبوه بين يديه يلقنه آياته، ويطوع لسانه لإجادة تلاوته، ويحفظه، ويتابعه متابعة جادة، وكان لرعاية الله، وحسن معونته أثر واضح في استجابة هذا الدارس فذاق حلاوة القرآن، وأشرب حبه، وأشرق به كيانه، فأقبل عليه في رغبة، وردد آيه في شوق ولهفة، والأب لا ينفك يسمع ويدقق،

بل زوده بما يعينه على حسن التلاوة، وجودة الأداء، ويساعده على الفهم والتدبر.

هذا الجو القرآني الذي عاشه الفتى سلوكا وعملا، وتلاوة وسماعا، ومدارسة واحتكاما كان واضح الأثر في توجهاته.

ماذا ينتظر من رجل امتزجت بالقرآن ـ منذ طفولته المبكرة ـ مشاعره، وذابت فيه أحاسيسه، وألفه لسانه، واستنار به فكره، واستقامت عليه فطرته، واتسع له صدره، وفاح بشذى ترتيله وقته؟

لقد رآه عملا وسلوكا في أبيه ـ ولا أزكي على الله أحدا ـ واتخذه صاحبه في مصحفه الذي لا يكاد يفارقه، وآياته التي تنساب من فيه هدى ونورا.

ألا يكون بعد ذلك شغوفا بخدمته، مولعا بنشره؟

لقد كان وهو طالب بالأحساء ينطلق إلى القرى مذكرا وواعظا، ومعلما القرآن.

وفي مكة المكرمة يتعلم من شيوخه، ويعلم مَن دونه.

وحين نزل ( دارين ) أيمكن أن يؤمهم، ويخطبهم، ويعلم أبناءهم في المدرسة، والمسجد، وفي بيته دون أن يخدم الكتاب الحكيم، ويرغب فيه، ويجمع الصغار والكبار على مائدته؟

أينظر في خصوماتهم، ويستبين الحق فيها، ويقضي بلا مدد قرآني؟

أيُدْعى إلى القطيف ؛ ليكون مساعدا لقاضيها ، **الشيخ/ عبد اللطيف**

بن عبد الله العبد اللطيف، وينظر في القضايا، ويفصل فيها، ليحق الحق، ويبطل الباطل، ولا يكون القرآن منطلقه ومحركه؟

إنه داع إلى الله، وقوام الدعوة القرآن الكريم.

إنه معلم للعلوم الشرعية، والعربية والقرآن الكريم أساسها.

إنه مُرَبٍّ.. وكيف تكون التربية السليمة بلا قرآن؟

إذاً الشيخ عبد الله ولد للقرآن، ونشأ فيه، وتربى عليه، وشب في رحابه، وقد قالوا: من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فعبد الله ـ ولا أزكي على الله أحداً ـ شَبَّ على القرآن، وشاء الله أن يشيب عليه، ومات ـ كما سأذكر في طبع المصحف ـ مشغولا به، وإني لأسأل الله تعالى أن يبعثه عليه.

يقول عنه عارفوه:

كان يملأ أي فراغ بقراءة القرآن، في البيت، في المجلس، في السيارة، في الطريق.

كما عرف ذلك عنه أبناؤه، وأهله، ومعاشروه، وحين يستقر به المقام في وطنه، ويخالط أهله، ويمكن الله له، ويتحمل ما قدر عليه من أعباء، ويهيئ الله تعالى له أسباب العمل الحبيب إلى نفسه، ويفتح له القلوب والعقول، ويجمع الناس من حوله، وينزله منزلا كريم، ويبارك جهده ووقته، بل كان من كبريات نعم الله تعالى عليه وعلى هذا البلد الطيب،

وأهله الأكارم أن مَنَّ الله عليهم برجال تولوا أمرهم، وطأهم الله للعلم، وشرفهم بخدمة القرآن الكريم، وزين ذلك العمل في قلوبهم، فأقاموا أنفسهم على العناية بكتاب الله، وتيسير العلم لطالبيه، وأهل هذا البلد طيبون بفطرتهم، يعشقون الخير، ويطيرون إلى المعروف باذلين بسخاء في سبيله لا يخشون من ذي العرش إقلالا، فكان وجوه القوم وأعيانهم خير عون، وأكرم نصير فما على الشيخ عبد الله الأنصاري إلا أن يتوكل على الله تعالى ويخرج ما عنده معتصما بقوله تعالى:

﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾ (١)

(١) - سورة إبراهيم ( ١٢ ).

# صحوة قرآنية

المشغول بالعظائم لا يهدأ له بال، ولا يقر له خاطر، ولا ترضى له نفس حتى يرى الحلم واقعا، والأمل حقيقة، ويشهد تباشير النجاح، فينعم بثمر جهده، وظل غرسه، فليطمئن قلبه، وتسكن نفسه، وتقر عينه، ويذكر بالحمد والثناء، والشكر والإجلال من هيأ له الأسباب، وسير إليه المسببات، لتدوم النعمة، وتثبت الزيادة، وبمقدار عظمة الشاغل يكون ذهاب المشغول فيه، وشغله عما حوله.

فما ظنكم بمشغول بالقرآن الكريم؟

جامعته الأولى في نشأته، ورفيقه في حياته كلها.

لقد منّ الله عليه بوالده، فلم لا يكون هو والدا للصغار جميعا يعطيهم ما أعطاه أبوه ـ رحمهما الله تعالى ـ وييسر لهم من الأسباب ما هيأ الله تعالى له حتى يرى المصحف الشريف في يد كل فتى وفتاة، وتنطلق أصوات صافية صفاء الفطرة، تردد آي الله في كل بيت، وتنير بها كل طريق، وتعمر بها كل مسجد؟

لم لا يأخذ بيد ناشئة المسلمين من أبناء قطر والمقيمين فيها على طريق الله، فيجمل الله بالقرآن ظاهرهم، ويزكي به باطنهم؟

لم لا يجعل ـ بما هيأ الله تعالى له من أسباب ـ أجواء ذلك البلد السمح عطرة بالقرآن، ينبثق نوره في كل شبر من أرضه، ويسمع صداه في كل فج؟

لم لا يجمع أبناء المسلمين في قطر الخير على مائدة القرآن الكريم كما أمتعه الله بها بين يدي أبيه؟

المساجد مفتحة بفضل الله تعالى، والمدارس طوع إرادته، خاصة في إجازة الصيف، وأهل القرآن ومعلموه فيهم خير ووفرة ، وأولو الأمر حريصون على أن تتصل بالقرآن أسبابهم، وتضاف جهودهم في خدمته إلى صفحات حسناتهم، ومحبو الخير لا ينفكون يبحثون عن وجوه طيبة للإنفاق، وأي باب أعظم من رعاية كتاب الله العزيز الحكيم؟

حدثني أحد مخالطيه[1] أن أحد أثرياء دولة إسلامية زار قطر، ولديه رغبة صادقة في خدمة القرآن والمساهمة في تحفيظه من مال الله الذي عنده، وأتى الشيخ، وحدثه، وأعلمه أنه قد تم له ذلك في دولة شقيقة من دول الخليج، وما كان على الشيخ إلا أن يحمل الأمانة، ويبلغ الرسالة إلى أولي الأمر فعرضها على سمو الأمير ـ آنذاك ـ الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ـ حفظه الله ـ فأجاب سموه الشيخ عبد الله أن قطر ـ بفضل الله ـ قادرة على رعاية مشروعاتها التقدمية ماديا ومعنويا ـ خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم ـ وعلى الزائر الكريم التوجه بخدماته إلى بلد آخر.

كان هذا إيذانا كريما بامتداد الصحوة القرآنية بالأرض الطيبة قطر لتنطلق آيات الله تعالى من كل موقع، وفي كل حين، وعلى ألسنة الصغار والكبار.

---

(١) - الأستاذ/ عبد المعين عباره.

وانتشرت مراكز التحفيظ تعمر بيوت الله، تعمرها بنور الذكر الحكيم الذي ختم الله تعالى به كتبه وأنزله على صفوة خلقه سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – هدى، ونوراً.

قال الله جل جلاله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ [1] وتعطر أجواء المدارس مساء، حيث يتدارس القرآن الكريم طلابها أو طالباتها، ومدارس التحفيظ الصباحية لمن لا يرتبطون بدوام صباحي في مدرسة أو غيرها، أضف إلى ذلك من يحفظون في بيوتهم، ثم يتقدمون للامتحان.

وكان هذا الفتح القرآني ـ في بلد أحب القرآن وكرم أهله ـ منذ عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

أقيمت مراكز التحفيظ لتغطي الدوحة العاصمة في جميع أرجائها، ولتخدم جميع المدن والقرى، وحددت أماكنها مراعى فيها الحرص على راحة الدارسين، والمحافظة عليهم لصغر سنهم غالباً، وحاجتهم الشديدة إلى الرعاية، بل كانت الحافلات تنقل أكثرهم.

فتحيا القلوب، ويزداد الذين اهتدوا هدى وتبصر الأمة طريق فلاحها، وسبيل سبقها وعزها، وتعتصم بالحق الذي بعث الله تعالى به

---

(١) - النساء: ( ١٧٤ - ١٧٥ ).

الحق محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعل به فوزها، وفيه سعادتها يقول العلي الأعلى:

﴿ طـه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَـى ۞ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۞ تَنزِيـلاً مِمَّـنْ خَلَـقَ الأَرْضَ وَالسَّمَـوَاتِ الْعُـلا ۞ الرَّحْمَنُ عَلَـى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (١).

(١) - طه من ( ١: ٥ ).

# اختيار المحفظين

إن اختيار المحفظين أمر يحتاج إلى تدقيق ومراجعة، حيث ينبغي أن يتوفر فيه العلم؛ ليكون أهلاً للأداء المجود، ثم يكون القدوة لتكتمل الرسالة، فيأخذ عنه الدارسون السلوك والعمل قبل الحفظ والتحصيل.

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أشد حرصاً على ذلك يختبر المتقدم، ويعقد له لقاء يمكن التعرف من خلاله على الكفاءة العلمية، والتأكد من سلامة القدوة حتى تكتمل التربية، ثم يتابع من خلال من توكل إليه المتابعة، ويتابع بنفسه؛ لإيمانه أن البناء القرآني بناء متكامل يشد بعضه بعضا، خلقا والتزاما مع الحفظ والمدارسة.

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يجمع محفظي القرآن مع بدء كل عام لرسم الخطوط الأساسية للعمل، وقد يجمعهم في وسطه للوقوف على ما وصلوا إليه، والتدريب وتبادل الخبرات.

وذات مرة رأى بين المحفظين حليق اللحية، فلم يتعرض أثناء الحديث لوضع هذا المحفظ لا بالتصريح، ولا بالتلميح؛ حتى انفض الاجتماع، وانفرد الشيخ به في ناحية، وأسر إليه بحديث لم يسمعه غيره رعاية لمشاعره، وصوناً له من الإحراج بين زملائه، فقال له:

ربما كانت بوجهك حساسية تمنع من إعفاء اللحية؟

فأجابه المحفظ: لا.

قال: فما يدعوك لهجر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قالها بابتسامة.

فأجابه الأخ المحفظ: هو تقصير يا فضيلة الشيخ.

ولم يعقب الشيخ ولا بكلمة واحدة.

ووجدت تلك النصيحة الهادئة الحكيمة كل الاستجابة من المنصوح، وأعفى لحيته.

وهكذا كان يجعل اللقاء مرآة يرى فيها كل عضو، ويعرف في رفق وحكمة ما فرط منه، فيعمل على إصلاحه، وما غاب عنه، فيحرص على استعادته.

يقول أحد الأفاضل العلماء الذين لازموه:

« لقد كان – أي الشيخ عبد الله الأنصاري – أول من عني بإنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم في قطر، في المدارس، والمساجد للبنين والبنات في الإجازات وأثناء العام الدراسي، فكان لها أطيب الأثر في إشاعة حفظ القرآن، والإقبال عليه، ونفع الله به الأمة [1].

واشتهرت قطر بذلك، وعرفت به، وصارت مراكزها القرآنية حديث المنتديات الإسلامية في دول الخليج خاصة، والدول الإسلامية عامة، وصار تحفيظ النساء القرآن الكريم شغل الأسر القطرية والمقيمة، بل التحق كثير من الآباء والأمهات بمراكز لتحفيظ الكبار، وتنافسوا

(١) - في حديثه ( الشيخ عبد الله الأنصاري ) كما عرفته، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد المجذوب في كتابه ( علماء ومفكرون عرفتهم ).

في ذلك حتى صار من الرجال والنساء حفظة لكتاب الله تعالى، بل محفظون ومحفظات.

وإنك لتعجب لقدر الله فيمن عادوا إلى أوطانهم من المقيمين، ومعهم ثروة خالدة تقرّ بها عيونهم، وترضى بها نفوسهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو القرآن الكريم.

# سياسة رشيدة

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يوما لمن حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما عليّ؟

قالوا نعم.

قال: لا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته به أم لا؟

سياسة رشيدة منطلقها الوحي الذي جاء به النبي الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلتزمها عمر منهجا وطريقا، يبصر به كل مسئول، ويذكر به كل من ولي أمرا من أمور المسلمين.

إن حسن الاختيار واستشارة أولي الرأي لا يغنيان القائم على الأمر شيئا إذا وقف بين يدي ربه مسئولا عما ولي من أعمال، بل لابد من تنظيم ومتابعة ليميز من أحسن، ويُقَوِّمَ من أساء، ويزن بميزان الحق من يعطي، وينظر ثمرة الجهد.

ومدرسة الإسلام واحدة لا اختلاف فيها مهما تطاولت العصور، وتباينت البيئات، وتنوعت الأعمال.

لقد انتشرت مئات المراكز لتحفيظ القرآن في قطر، وتنافس فيها آلاف الدارسين والدارسات العام كله، و في إجازة الصيف بصورة خاصة حيث ترى قطر صيفا في صورة قل أن تشهدها في غيرها من

البلـدان، فقد استبدل كثير من الفتيان والفتيات بالهزل الجدَّ، وباللعب واللهو القرآن الكريم

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (١)

إنَّ عبيـر القرآن يفوح في أجواء قطر، وتهـز أصداؤه جوانبها شكراً لله، وثناءً عليه.

لقد قسم الشيخ عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ قطر إلى مناطق، تجمع كل منطقـة عددا من المراكـز، وفي كل مركز محفظـوه، ولكل منطقة مشرفوهـا المتابعون للعمل فيها، ثم هـو بعد ذلك مشرف عام، لا يَمَلُّ، ولا يفتر، يتابع أقصى المراكز كما يباشر أدناها، وهو في زيارته حكيم، ينـصح، ويوجه، ويكرم ويعاتب، يحفز الهمـم، ويشحذ العزائم، ويذكر بـالله الذي اجتمعت هذه الجموع لمدارسة كلامه، وإذا كان حظ الذين يلتقـون لتلاوة القـرآن الكريم ومدارسته مـا أشار إليه الحديث النبوي الشريف.

عـن أبـي هريـرة – رضي الله عنـه – عن النبي – صلـى الله عليه وسلم – قال:

« وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونَهُ بينهم إلا نزلت عليهـم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده» (٢).

---

(١) سورة المطففين (٢٦).

(٢) .. رواه مسلم.

فكيف تكون بلد ازدانت جوانبها بمئات المجالس القرآنية، وتعالت في سمائها آلاف الأصوات للمرتلين والمرتلات؟

وهو ـ رحمه الله تعالى ـ رغم متابعته الدقيقة، واستقصائه لأحوال المَزُورِينَ ووقوفه على كثير من دقائق الأمور كانت زيارته محببة إلى الكبار والصغار، فقد تعود إظهار الحسن، والإشادة بالجهود الطيبة النشطة تكريما للمحسن، ودعوة إلى التأسي به، أما حين ينصح لخلل أو تقصير فهو يؤثر الإسرار موجها ـ في تواضع ـ إلى ما ينبغي أن يكون صيانة لماء الوجه، وحرصا على كرامة العاملين معه.

وإني لأراه ـ غفر الله تعالى له ـ متمثلاً الآية الكريمة:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾ (١).

وقد حاول جاهدا أن يسعد المعلم والدارس، وأن يوسع عليهما ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى ليقول بعض المحفظين: "لقد بلغ معاشنا من تحفيظ القرآن مع الشيخ عبد الله ( ١٧٥٠ ) ألف وسبعمائة وخمسين ريالا".

أما الدارسون فكانت حوافزهم متفاوتة بمقدار ما يحفظون فقد تكون أربعمائة ريال أو أكثر، بل بلغت حوافز بعض الطلاب ( ٨٥٠ ) ثمانمائة وخمسين ريالا في الشهر.

قل بالله عليك: ألا يمكن أن تعيش أسرة من معاش ابنين أو ثلاثة

(١) ـ سورة الرحمن ( ٦٠ ).

منتظمين في مراكز التحفيظ، فيجمع الله تعالى لها خيري الدنيا والآخرة؟

ألسنا بشرا تطربنا النعمة، ويرضينا العطاء؟

ألم يحبب الإيمان إلينا الدنيا ما دامت في خدمة الدين؟

ألا يمكن أن تتحول هي ذاتها إلى دين بالنية الطيبة؟

يالها من نعمة!!

أبناء يحفظون القرآن الكريم، ورزق يسوقه الله – جل شأنه – إلى تلك الأسر!!

وما وقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت مكافأة من يتم الله عليه النعمة، ويكمل حفظ القرآن الكريم أربعة عشر ألف ريال، وناهيك عن تكريم محفظه.

وكان تطوافه على المراكز خيرا يرتجى، ورزقا يرتقب، وحديثا يتناقل بعد.

كان يمر على مراكز التحفيظ وفي معيته المسئول المالي والإداري والموجه الفني، والقافلة مزودة بأصناف من الهدايا القيمة كان يسأل أبناءه الدارسين، ويستمع إليهم، ويسر بتلاوتهم، ويثني على الحافظين، ويكرمهم، فهناك الساعات ( رولكس، ورادو ) وغيرها، والمنبهات، والمسجلات، والأقلام المطبوع عليها عبارة: ( هدية إلى حفاظ القرآن

الكريـم)، وغير ذلك من الهدايا التي بلغـت قيمتها في إحدى الدفعات تسعة عشر ألف ريال، وبذلك يتحول المركز إلى حلبة سباق، كل دارس يجتهـد، ويـواصل الحفظ، وينافـس زملاءه، حتى يعود إلـى أهله ومعه خير هدية.

يقول الشيخ محمد فتح الله[1] (موجه العلوم الشرعية بوزارة التربية والتعليـم): لقد كان لحفاظ القرآن الكريم ومحفظيه حظ كبير، ورزق كريـم بوجـود الشيخ عبـد الله الأنـصاري ـ رحمـه الله تعالـى ـ فمن بداية العام الدراسي بالوزارة يبـدأ تحديد مراكز التحفيظ بالمساجد والمـدارس للبنيـن والبنات، ويبـدأ مع ذلك اختيـار محفظي وموجهي القـرآن الكريم، ومنذ البدايـة تكون المتابعة اليقظة مـن الشيخ نفسه بزيارة المراكـز، وإثابة المجيـد، ومعاتبة المقـصر، وكان المدرسون يكافَئُـون بمـا يكفي لحفـز هممهم، والطـلاب يأخـذون رواتب مجزية تتـدرج حسب القدر المحفوظ، وقد بلغ القدر المعطى للطالب ثمانمائة ريـال في بعـض الأحيان، ممـا أوجد الباعـث القوي علـى حفظ كتاب الله – تبـارك وتعالى – فالمراكز كثيـرة، وأعداد الطلاب بها غزيرة، والمكافآت مجزية، والعاملون ينفث فيهم الشيخ من روح صدقه، وعمق إخلاصه أ هـ.

وهكـذا استطاع الشيخ ـ رحمه الله تعالـى ـ بفطنة المؤمن أن يدفع

(١) موجه أسبق للعلوم الشرعية بالوزارة.

الكبار والصغار والرجال والنساء دفعا إلى خيري الدنيا والآخرة، وأن يعينهم على تصحيح مسارهم؛ ليكون للعقيدة الحظ الأوفى من سعيهم، وليستقر في وجدانهم قول الحق جل وعلا:

﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[1]

فمن جاء قطر طالبا الدنيا فليأخذ معها ـ فضلا من الله ورحمة ـ ما هو خير وأبقى.

ومن عاش من أبنائها يتقلب في نعم فليعلم أن العقيدة كبرى النعم، وأن الآخرة خير وأبقى.

(١) سورة الأعلى (١٧)

# المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم

إن الذين فطروا على الخير، وألفوا التعاون على البر والتقوى، وأخذوا أنفسهم بالصدق مع الله تعالى لا يرون أولي همم في الله عالية إلا وتراهم يسرعون إليهم، يثبتون الخطى، ويشحذون العزائم ، ويشدون على أيدي الساعين إلى الله تعالى لعله ـ جل شأنه ـ يجعل لهم من الأجر مثل ما يعطي هؤلاء الصابرين المصابرين.

لقد شرح الله تعالى صدور أعضاء الجالية الباكستانية بالإيمان، وغمر قلوبهم بحب كتابه العزيز، فرأوا أن الإيمان يوجب عليهم أن يغذوا البراعم الناشئة به، وأن يملأوا بنوره قلوبهم، وأن يجلوا بهداه تلك البصائر الطيبة، ويفتحوا على سنا رسمه هذه العيون الطاهرة المطهرة، ولكن كيف والأسباب المادية قاصرة؟

فأين الموقع الذي يتخذ مثابة لهؤلاء الراغبين، والراغبات؟

وأنى لهم إذا وجد بتجهيزه، وتأثيثه حتى يصلح لاستقبال الدارسين، وأهليهم، ومن يعلمونهم؟

قد لا يكون هناك شيء من ذلك.

لقد كانت تلك الأسر الباكستانية تسكن فريق الكويتة إلى الغرب من موضع مدرسة عثمان بن عفان، ولم تكن يد الإصلاح والعمران قد وصلت تلك المنطقة، وما أخذت حظها من الرقي والحضارة كما نرى

الآن ولـذا عاشت هـذه الأسر حيـاة، خشنة في بيـوت خشبية غاية في بساطتها، لم يظهر عليها أي مظهر من مظاهر التقدم.

وحين أسسوا المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم أقاموها من الخشب والصفيح على مساحة ضيقة لا تتجاوز عشرين متراً مربعاً تقريباً ( ٥×٤م )، شأنها شأن المنطقة المقامة بها.

لقد خلت من الكهرباء فحرمت من كل الميزات الحضارية التي تقوم علـى الطاقة الكهربائية؛ فلا مكيفات هـواء، ولا ثلاجات، ولا مبردات، فكانـوا يأتون بالماء البـارد من مسافات بعيدة لـري الطلاب، ويعانون من قـسوة الحياة، ولا فكاك مـن هذه المعاناة، وكانـت المدرسة تعمل فترتيـن صباحيـة ومسائيـة، والإضاءة مـساء باستخـدام المصابيح الغازية (الإتريج).

ومع خشونـة العيش وفقد الإمكانـات، وشدة المعاناة سار العمل في تلك المدرسة سيراً مثيراً للإعجاب والدهشة، يتحمل مسئولية التحفيظ والمتابعـة ثلاثة مـن رجال القـرآن الباكستانييـن العامليـن بالإمامة والخطابة في مساجد الدولة.

وكانوا يؤدون هذا العمـل تطوعاً، ابتغاء وجه الله تعالى، لا يتقاضون عليـه أجراً من هيئة أو مؤسسة حكومية أو أهلية، ولا يكلفون أولياء أمور الطلاب دفع شيء مقابل تحفيظ أبنائهم وتعليمهم.

وشاء الله تعالـى أن يجـزي الذيـن أحسنوا بإحسانهـم، فأعلن عن مسابقـة في حفظ القرآن الكريم، فقـدم كل مركز من عنده، وتقدمت

هـذه المدرسة المغمورة في عرف البـشر، المعروفة المذكورة عند من لا تخفـى عليه خافيـة في الأرض ولا فـي السماء بسبعـة طلاب، حفظ اثنـان منهم سبعة أجـزاء من القرآن الكريم، بينمـا حفظ ثلاثة أربعة أجـزاء، وحفظ اثنان ثلاثة أجزاء، وقد عقدت لجنة الاختيار من خيرة العلماء أهل القرآن، وقد تولى الشيخ عبد الله الأنصاري الإشراف على الامتحانـات، وجاء دور امتحان طلاب المـدرسة الباكستانية، ولم يكد الحـاضرون يستمعـون إلى القرآن الكريم بلـسان عربي مبين من نشء بيئتـه غير عربية، ولغته غير لغة القرآن حتـى سبحوا الله إعجاباً بتلك الآيات البشرية التي أقامها الله تعالى في خلقه شاهدة بعظمة القرآن، وإعجـازه، وأن الله – جـل وعـلا – إنمـا أنزلـه للنـاس كافـة، ويسره للمهتدين، وإن اختلفت ألوانهم وألسنتهم.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ [1].

وتتابعـت الأسئلـة، وفيـض الله الفعال لمـا يريد يغمر تلـك الألسنة الرطبـة بتلاوة القرآن الناشئـة في رحابه مما جعـل الشيخ عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ يسأل هؤلاء الطلاب المتميزين حفظاً وأداء: في أي مركز تدرسون؟

فأجاب الشيخ إلهي بخش ( أحد مؤسسي هذه المدرسة ) بارك الله فيه في المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم.

فقال الشيخ عبد الله: أين تلك المدرسة؟

---

(١) - القمر الآية ( ١٧ ).

فعرفه الشيخ إلهي بخش بمكانها، وحدثه عن شيء من ظروفها، فوعدهم بزيارة المدرسة، ولم يطل الوقت فقد فوجئوا بعد أسبوعين بدخول الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عليهم في مقر هذه الرابطة النورانية، حيث المعلمون والمتعلمون قائمون على أداء الرسالة.

وكان الشيخ رجلاً رقيقاً لم يكد يشهد هذا التنافس القرآني في تلك الظروف الصعبة حتى بكى وقال:

سبحان الله! في هذا البلد الطيب يقوم صرح كهذا، وليس له من المقومات ما يناسب عظمته؟

فلا كهرباء ولا ماء والحر شديد ـ حيث كانت الزيارة في شهر يوليو أو أغسطس ـ ومع ذلك فالعمل دائب، والجهد متصل.

لقد وقف الشيخ ـ رحمه الله ـ بين يدي ربه موقف اختبار، وهو ـ جل شأنه ـ سائله:

**أيترك هؤلاء؟**

وربما كان الإهمال دافعاً لهم إلى ترك ما وطنوا أنفسهم عليه، وأخذوها به، شأنهم شأن البشر إذا أعوزتهم الأسباب.

وما كان إلا أن شرح الله صدره، فلم يبرح الموقع حتى بشرهم بفضل من الله تعالى، وقال قولته المشهورة:

ربك كريم، لا تفكروا، قريباً ـ إن شاء الله تعالى ـ نأتيكم بمكان

واسع، أو يَمُنُّ الله ببناء مكتمل خاص بالتحفيظ.

ثم سأل القائمين على التحفيظ: هل لكم معاشات أو تتقاضون شيئاً من أولياء الأمور؟

قالوا: لا هذا ولا ذاك، ليس لنا إلا معاشاتنا من أعمالنا الرسمية. فقال رحمه الله: تأخذون معاشات للتحفيظ إن شاء الله وقدرها بأربعمائة ريال للمحفظ.

وبعد فترة وجيزة وصلت لجنة من المسئولين على مستويات مختلفة، فشاهدوا الموقع، ووقفوا على ما يؤدى فيه من عمل، وسألوا عن عدد الطلاب، وأعلنوا نقل المدرسة إلى النعيجة، حيث خصص لها مكان واسع، يتسع للدارسين، وييسر لهم الجو المناسب، ويشمل أماكن للإدارة، والمحفظين.

وأقيم بناء خشبي مناسب، حيث يعتبر هذا الموقع مرحلة انتقالية، حتى ييسر الله تعالى المقر الدائم المناسب، وجهز الموقع بماكينة كهرباء، وخزان لوقودها، وعدد من المكيفات يكفي جميع غرفاتها، وثلاجة، ومبرد ليشرب الأبناء والأساتذة ماء بارداً، وخصصت رواتب للدارسين، وتوالت العناية بالمدرسة، وطلابها والقائمين عليها.

وبعد سنتين انتقلت المدرسة إلى المنصورة حيث البناء الحديث الكامل المعد إعداداً رائعاً، به سبع غرف للدراسة، وغرف أخرى للإدارة والمحفظين والمخازن، وقد جهز المكان بكل ما يوفر الخدمات

الملائمة لأسرة المدرسة كلها، ولكن أنَّى للطلاب أن يصلوا إلى مكان الدراسة الجديد، وهو بعيد عن موقع سكناهم، وليس لديهم من الوسائل ما يعينهم؟

فإذا بالشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يجيب:

البلد طيب، وفيه خير كثير، لدينا ما يكفي نقل أبنائنا حافلة، حافلتان، أكثر.

وفعلاً خصصت الحافلات اللازمة لنقل الطلاب، وبدأت الدراسة في المقر الجديد على بركة الله تعالى.

وبلغ عدد الطلاب مائة وسبعين خصصت لهم معاشات شهرية تختلف باختلاف القدر المحفوظ، فأدناهم معاشه مائة وخمسون ريالاً، وهو من يحفظ من الفجر إلى الناس، وكلما ترقَّى في الحفظ زيد في معاشه؛ حتى بلغ معاش بعض الطلاب ثمانمائة وخمسين ريالاً.

يقول الشيخ إلهي بخش.

لقد وزعنا في مرة مائة وعشرين ألف ريال معاشات الطلاب لشهرين.

وزيدت معاشات المحفظين حتى بلغ معاش المحفظ ألفا وسبعمائة وخمسين ريالاً.

وما وقف الأمر عند هذا الحد بل كانت زيارته للمدرسة مشفوعة

بالهبات والعطايا والهدايا القيمة.

بل لقد صحب مرة في زيارته المدرسة أحد أعيان قطر، وأطلعه على صور من تنافس الطلاب، وأسمعه تلاوة بعضهم، فأعجب بهذا السبق القرآني، وحمد الذي حفظ كتابه، وأثنى عليه، وتبرع على الفور للطلاب بمبلغ عشرين ألف ريال، أعدت الكشوف فوراً، ووزعت على الطلاب.

ومازحة الشيخ قائلاً: نعطي المتعلم، ولا نعطي المعلم؟

فقال: يا شيخ أما يفوتك شيء؟ كم عدد المحفظين والإداريين؟

قال: ستة

فقال: أبشر يا شيخ لكل منهم ألفان، هذه اثنتا عشرة ألف ريال فغمرت السعادة جميع من بالمدرسة، وشكروا الله الذي أجرى لهم الخير، وهيأهم لهذا الشرف، وأعدهم لخدمة كتابه العزيز.

حتى الكساء!

لقد حرص الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على أن يقدم لدارس القرآن الكريم ومعلمه كل ما يستطيع من خدمات، فجعل لكل طالب أو معلم ثوبين من أفخم الأقمشة حتى ليقول الشيخ إلهي بخش: لقد دفعت مرة ثمانين ألف ريال ثمن قماش ثياب لمعلمي وطلاب المدرسة الباكستانية فقط، وما كلفهم أجر الخياطة، بل كان هو أيضاً يتولى سداده رحمه الله وغفر له.

وكثيراً ما كان يدعو أساتذة هذه المدرسة وطلابها لاستقبال ومجالسة علماء، ومفكري العالم الإسلامي، والسماع منهم، وإسماعهم آيات الكتاب العزيز من آيات بشرية من هؤلاء العجم الذين قوَّم ألسنتهم فاستقامت بالقرآن الكريم، فرتلوه أحسن ما يكون الترتيل، وقد لا يعرف كثير منهم من العربية غير الكتاب العزيز.

وقد يشاركون أحد هؤلاء الدعاة الطعام في بيته، أو في فندق، والطلاب يشعرون أنهم في صحبة والد بَرّ رحيم[1].

(١) نشكر الأستاذ/ إلهي بخش ( الإمام بوزارة الأوقاف القطرية ) لإدلائه بمعلومات قيمة أفادت في إخراج هذا البحث.

# الندوة القرآنية

إن الذين خصهم الله بكتابه، وحببه إليهم، وزينه في قلوبهم لا يفتأون يبحثون عن كل ما يمكن من الطرق لنشره، وجمع الناس حوله، وتعميق الصلة به تلاوة وترتيلا ومدارسة، لينالوا من هدى القرآن الكريم ما يصلح الله به دينهم ودنياهم، ويدركوا من نوره ما يهديهم إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

إن حلاوة القرآن الكريم لا تعدلها حلاوة، فإذا طعمها مؤمن، وهيأ الله قلبه لاستقبالها آثرها على ما سواها، فملأ بها وقته، وأسعد بها يقظته، وآنس بها منامه، وأحبها وحببها لغيره من المؤمنين، حتى يستقيم أمره على الإيمان، وتسلم عقيدته، ويحسن الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتأسي به حيث ورد عن أبي حمزة أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1].

وقد أحب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ القرآن الكريم، وأحب أن يصل به إلى المؤمنين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكان من جملة ما عرف به ( **ندوة القرآن الكريم**).

ومن الأمانة أن نترك لعلم من أعلام الدعوة، وفارس من فرسان

---

(١) - رواه البخاري ومسلم.

الجهاد بالكلمة آتاه الله علماً وحكمة، وفقهه في دينه، وعلَّمه وعَلَّم به لازم الشيخ ما يربو على ثلاثين عاماً، وشاركه العمل في الدعوة عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، حيث يقول:

«أذكر ندوة القرآن التي عُرِفتْ به في قطر، وعُرِفَ هو بها كانت مقرأة في داره بمجلسه المجاور لمسجد الشيخ غانم، وكان يحتفل بختم القرآن كلما أتمه، ويدعونا إلى هذا الحفل، فسرنا ذلك منه، وأعجبنا».

فقلنا له: وماذا لو جعلنا الندوة في المسجد، وهو منك قريب، وهو أكثر جمعا، وفيه من يحتاج إلى تقويم لسانه من الخاصة والعامة؟

فما أسرع ما استجاب للفكرة، ووجه للمسلمين الدعوة، وطبع المنشورات، ووزعها على المدارس، وكثير من الجهات، وجعل لها منهاجاً وبرنامجاً يضم بجانب التلاوة التعريف بأحكام التلاوة نظرياً مع تطبيقها عملياً، وكلمات وخواطر هي تفسير لبعض ما قرئ من آيات الله، وكان ذلك يدار على العلماء، فتحولت الندوة والمقرأة إلى منتدى علمي قرآني، وصارت مقصداً لأهل قطر جميعاً، يؤمه الناس من عرب وعجم لتقويم ألسنتهم، وحفظ كلام ربهم، والسؤال عن أحكام دينهم.

وأذكر أنه بعد قليل من إقامة الندوة امتلأ بالناس المسجد؛ حتى اضطر إلى جعلهم مجموعات أربعا، ثم اضطر إلى استخدام مكبر الصوت، وقد بارك الله في هذه الجهود، ونَمَّى هذه الندوة المخلصة، فَخرَّجت كثيراً من الحفظة والقراء المجيدين الضابطين للكتاب العزيز

من الطلاب والموظفين، بل مـن العامة والعجم، وكونت مجموعات في قطـر تلتقي علـى حبِّ الله وكتابـه ومدارسته والعمل بـه، بل والاهتمام بأمـر المسلمين؛ فقد صارت تجمعاً للصفوة من أبناء الأمة تستقبل كل وافد من أقطار الإسلام يعرض فيها قضايا أمته؛ فيسارع الشيخ وأبناؤه لنجدتهم، والانفعال بقضيتهم. أ.هـ.

وهكذا كما أشار أستاذنـا الكريم ـ رحمه الله ـ تحولت ندوة القرآن إلـى روضة طيبة الثمـار، متنوعة العطاء، يقصدهـا القاصي والداني، فأمهـا كثير من أبناء قطر ممن يعيشون فـي أطرافها، أضف إلى ذلك مـن كانوا يأتونها من الوفود الإسلامية، وقد استمرت في حياة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سبعة وعشرين عاماً أو أكثر قليلاً ـ حيث بدأت في يوم الخميس الموافق السابـع من المحرم لعام ١٣٨٣هـ، وامتدت إلى نهاية حياتـه ـ فآتت بفضل من الله تعالى أكلها وبنـت عقولاً ورجالاً، بل ربَّت علـى مائدة القرآن الكريم أبناء بـررة صار كثير منهم من أهل القرآن وخاصته، وقد ازدانت بمجموعة من العلماء الأجلاء، الأفاضل منهم:

الشيخ يـوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبـد الستار، والشيخ عليـوة مصطفـى، والشيخ عبد اللطيف زايد، والشيـخ عبد الحميد طه حسيـن، والشيخ رأفت وافي وغير هـؤلاء الأكارم كثير، ولا زالت آثارها باقية فضلا من الله ونعمة.

أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته.

# كرامة أهل القرآن

## « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون »

ورغبة في تكريم أهل القرآن وتقديرهم تعقد المسابقات لحفظة كتاب الله العزيز، وترصد الجوائز القيمة، ويُسْتَقْبِلُ الراغبون ممن يرون في أنفسهم كفاءة، وقدرة على اجتياز مراحل المنافسة، وتضم اللجان خيرة العلماء، وصفوة العارفين بأصول التجويد على مستوى العالم الإسلامي، وتأخذ الدوحة مكانها بين عواصم الدول الإسلامية لتكون دوحة الكتاب الحكيم، يستظل بظلها أهله، ويتنافس في رحابها المتنافسون، وتملأ أصوات المرتلين سماء الدوحة، متجاوبة في أجواء العالم الإسلامي كله، وتزدان المدينة الزاهرة في موسم القرآن المجيد فخورا بما تتميز به، مباهية بما أفاض الله من نعمة رعاية كتابه، وهنا تظهر آيات بينات لله ـ جل جلاله ـ في حفظ ذلك الكتاب العلي

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

آيات ترتل آيات، عجم لا يعرفون من العربية غير القرآن الكريم، واجتمعوا لينافسوا فيه العرب أنفسهم، وكثيرا ما يفوقونهم والشيخ — رحمه الله تعالى — يتقلب بين هذه اللجان مسبحا تارة، وباكيا أخرى، سبحانك اللهم!

كيف استقامت تلك الألسنة على القرآن الكريم؟

---

(١) - الحجر (٩).

كيف تآلفت به هذه القلوب؟

كيف وجد هؤلاء جميعا فيه زادا، وأحسوا به راحة واطمئنانا؟

أليس هو مأدبة الله؟ فمن يأوي إليها ويلوذ بها غير الذين هداهم الله؟

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به، ونجاة من اتبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول "آلم" حرف، ولا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصفر البيوت من الخير الصفر من كتاب الله»[1].

وقال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن.

وقد كشفت هذه المسابقات التي بدأت منذ عام ١٣٧٥هـ عن أمثلة رائعة صنعها القرآن الكريم، وصاغتها آياته، فكستها جلالا، وألبستها هيبة ووقارا. إليك مثلا.

(١) أخرجه عبد الرزاق والدارمي.

(إن الله لا ينظر إلى صوركم)

شاء الله تعالى أن يظهر على يد هذا الشيخ ـ بما آتاه الله من حكمة، وما فتح له من منافذ الخير، وما يسر له العطاء ـ عظات وعبر، وأن يجلي في حياته دروسا عملية تعمق الإيمان، وتغذو العقيدة، وتدعم السلوك بما يتفق وقيم الإسلام، وتملأ النفوس بما يجعلها دائما مطمئنة بذكر الله تعالى.

ساقت الأقدار إلى ندوته القرآنية شابا صوماليا، رث الهيئة تعدو العين عنه، لا يأبه بمثله، ولا يلقي له الناس بالا، وكأن الصورة قد أعيدت فجاءتنا من عصر النبوة الأغرّ، لتذهب عنا ما نحن فيه من غفلة، وتعيدنا إلى رحاب الإيمان، وذلك حين وضع الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه موضع الاختبار ليعلمهم ويزكيهم.

عن سهل قال مرّ رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

«ما تقولون في هذا»؟ قالوا حَرِيٌّ إن خطبَ أن يُنْكَحَ وإن شفع أن يُشَفَّعَ وإن قال أنْ يُسْتَمَعَ قال: ثم سكت، فمر رجلٌ من فقراءِ المسلمين، فقال: « ما تقولون في هذا»؟ قالوا حري إن خطب أن لا يُنْكَحَ وإن شفع أن لا يُشَفَّعَ وإن قال أن لاَ يُسْتَمَعَ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا» [1].

إنها النظرة العابرة التي لا تتجاوز الظاهر، والتي قومها الرسول

(١) رواه البخاري في باب النكاح.

ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزكاها، وهؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف بمعاصرينا؟

نعم قد يقول المشفقون ـ أدبا مع الله تعالى ـ في شاب أعجمي على تلك الصورة لعله أتى يطلب شيئا من عطاء الله تعالى، والذي تعوده كثيرون مع الشيخ عبد الله في كل موقع، وما دروا أنه إنما أتى ليعطي خير عطاء.

وإذا بالشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يقلب هذه الموازين، ويصحح تلك المفاهيم، لقد تهلل وجهه بشرا، وأفسح مجلسا إلى جواره، وخص به ذلك الداخل الكريم، رغم ازدحام الحلقة بمن فيها، وأخذ الجالسون يواصلون القراءة وأوشكوا أن ينتهوا عند القدر المحدد للقراءة.

إذاً فلن يقرأ الشيخ، وبالتالي لن يقرأ من بجواره، ولكن الشيخ يفاجئ الجالسين، فيوقف القراءة، ويتخطى كثرة من الرجال، ويطلب من هذا الشاب الأعجمي أن يقرأ، ولم يعطه مصحفا، فأسمع الجالسين قرآنا رطبا كما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأنما رجع بالحضور إلى عصر الصحابة، أو طوف بهم في رحاب التابعين، فعجبوا جميعا لهذا اللسان العجمي كيف جعله الله تعالى عربيا غير ذي عوج حين شرفه بترتيل آي الذكر الحكيم.

وازداد الحاضرون رغبة في معرفة سر هذا الشاب، وسر هذه الحفاوة التي استقبل بها، فأزال الشيخ هذا العجب حين كشف أمر هذا القرآني.

## فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

لقد عقدت قبل هذا اللقاء لجنة امتحان المتسابقين في حفظ القرآن الكريم، وتوافد الفرسان، واتخذ كلٌّ مكانه في حينه أمام اللجنة المكونة من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري، وصفوة من العلماء الأجلاء الذين حملوا أمانة الدعوة، واتخذوا من كتاب الله تعالى خير صاحب، وأظهر كل متنافس ما عنده من معرفة بكتاب الله العزيز حفظا وتجويدا، ثم دخل هذا الشاب الصومالي، وتدافعت نحوه الأسئلة، وكانت طلاقة لسانه، وسلامة حروفه، وحسن ترتيله، وتمكنه أمورا تدعو إلى الاستزادة حتى شهدوا جميعا بأنه هو في ذاته آية من آيات الله، وكان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ حريصا على أن يفسح لأمثال هذا أكرم موضع في قلبه، وينزلهم من نفسه أعز المنازل، فكيف لا يفسح لهم في مجلسه؟ ويدنيهم منه؟

أليسوا هم أهل الله وخاصته؟

حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم:

« إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله؟ قال: « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[1].

إنهم حملة كلامه، ومرتلو آيه، ومسمعو البشرية عامة والمسلمين خاصة كتاب الله الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

(١) ابن ماجه وأحمد .

إنهم أولو المجالس التي تنزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة، وتحفها الملائكة، ويذكرها الله تعالى فيمن عنده.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

« وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بَطَّأَ به عملُهُ لم يسرعْ به نسبُهُ » رواه مسلم بهذا اللفظ.

من يوقر هؤلاء كالشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ومن غيره يقدرهم حق قدرهم تكريما لما أوتوا وتعظيما لما حملوا؟

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ يرى فيهم قرآنا يمشي، فهنيئا لمن وافق ممشاهم، وطوبى لكل من يرعى حضورهم.

وهكذا كشفت المسابقات القرآنية ـ التي أعد لها الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وأشرف عليها، وكافأ الفائقين فيها على مدى خمسة وثلاثين عاما ـ عن نماذج إسلامية يعتز بها الإسلام، وأثارت تنافسا في كتاب الله.

# طباعته للقرآن الكريم

قد يكون الحصول على نسخة مطبوعة من القرآن الكريم سهلاً ميسورا بالنسبة للمسلم أو المسلمة في بلادنا العربية، وكثير من الدول الإسلامية بمقابل مادي، غير أن العثور على نسخة مشكلة كثير من المسلمين في بلاد كثيرة إسلامية، وغير إسلامية حتى سمعنا عن اشتراك عدد من المسلمين في بعض دول أفريقيا مثلاً في مصحف واحد يتناوبون القراءة فيه، وقد يستأجر الراغب في الحفظ أو التلاوة نسخة لزمن محدد، بل قد يتقاسم مجموعة من الراغبين نسخة واحدة ليأخذ كلٌّ فرد القدر الراغب في حفظه أو تلاوته وقد كان من لطف الله تعالى بالمسلمين في كل عصر، وتصديقاً لوعده:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

أن يصطفي لكل جيل من ييسر له الفوز بكتاب الله تعالى، قد تتحمل هذا أمة من الأمم ممثلة في حكومتها، وقد يكون هيئة من الهيئات، أو مؤسسة من المؤسسات أو فرداً من الأفراد.

والطباعة علم وفن، خبرة ومعرفة، وقد شاء الله تعالى أن يكون للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سبق مشهود له به في الطباعة، واختيار الكتاب، وبنط الحرف المناسب، وحسن اختيار الورق، وكان ذلك من الخمسينات مع المغفور له الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

---

(١) - الحجر (٩).

لقد آتاه الله تعالى في مجال الطباعة خبرة لا تتوفر إلا للقلائل من الماهرين الفائقين في هذا الفن الذين مارسوه عن حب، وعايشوه باقتناع.

اتجه الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بكليته إلى الله تعالى راجياً توفيقه، مستمدا عونه حتى يكون خادماً أميناً لكتابه، مخرجاً إياه في طبعات مختلفة الأشكال، والأحجام، والخطوط؛ حتى تتناسب مع كل قارئ، وتتمشى مع ما ألفه كل مجتمع من مجتمعات أمة الذكر الحكيم.

لقد أخرج كتاب الله العزيز في خمساً وثلاثين طبعة ـ تحت إشرافه ـ مراعيا فيها جميعاً جودة الخط، حريصاً على إحياء الخطوط التي لم تطبع، أو تقادم العهد على طبعها، ولم تتح لها فرصة الظهور لفترة طويلة.

لقد كان سباقاً متميزاً في هذا المجال الطيب المبارك، فآواه الله تعالى، وأمده بمدد من عنده، فنهض بما عزَّ على كثير من أهل الاختصاص أن ينهضوا بمثله أو قريب منه، كان تواقا لجمع الخطوط والنسخ المفردة والنادرة، وعلى ما أمكن من روايات القراءة باذلاً في سبيل ذلك ما غلا، مستعذبا في سبيل غايته النبيلة كل ما يتكلف من جهد، أو يلاقي من مصاعب ومشاق.

حصل على نسخة فريدة بخط ابن البواب، والكثير من النسخ المخطوطة، فأخذ مثلاً من طبعات مصر طبعة الأزهر الشريف، وطبعة الملك فؤاد، وطبعة الشمرلي، وطبعة ورش، فأخرج ـ رحمه الله تعالى

ـ نسخة للقرآن الكريم تكتمل فيها رواية ورش عن نافع وأحضر لها أهل التخصص من علماء الأزهر الشريف، وعل رأسهم الشيخ عبد المتعال منصور شيخ المقارئ المصرية ـ آنذاك ـ وذلك لتحقيق كامل الرواية، وقد اختارت لجنة من علماء العالم الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي تلك النسخة المباركة.

كما طبع من الخطوط الهندية طبعات متميزة، وطبع الخط التركي للآمدي، وطبع الخط العراقي، وطبع خط الشام القديم بخط قرة، وخط الشام الحديث للخطاط عثمان طه، والخط المغربي، وقد ساهم ـ رحمه الله ـ بطبعات خاصة للحرمين الشريفين نالت القبول، وجاءه فيها الشكر من إمام الحرم المكي، وتوالت الشهادات من مشيخة الأزهر الشريف بسلامة الطبع، وجودة الإخراج، وطبع ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغات مختلفة كالإنجليزية، والفرنسية، والسواحلية، وغيرها من اللغات ولشدة تعلقه بالقرآن الكريم، وتعظيمه له، وحرصه على كمال مظهره كان يُعْنَى بكل ما يتصل بطباعته من مواد مستخدمة، أو مهارات تساعد على حسن إخراجه، فكان يختار الورق ـ وهو به خبير ـ محدداً الحجم المراد مع تحري الخفة ما أمكن، رافضاً الورق العادي رفضاً تاماً في طبع المصحف الشريف، مصراً على ورق (بايبل) قائلاً: (إذا صنعه غيرنا لإنجيلهم فكتاب الله العزيز أولى به وأحق وهذه نعمة من الله تعالى يسرها لنا).

وكان يختار البنط المناسب، ويهتم اهتماماً بالغاً بوضوح الكلمات

والآيـات، وكان لا يهتم بإخراج إطار الصفحـات على حساب الكلمات، فقـد يكون الإطار في الطبعة المراد تنفيذهـا سنتيمتراً كاملاً، فيقول: يكفينـا نصفه بل قد يصل به إلى الربـع، ولذا يخرج حجم الآيات أكبر من الطبعـة الأصلية لتوسيع مساحة الطبـع بتضييق حيز الإطار؛ حيث كان يحرص على راحة القارئ أثناء التلاوة من المصحف.

وعلى سبيل المثـال حين فكر في طبع مصحف الجيب ذي الحافظة المغلقة شدد في تضييق الإطار حتى لا يكاد يتجاوز ملليمتراً واحداً.

كمـا كان يحدد جلد الغلاف، ونوع الكرتـون الذي يخصص للحشو، وشكل البصمة، ففاق وأبدع.

الله. الله فيمن أحبوا كلامه، وشغلوا به، وجعلوه زادهم في إدبارهم عن الدنيا، وإقبالهم على الآخرة.[1]

(١) نشكر الأخ الأستاذ محمد صلاح الدين محمد مرسي، كريم تعاونه في إخراج فنيات هذا الجزء، وتبصيرنا بكثير من جهود الشيخ – رحمه الله تعالى – في طباعة المصحف الشريف.

# خادم العلم وإحياء التراث

- قرار حكيم
- جدٌّ ووفاء.
- براعته في تحقيق التراث.
- خبرة فائقة في إخراج كتب التراث.
- نفائس من التراث .

# قرار حكيم

إن انطلاقة الشيخ عبد الله الأنصاري ـ رحمه الله تعالى ـ بإدارة الشئون الدينية، وإصدار طبعات من المصحف الشريف، وطبع بعض كتب التراث، وإتاحة ما يتم إنجازه للمسلمين داخل قطر، وخارجها، ونجاح تلك التجربة، وظهور أثرها، وحديث أبناء الإسلام عنها، وإشادتهم بقطر، تلك التي أتحفتهم كتاب الله تعالى، وبعض ذخائر التراث آنس هوًى كريماً، و توجهاً طيباً لدى رجال عظماء، قادوا هذه الأمة وانطلقوا بها إلى سماء المجد، وحلقوا بها ـ سابقين ـ في أجواء التنافس على الخير.

أكرم به من دين لا يرضى الله غيره، ولا يتقربُ إليه عابد إلا به، وما بعث رسولاً من الرسل، أو اصطفى نبياً من الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – إلا به!

وإذا كان الإسلام عظيماً فقيمة تراثه من قيمته، وعظمة القائمين به، الآخذين بهداه من عظمته، فما ظنك بمن وهبوا أنفسهم له، وبذلوا النفس والنفيس في سبيله، وسخروا نعم الله فيهم لخدمته دفاعاً عنه، وتذكيراً للغافل، ورداً للشارد، وتبصرة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم مواجهة صريحة قوية لأعداء الحق، الناقمين عليه، لنقول في عزة المؤمن، وفي قوة المعتصم بالله، كما علمنا ربنا جل وعلا:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

هذا ديننا، فمن أراد الهدى فليكن كما قال ربنا جل جلاله:

---

(١) ـ آل عمران ( ١٠١ ).

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقد كان حظ حكام قطر ( آل ثاني ) – وفقهم الله تعالى – من الحرص على إحياء التراث موفوراً، وبذلهم في سبيله سخياً مباركاً، وتخطيط أميرهم وولي عهده الأمين حكيماً؛ حتى ترى أمة الإسلام بين أيدي أبنائها زاداً طيباً من هذا التراث، ولمن يسندون هذه الأمانة وهم يعلمون ثقلها؟

ومن يا تُرَى في نظرهم يتحمل هذه المسؤولية، ويوليها كل ما يستطيع من صادق الجهد، وخالص العطاء؟

إنه ابن قطر البار، خادم العلم، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

فصدر قرار مجلس الوزراء رقم ( ٥ ) لسنة ١٩٨٢م.

بإنشاء إدارة إحياء التراث الإسلامي، وتكليف الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري بإدراتها، وتسيير أمورها

وإليك نص القرار:

**قرار مجلس الوزراء رقم ( ٥ ) لسنة ١٩٨٢**

**بإنشاء إدارة إحياء التراث الإسلامي** (٢)

**مجلس الوزراء،**

بعد الاطلاع على النظام الأساسي المؤقت المعدل، وبخاصة على المادة ( ٣٤ ) منه،

---

(١) - الروم ( ٣٠ ).

(٢) - نشر بالجريدة الرسمية العدد ( ٥ ) لسنة ١٩٨٢.

وعلى القانون رقم ( ٥ ) لسنة ١٩٧٠ بتحديد صلاحيات الوزراء وتعيين اختصاصات الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى، والقوانين المعدلة له،

وعلى قرار مجلس الوزراء رقم ( ٨ ) لسنة ١٩٧٠ بإعادة تنظيم الجهاز الإداري لوزارة التربية والتعليم،

وعلى اقتراح وزير التربية والتعليم،

قرر ما يلي:

**مادة ( ١ )**

تنشأ إدارة تسمى ( إدارة إحياء التراث الإسلامي ) تتبع وزير التربية والتعليم، ويتولى هذه الإدارة فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري.

ويكون مسئولاً مباشرة أمام الوزير.

**مادة ( ٢ )**

تختص الإدارة بدراسة التراث الإسلامي والعمل على حفظه وإحيائه ونشره، ولها في سبيل تحقيق ذلك القيام بما يلي:

١. الإشراف على طبع المصحف الشريف وتوزيعه.

٢. الإشراف على تنظيم تحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وتهيئة المراكز اللازمة لذلك.

٣. المساهمة في نشر كتب التراث الإسلامي والعناية بالمخطوطات الإسلامية القيمة وجمعها وحفظها ودراستها.

٤. اتخاذ ترتيبات الوعظ والإرشاد في المواسم الدينية.

**مادة ( ٣ )**

صدر بقرار من الوزير، بناء على اقتراح مدير الإدارة اللوائح التنظيمية والتنفيذية اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

**مادة ( ٤ )**

يلغى كل حكم يخالف أحكام هذا القرار.

**مادة ( ٥ )**

على جميع الجهات المختصة، كل فيما يخصه، تنفيذ هذا القرار، ويعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية.

**خليفة بن حمد آل ثاني**

أمير دولة قطر

ورئيس مجلس الوزراء

صدر في قصر الدوحة

بتاريخ: ١٤٠٢/٨/٢٤هـ - الموافق: ١٩٨٢/٦/١٦م

إنها لأمانة كبرى، ومسؤولية عظمى، ومهام تحتاج إلى رجال ذوي عزائم ينهضون بها، ويخلصون لرسالتها، ويصدقون الله تعالى فيما أنيط بهم.

فمن يكون لها سوى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

ولا أزكيه على الله ؛ فليحمل الأمانة، وليجعل الله قصده، وليسأله العون.

# جدٌّ ووفاء



وتلقى الشيخ القرار راضياً عن ربه العلي الأعلى الذي جعله أهلاً لهذه الثقة، راجياً إياه – جل شأنه – أن يهبه من العزم ما يعينه على إحسان الجهد، وإتقان العمل، ومن الرشاد ما يوفقه، ويسدده، فالأمر جد خطير، والعبء تنوء بحمله العصبة أولو القوة، فلا ملجأ له إلا إلى الله، ولا أمل إلا في عونه وتوفيقه.

قَبِلَ وكله رجاء لله رب العالمين أن يُبَصِّرَهُ بما فيه خير الإسلام والمسلمين، فتراث أمة الإسلام ليس هيناً، والعمل فيه ليس ميسوراً إلا لمن يسَّره الله تعالى عليه، فالواقف أمام هذه الكنوز يبهره عدُّها، ويعجزه حصر فنونها وأنواعها، مع تنوع المذاق في كل نوع، واختلاف العطاء في كل فن، وتباين آثار المؤلفين واتجاهاتهم، ووضوح أثر البيئات والعصور، وبالتالي تفاوت قيمة تلك الذخائر، واختلاف جناها، مع اتفاق أصولها، ووحدة ثوابتها.

فالاختيار في أمر صعب، ومهمة شاقة، ولابد أن يسبقه بحث ومراجعة، ثم مفاضلة بريئة من الهوى، خالية من التعصب، تنشد الحق، وتطلب أعظم النفع وأيسره، وهنا يظهر فقه من يتصدَّى لهذا العمل، ويكشف الاختيار عن فطنته، وبصره، ومدى إحاطته بالفن المختار منه، أصوله وفروعه، وطرائق تناوله، ومناهج رواده، وأي المناهج أوفى، وأبلغ في تحقيق المراد.

وهـو سيفاضل بين كَـمٍّ ليس بالقليـل، ويوازن بين أفـكار ومعطيات تختلف باختلاف هؤلاء الذين يقارن بين عطائهم، فالمشارب مختلفة، وعطـاء الله لأولئك الأعلام متفـاوت، وتفاعلهم مع ما يعالجون من فن متبايـن تبايـن بصمـات الأصابع، فالمتـصدي لهذا العمـل إذا حالفه التوفيـق طرح الضعيف الهزيل الذي تنبـو عنه العين، وينفر منه الذوق السليم، والطبع القويم، كما يزيح ما جمعه صاحبه دون فقه، ونقله دون بَصرَ، وعجز عن إبراز دوره، وتحديد رأيه.

أما ما يستحق الوقوف، ويستدعي المراجعة، ويهيب بالمدقق الأريب أن يصحبـه، وبالناقد البصير أن يجعله ضمن حصيلته فما يرشحه إلا جودة المـادة، وعبقرية العرض، والقدرة على مواجهـة الآراء، وانتقاء أرشدهـا، أو الخروج بجديـد، مع مراعاة القارئ، وعـصره، وتطورات حياته، والاتجاهات الفكرية المسيطرة، والأهداف التي يرمي إليها هذا الجهـد، وغير ذلك من الملابـسات التي تحتم عليـه المواءمة وتقديم ما يستحق التقديم.

إن الأمانة عظيمة، وحسن توجيهها، وتحديد مسارها أعظم، غير أن الثقة بالله، والاعتماد عليه، والأخذ بالأسباب مع حسن التوكل ستذلل كل الصعوبـات، وتنطلق بإدارة إحياء التـراث إلى هدفها الأسمى، وغايتها العظمى.

لقـد أخذ فـي تكوين جهازهـا الإداري، واصطفـاء ركائزها الفنية، فوضع يده في يد خيرة علماء قطر، وَوَثَّقَ الصلة بعلماء ومفكري العالم

الإسلامي وخبرائه في كل فروع تراثنا العريق، وحين يقتضي الأمر استقدام لجنة من أي بلد عربي أو إسلامي لا يتوانى لحظة، وقد يسر الله تعالى له الأسباب، وهيأ له عوامل النجاح.

إن الدوحة غاصة بالمطابع، ولديها الرغبة في الانتفاع والمساهمة، فقسم العمل بينها مع عدم الإخلال بحق الإدارة، أو التفريط في مصلحتها؛ حتى لقد كانت مطابع الدوحة تعمل في بعض الأوقات أربعاً وعشرين ساعة أو قريباً من ذلك، بل طبع في بلاد شقيقة، وأفاد الله به كثيراً، ونفع به طوائف وطوائف يعلم الله عدها.

لقد كان أسطول الناقلات إلى مخازن إدارة إحياء التراث ومنها يثير العجب، ويدعو إلى التفاؤل، ويبشر بخيرية هذه الأمة وامتداد الخير فيها.

لقد أتيح لمراجع قَيِّمَة أن تأخذ مكانها في المكتبات الخاصة والعامة، وأن تعاد طباعتها بعد أن طال بها الوقت حبيسة رفوف المطابع، أو مؤسسات البيع لعلو تكلفتها، وارتفاع قيمتها، وعجز الراغبين عن شرائها.

والتعامل داخل قطر وخارجها أمر ضروري، وهو في حاجة إلى تنسيق فكانت مراكز التوزيع داخل قطر لها مهام ومسئوليات في إمداد الأفراد والمؤسسات، والهيئات، مع الحرص الشديد على أن تؤدى الخدمة بأسلوب مناسب بعيد عن التعقيد، والفلسفات العقيمة، حتى

يكون التعامل مع الإدارة محبباً إلى قاصديها، مريحاً لكل الراغبين في التزود أفراداً أو جماعات.

أما خارج قطر فالجهاز الإداري يتلقى المراسلات ويؤلف بينها، فيجمع مطلوبات كل دولة، وتعد رسائل الرد على كل طلب مشفوعة بخطاب شكر، ودعوة إلى معاودة الطلب، ثم تنقل جوّاً على نفقة الإدارة لتصل إلى طالبيها مشفوعة بالشكر، والترغيب في دوام الاتصال.

هذا فضلاً عن القوافل البرية التي كانت تجوب دول الخليج يرافقها مندوبو الإدارة المكلفون بإيصال كل رسالة، والعودة بقوائم المطالب الجديدة.

# براعته في تحقيق التراث



للتحقيق قيمته وخطورته، وهو ضرورة لإحياء تراث أمتنا وبهذا الإحياء نحمي أمتنا: حاضرها من الضياع، ومستقبلها من التلاشي، ونعيد للأجيال ماضيها، والعاملون في مجاله مصابرون صابرون على مشقات هذا الفن وصعوباته.

وعمل المحقق هو خدمة النص، وتدقيقه من جميع جوانبه، إيضاحاً لمبهمه، وبياناً لمتشابهه، وترجيحاً لما يعتمد عليه من مخطوطاته.

ولقد أدرك الجاحظ قديما أن التحقيق أشقُّ وأصعب من التأليف.

قال الجاحظ في كتابه الحيوان:

« ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حُرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام »[1].

هذا إذا كان المؤلف يصلح خطأه، ويحقق كتابته فما بالك بمن يصلح لغيره، ويحقق مكتوباً ربما أتت عليه قرون؟

يقول الأستاذ الكبير المحقق البارع عبد السلام هارون:

« إن تحقيق النصوص محتاج إلى مصابرة، وإلى يقظة علمية، وسخاء في الجهد الذي لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد، وأيام معدودات »[2].

---

(١) -- تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون.

(٢) -- نفس المصدر السابق.

وربما كانت صعوبة هذا الفن من أهم أسباب تأخر عنايتنا به، والتفاتنا إليه حتى ظنّ بعضهم أن التحقيق فنٌّ غربي، وصناعة نقلناها عن المستشرقين، مع أن تلك السمات التي يجب أن تتوفر في المحقق، والأسس التي ينهض عليها هذا الفن أصيلة فينا، عميقة الجذور في أسلافنا فقد عُرف عنا « أننا ذوو عهد قديم بهذه الدقة المنهجية، في الرواية، والأداء، وكان علماء الحديث عندنا أول من وضعوا أصول هذا المنهج، وضبطوا قواعده، وعنهم أخذها جامعو اللغة، ورواة الشعر والأخبار، قبل أن تسمع الدنيا بكلمة الاستشراق »[1].

وقد سبق في هذا الميدان أفذاذ، وتصدى له عمالقة منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر يتناقلون رايته جيلا بعد جيل مؤكدين أننا أربابه، وأهل العلم، والسابقون فيه بما ميزنا الله تعالى به من أصول ثابتة، وصلة وثيقة بالعطاء العلمي.

وشأن التحقيق شأن غيره من ميادين العطاء المتميز، والأعمال العظيمة التي يهيئ الله تعالى لها عظماء أكفاء يرتادونها فَيُعْرَفُونَ بها، وتُعْرَفُ بهم، ويُعَبِّدُون طريقها، ويرسون قواعدها، ويخطون منهجها.

ولو قُدِّرَ لنا أن نعلم كيف تستوقف المحقق لفظة، وتستدعي كل ما لديه من خبرة، وما جمع طول حياته من دراية باللغة، ومعايشة لكلماتها وعلومها لأدركنا عظمة هذا العمل فإذا فرغ من اللغة طالعته جوانب

(١) - تراثنا بين شرق وغرب د. بنت الشاطئ.

تخصصيـة تتعلق بالروايـة والرواة ـ مثـلاً ـ أو الآراء وصحة ردها إلى أصحابها، أو الوقوف أمام بعض الحقائق العلمية، وغير ذلك كثير.

فالتحقيـق لا تكفيه ملكة واحدة، بل ملـكات، ولا تنهض به براعة في علم بل سبق في علوم، وإلا سقط التحقيق والمحقق.

ولقـد كان الشيـخ ـ رحمـه الله تعالـى ـ عارفـا بصعوبـة التحقيق، خبيرا بمتطلباتـه، أمينا على ما استودعه الله مـن ذخائر، ينتدب لكل علـم أوثـق العلماء صلة بـه، وأعرفهم بقضاياه، وإن أقـام خارج قطر، فليـس يـرى حرجا فـي إرسال الكتب بالطائرة إلـى أي جهة من جهات العالـم ليحققها من هو أهل لهذا، ثم يبعث بها إلى قطر، ثم ترسل إليه البروفـات للمراجعـة، وهكذا حتـى يكتمل العمل، ويخـرج إلى القارئ، ناهيك عن قسوة ما يلاقي من صعوبات، وما يعرض له من مشكلات.

وقـد شمل التحقيـق عند شيخنا فنوناً مختلفـة، وأسهم معه فيه من أسهـم من مفكـري الإسلام داخل البـلاد وخارجها ممـن تطمئن إليه نفـسه، ويحـدث عنه علمـه، وتقدمه خبرتـه مهما كلفـت مشاركته من جهد، أو استلزمت من تبعات مادية أو غيرها.

# خبرة فائقة في إخراج كتب التراث

ثم يأتي دور الإخراج، فإذا بالشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فني متخصص خبير يحدد بدقة كل ما يتصل بالطبع مراعياً الجمال والإتقان في كل ما يتصل بالكتاب المطبوع حتى يصل إلى يد القارئ.

وبإمعان النظر في طبع كتاب (عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) لمؤلفه (إسماعيل بن أبي بكر المقرى).

تجد نفسك ـ بعد أن يتأكد لك أن كل اللمسات الفنية في إخراج الكتاب من فكر الشيخ رحمه الله تعالى ـ تسأل: أقضى الشيخ شطراً من عمره في صنعة الطباعة حتى تسنى له هذا الحذق، وانقادت له تلك المهارة المعبرة عن ذوق رفيع، وعبقرية فذة؟

والكتاب الذي نتحدث عنه جمع خمسة علوم هي (الفقه على مذهب الإمام الشافعي، والعروض، والتاريخ، والنحو، والقوافي) وهي مجتمعة في كل سطر من سطور الكتاب، وعلى القارئ أن يأخذ من كل سطر ما يتصل بكل علم من هذه العلوم ليصل في النهاية إلى تجميع لمسائل كل فن من هذه الفنون، على حدة دون أن يختلط عليه أمره.

ترى ماذا يفعل الشيخ؟

لقد أثبت أعمدة في كل صفحة انتهى كل عمودين منها بقبة، واستخدم أربعة ألوان، مضافاً إليها لون الصفحة (الأبيض) فيكون

المجمـوع خمسة ألـوان، يمضي كل لون منها بالقـارئ في طريق خاص لاستكمـال معلومات علـم خـاص، وبمراجعة هذه الصفحـة من كتاب (عنـوان الـشرق الوافي) يتبين لك عظمة هذا الفكـر، وتتضح عبقرية هذا الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فالعمود الأخضر استقل بعلم العروض، وقد جمعت القبة الخضراء ما فيه ثم أدخل محتوى القبة فيه في صورة أحرف مفرقـة، فيقول: ومَبْنِـيٌّ على ( مستفعلـن فاعلاتن فاعلاتن) ، وهـو بهذا يشير إلى تفعيلات بناء المجتث أحد البحور العروضية، فإذا انتقلنـا إلـى العمـود الأزرق طالعك تاريـخ ( بني الـرسول) من ملوك اليمن، فيقول (لملك رجلاً كاملاً، وأقام في الملك عن خمس وعشرين عاماً وأشهر، وكانت وفاته).

ويستطرد في الصفحة التالية فيقول محدداً مكان الوفاة وتاريخها:

(بـداره في الشجرة في قبالة تعز المحروس أول ليلة من ذي الحجة سنـة إحدى وعشريـن )، أما اللون الأخضر الفاتـح فمخصص للنحو، وفيه يتحدث عن الحال متمماً ما بدأه في الصفحة السابقة حيث قال:

(والحـال منـصوب أبـداً وهـو) ثم يكمل فـي الصفحـة التي نحن بصددها فيقول ك (كل اسم نكرة جا (أي جاء) بعد اسم معرفة، قد تم الكلام دونه يقولون من ذلك جاء زيدٌ رجلاً نصبت) أي فحكمه النصب فإذا ما رحلنا سوياً إلى العمود الأصفر في آخر الصفحة استقبلك علم القوافي فيصل هذه الصفحة بالصفحتين السابقتين حيث يقول فيهما « والمطلق يلزمه حركتان، وثلاثة أحرف، فالحرك ».

ثم يكمل في الصفحة المشرقة بين يديك بقوله: « تان لتكمل كلمة ـ فالحركتان ـ) المجرى والنفاذ، والأحرف الروي والوصل والخروج » فيضعك أمام مصطلحات من علم القوافي تسعد بها أخي القارئ الكريم – إن كنت من عشاق هذا الفن ( علم العروض ) حين تظفر بنسخة من هذا الكتاب العجيب فإذا عدت إلى قراءة السطور بما فيها حروف العمودين الأوسطين رحب بك فقه الشافعي، ففي وسط السطر من الصفحة ( باب الضمان ) « وكل من صحت منه تصرفات ماله صح ضمانه، والموانع من التصرفات في المال تمنع منه إلا المحجور بالفلس فلا بطلان لضمانه » هيا بنا ـ أخي الحبيب ـ إلى نفس الصفحة لأحدثك عن سر تضبط به بدء السطر ونهايته، فهو يبدأ بنفس الحرف الموازي له في العمود الأخضر، بينما ينتهي بنفس الحرف الموازي له في العمود الأصفر، وأضاف سيدي الوالد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مثلثة قطرب، والمقصود بالمثلثة أن تضبط أول حرف من الكلمة (ضماً وفتحاً وكسراً)، وقد طبع في تجويف القبة الأولى الشطر الأول من البيت، وفي القبة الثانية الشطر الثاني منه فنرى في هذه الصفحة قول قطرب:

ذَلَّفْتُ نحو الشَّرْبِ فلم أَدْرِ عن شِرْبِ

وفي الصفحة التالية يكمل:

فانقلبوا بالشُّربِ ولم يخافوا غضبي

ثم يوضح المراد من الكلمات الثلاث في صفحتين أخريين:

بالفتح جمع الأشْرِبَه والكسر ماء شربه
والضم ماء العنبه عند حضور العنب

فاكتملت في الكتاب خمسة علوم، ومعها تلك المثلثة، وما وقف فكر الشيخ عند هذا بل أتبع الكتاب ملحقاً ذكر فيه كل علم على حدة، ثم المثلثة أي عطاء هذا؟ حتى في التعامل مع الألوان ليميز أشياء متلاصقة؟ )

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (١).

وما كانت الحكمة حروفاً ترسم، أو قولاً تسير به الركبان، وإنما هي ـ والله تعالى أعلم بمراده ـ توفيق يصحب المنعم عليه بالحكمة في كل ما يأتي أو يذر، توفيق يستوعب حياته كلها لحظة بلحظة خلا من الناس أو اجتمع بهم، عالج أموره الخاصة أو فرغ لحاجات الآخرين.

(١) - البقرة ( ٢٦٩ ).

# نفائس من التراث

رغبة منا في إيقاف القارئ على بعض جهود الشيخ في إحياء التراث راجعت ما لدى الأسرة من أوراق وما تحوي مخلفات الشيخ – رحمه الله تعالى – من قوائم أو إشارات إلى كتب سواء كان هذا في إدارته للشئون الدينية، أو في توليه لإدارة إحياء التراث، وأحصينا ما ضمت **مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة** من أسفار، واتصلنا ببعض المكتبات العامة في دوحة الخير لحصر ما فيها من كتب للشيخ – رحمه الله تعالى – جهد فيها، ودور في إبرازها إلى الوجود حتى اجتمع ثلاثمائة عنوان، وربما غاب عنا كثير؛ حيث رحل عنا إلى درا البقاء ١٦ من ربيع الأول ١٤١٠ هـ الموافق ١٦/١٠/١٩٨٩م، وتوقف العمل منذ أمد بعيد، وربما لم تكن هناك عناية بالتسجيل، والشيخ ـ رحمه الله كان همه العمل، لا إحصاء ما طبع، ولذا لا أستبعد أن يكون لدى القارئ الكريم بعض مطبوعات لم ترد فيما وصلنا، فالجهد كبير والعمل دائب وقد حظي بجوار ربه.

والله اسأل أن يجزي خادم العلم بما قدم، وأن يجعل عمله موصولا بمطالعة كل قارئ، واستزادة كل باحث، والله على ما يشاء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

# الشيخ وعلم الفلك

- أهمية هذا العلم.
- براعته في علم الفلك.
- خادم العلم والتقويم القطري
- مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية.

# أهمية هذا العلم

الفلك علم له أسسه ومبادئه، كما أن له أصوله ومناهجه في البحث ووظائفه في إثبات الحقائق التي تقوم عليها حياتنا الدينية بما فيها من عبادات، ومواسم للطاعات، وحياتنا الدنيوية بما فيها من زرع وغرس، وحصاد، وجنيٍ، وما يتوقع من مناخ، أو ينتظر من رياح مما تتأثر به حركتنا براً، وبحراً. وهو علم يعنَى بدراسة النجوم والكواكب والأجسام الأخرى التي يتكون منها الكون، ويرصد الفلكيون مواقع وحركات الأجرام السماوية[1].

وهو علم له عند الله تعالى قدره فقد أقسم الله ببعضه، فقال: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۞ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۞ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) [2].

ولما كانت عبادات المسلمين تحكمها ظواهر كونية، تتبع حركة الكون بما فيه من ليل ونهار، وشمس وقمر أمر الله جميع المسلمين أن يسيروا على السنن القويم، وهي السنة القمرية التي هي أسهل لجميع الناس، وإن كانت أشق لأن الحج ـ مثلا ـ يدور في الفصول الأربعة كل ثلاث وثلاثين مرة ويحج الناس في كل فصل تسع حجات تقريبا، ويذوقون الحر والبرد لزيادة الثواب )[3]

---

(١) - الموسوعة العربية العالمية: المجلد السابع عشر ص ٤٨٢.

(٢) - سورة ( الشمس ) ( ١: ٦ ).

(٣) - تفسير الجواهر الجزء الخامس بتصرف.

وإنك لترى عظمة التشريع الإلهي في دوران شهر رمضان المعظم، فيصوم المسلمون هذا الشهر الكريم صيفا، وشتاء، ربيعا، وخريفا،، فيعانون الحر تارة، والبرودة أخرى، ويصومون النهار في أقصى طوله، ويسعدون به في أقصر ساعاته، حكمة لا يحيط بها إلا الحكيم الخبير.

إن بدء الشهر ونهايته مرتبط بالهلال.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو قال: أبو القاسم: « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين »[1].

وبدء اليوم ونهايته مرتبط بظواهر كونية أحكم الله تعالى سيرها:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[2].

كذلك الصلوات الخمس.

وما وقت الصلاة إلا ما حدده جبريل ـ عليه السلام ـ وحيا عمليا في صلاته برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ارتباط بحركة كونية.

﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[3].

أرأيت أخا الإيمان أن هذا العلم إسلامي يحدد للمسلم أوقات طاعاته كما أراد له ربه؟

---

(١) ـ متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

(٢) ـ البقرة ( ١٨٧ ).

(٣) ـ النمل ( ٨٨ ).

بأي الشهور ارتبطت النساء في عدتهن؟

وكون الرضاعة حولين لمن أرادت تمام الرضاعة :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [1].

أليست الشهور قمرية، أليس الحولُ قمريا؟

فصناعة الفلك لم تكن لازمة لأمة من الأمم لزومها للأمة الخاتمة.

(١) - البقرة ( ٢٣٣).

# براعته في علم الفلك

لقد جمع الشيخ إلى جانب ما أفاء الله عليه من علم مهارة في الفلك، ومعرفة بحركة النجوم، ومسارات الكواكب، وفَوْقاً في التقويم، ودقة في تحديد بدايات الشهور ومواقيت الصلاة، حتى صار مرجعا في ذلك كله، موثوقاً بآرائه لدى مسؤولي وعلماء الخليج متأثراً في ذلك بوالده الشيخ إبراهيم، ومع صعوبة هذا العلم ووعورة مسالكه، وندرة العارفين به أحبه، بل عشقه، وأعطاه اهتماما كان موضع إعجاب والده ودهشة المتصلين به من أنداده، أو من يلتقي بهم من أهل العلم، وأضافه الفتى الشاب إلى مطلوباته، حيثما ارتحل لطلب العلم، فدرسه في الأحساء، وتلقى كثيرا من مبادئه وفروعه على الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف الجعفري والشيخ عبد الرحمن القاضي العدساني، وقد أعجبا أيما إعجاب بذكائه وفطنته وشجعا فيه حرصه، وبالغ رغبته وعظيم اهتمامه ، مما دعا الشيخ عبد الرحمن القاضي العدساني يهدي إليه نسخة من ترتيبه لعلم الفلك على منوال تقويم العيوني.

أما في مكة المكرمة، فلم يشغله ما هو فيه من جهاد تقلب فيه بين شيوخ المدرسة الصولتية، وعلماء الحرم المكي عن مواصلة دراسة علم الفلك، والاتصال بأساتذته والأخذ عنهم، فدرس على شيوخ أجلاء، كان من أشهرهم الشيخ أحمد ابن الشيخ خليفة بن نبهان (**البحريني الأصل**)، حيث درس عليه علم الفلك في كتاب (**الربع المجيب**) للشيخ خليفة بن نبهان رحمهم الله جميعا.

ولـم تكن نهاية الدراسة النظامية نهاية الدراسة في علم الفلك عند الشيخ عبد الله – رحمه الله – فقد واصل القراءة، وتابع البحث ومارس التطبيق العملي لذلك العلم الذي عزَّ الإقبال عليه مع شدة حاجة الناس عامة إليه، والمجتمع الإسلامي خاصة لارتباط عباداته به.

# خادم العلم والتقويم القطري

لقد خط والده التقويم بيده؛ حرصاً منه على أن يكون لقطر تقويمها، وقد أسلمه لولده الشيخ عبد الله.

إن الطباعة لم تدخل البلاد، فماذا يصنع الشيخ عبد الله رحمه الله؟

ما وهن أمام هذه الصعوبات، وما أرجأ تنفيذ هذه الرغبة الصادقة، وإنما سخر لها كل إمكاناته الخاصة في صبر وجلد؛ لقد شرع يكتب التقويم بيده، ويخطه في قراطيس، ويمنحه من الجهد والوقت ما يساعد على تحقيق أقصى الغايات، فكان يسجل منه نسخا قليلة، يودع منها في المسجد الكبير، ويهدى ما تيسر إلى ذوي الهمة من رجال وطنه ذوي الفضل والعلم طالباً من كل مَنْ يحصل على نسخة أن يسطر عدة نسخ، ويوزعها ليعم النفع، وتنتشر الفائدة، وكان هؤلاء ـ رحمهم الله جميعا ـ أوفياء بررة، فلا تكاد تمر أيام حتى تنسخ عشرات النسخ، بل مئات النسخ من التقويم القطري لينتشر مع كل مَنْ يعنيه هذا الأمر، ويحظى كل مَنْ يحب اقتناء النفائس بنسخة من ذلك التقويم ويودعها ضمن مقتنياته العزيزة.

وشاء الله تعالى أن تدخل الطباعة قطر، وقد هيأ الله – جل شأنه لها آل ثاني، وهم حكام طيبون بطبيعتهم يميلون إلى الخير، ويحرصون على الإصلاح، ويسعون إلى التطور، وكان حاكم قطر آنذاك الشيخ علي

بـن عبد الله آل ثاني ـ رحمـه الله ـ حيث كانت لـه اهتماماته الخاصة بطباعـة نفائس التراث، فـأضاف إليها طبع التقويـم القطري ليصدر مطبوعـا في أعـداد توفر لكل راغب نسخة أو أكثـر، وكان ذلك في عام ١٣٧٧هـ.

ومن مؤلفاته الفلكية (معرفة الصواب في موافقة الحساب للموافقات الهجرية والميلادية لمائة عام)

# مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية

والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ خُلِقَ للمسلمين جميعا، لا يعرف التعصب، ولا يرى في تقلباته غير الجسد الواحد، والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، فهو حريص أشد الحرص على وحدة المسلمين، واجتماع دولهم، فما هم وإن تعددوا إلا أمة واحدة، وقد وجد في علم الفلك طريقا لتوحيد المسلمين ـ ولو في الدول العربية والدول المشاركة لها في جزء من الليل ـ في أوائل الشهور القمرية، ويجتهد، ويكثف اتصالاته، وصلته بالمسئولين على مستوى الدول الإسلامية، حتى تم له شيء من ذلك ودُعِيَ إلى عقد ( مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية، في الكويت في الفترة من ( ٢٣ من المحرم ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٩٧٣/٢/٢٦م إلى من المحرم ١٣٩٣هـ ـ الموافق ١٩٧٣/٣/٣م).

وقد انعقد المؤتمر برئاسته، وسكرتارية الشيخ عبد الله العقيل.

وقد أشار الشيخ في افتتاحه إلى ضرورة الحفاظ على التاريخ الهجري والرجوع إلى الحساب الفلكي عند تعذر الرؤية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « فاقدروا له ».

وكان من توصيات هذا المؤتمر:

ـ أن رؤية الهلال هي الأصل في تحديد الشهور القمرية شرط ألا تتمكن منها التهمة تمكنا قويا، وهي تثبت بالتواتر والاستفاضة

أو بخبر الواحد العدل إذا لم تَنْتَفِ التهمة في الأخبار لسبب من الأسباب، ومنها مخالفة الحساب الموثوق به.

- أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل، وإذا ثبتت الرؤية في بلد وجب أن تأخذ بها البلدان الأخرى إذا كانت إذاعة ذلك البلد من جهة رسمية وبالوسائل المعتمدة.
- أنه إذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكي الموثوق به.

وجوب عمل تقويم قمري بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الإسلامية وعلماء الفلك تلتزم به الحكومات الإسلامية في صومها وفطرها وفي تحديد مواسمها الدينية وفي تاريخها.

واجتمعت اللجنة برئاسته، وبعد دراسة ومناقشة اتفق الحاضرون على الأسس التي يُبْنَى عليها التقويم الإسلامي الموحد الذي يجمع بين الحكم الشرعي والحساب الفلكي، وكان هذا من أغلى وأعز آماله.

# الشيخ
# ورمضان المعظم

إن مواسم الطاعات في الإسلام أزمنة حميدة حبب الله – تعالى – إلى المؤمنين إحياءها، ورغَّبهم في التنافس فيها، وكشف لهم عن عظيم فضله، وواسع رحمته لمن يحسنون العمل فيها، ورمضان المعظم سيد الشهور شَرَّفَهُ الله – تعالى – بنزول القرآن الكريم فيه، وفرض الله تعالى علينا صيامه، وخصه دون سائر الشهور بتلك الفريضة فشرف بها أيضا، يقول جلت حكمته:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[1].

شاء الله ـ جلت قدرته ـ أن تكون قطر في عصرها الحاضر مضرب المثل في شهر رمضان الكريم، فقد كان ابنها البار – خادم العلم – **عبد الله بن إبراهيم الأنصاري** يسبق بدعوة مفكري العالم الإسلاميين للنزول بهذا البلد الذي أحب العلم، وقَدَرَ أهله حق قَدَّرِهِمْ، وحبب الله إليه القرآن، وزينه في قلوب أهله، ففتحوا قلوبهم قبل بيوتهم للقرآن الكريم وأهله، وأعدُّوا عقولهم قبل منازلهم للأخذ عن العلماء، وكان مطار الدوحة مهبط الداعين إلى الله ـ تعالى ـ ومنطلق الضاربين في سبيل الله داعين إلى الله، مبلغين دعوته، حاملين إلى أقطار الأرض كلمته.

---

(١) ـ الحشر ( ٧ ).

## فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لا يدع عالما اشتهر بدعوته وعُرِفَ بحجته، إلا ودعاه لقضاء شهر الصوم في قطر، ورغبه في معايشة إخوانه المسلمين فيها، وبشره بأنه سيجد فيها تربة طيبة، ومناخا مؤمنا كريما، وسيرى فيها نفوسا أُشْرِبَتْ حب الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاشتاقت للأخذ عن الله ـ جل جلاله ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسر الله ـ تعالى ـ له أمره، فاستجاب له صفوة علماء الإسلام، وقد صار أهل قطر، والمقيمون بها يترقبون هلال رمضان، فهو هلال رشد وخير، يُقْبِلَ، فيُقْبِلَ معه أهل القرآن، ومشاهير القراء على مستوى العالم الإسلامي، ويفد العلماء، ومعهم خير ما يُهْدَي، معهم ما أفاء الله ـ جل جلاله ـ عليهم من علم بكتابه، وفقه لسنة رسوله ومصطفاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودراية بدين العلي الأعلى جل ثناؤه.

لئن كان كثير من بلاد الإسلام يضاعفون أنوار الكهرباء احتفاء برمضان فقد تعود هذا البلد أن يكون القرآن الكريم نوره، والعلم هداه في أيامه كلها عامة وفي رمضان المعظم خاصة، فما هي إلا دعوات كريمات يطلقها خادم العلم ـ رحمه الله تعالى ـ هاتفيا، أو بريديا فتأتيه بكل عالم حكيم فقيه، وتستقبل الدوحة هذه الوفود الكريمة الطيبة، وتعد للقائهم إعدادا يفوق الوصف، ولم لا وهي تستقبل من أراد

الله تعالى بهم خيرا، وتحتفي بورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[1].

وهم المبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « بلغوا عني ولو آية »[2].

وهم الداعون إلى الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

فقطر حين تستقبل إنما تستقبل الخير والهدى، وتفتح أبوابها للدعوة إلى الله تعالى، وتيسر الطريق لكل راغب في إبلاغ حق، وتتيح لكل عالم غيور على عقيدته الفرصة، وتفسح له المجال مُعَبِّراً عن الحق الذي آمن به ليُحقَّ الله الحق ويبطل الباطل، ولتكون كلمة الله هي العليا.

لقد كانت الدوحة تستقبل هؤلاء استقبالها لأسباب التجارة الرابحة، وقد أعد خادم العلم ـ رحمه الله تعالى ـ خطته، وحدد نُزُل هؤلاء الأعلام، وهُيِّئَتْ لهم الإقامة الهانئة المريحة، وأتيحت لهم الاتصالات الهاتفية داخل قطر وخارجها، ووسائل الانتقال المنظمة، فكنت ترى مواكب النور تنطلق من الفنادق قبيل الصلوات لأداء الصلاة، والالتقاء

---

(١) ـ متفق عليه.

(٢) ـ رواه البخاري.

(٣) ـ فصلت ( ٣٣ ).

بإخوانهم المسلمين في دروس أو ندوات بعد صلاة العصر، أو عقب أداء العشاء والتراويح، أو دبر صلاة الفجر، وقد تعقد الندوات في المساجد أو في أماكن عامة، وقد وزعت النشرات، وانتشرت جداول الدروس والمحاضرات، وأحيط الرجال والنساء والشباب والفتيات بها علماً، وتنطلق السيارات إلى مساجد كذا، أو مكان كذا لسماع القرآن الكريم يرتله فلان من مشاهير القراء في أي دولة إسلامية، ثم حضور محاضرة يلقيها فلان، أو ندوة يشارك فيها فلان وفلان من علماء ومفكري العالم الإسلامي حتى لا تكاد تذكر قارئا أو مفكرا ذاع صيته في عصر خادم العلم ـ رحمه الله تعالى ـ إلا وكانت له في قطر زورات، ومع جمهور هذا البلد الطيب لقاءات، وعرفته بيوتات كريمة في قطر الخير، وعرفها.

والقرآن الكريم في طبعاته المختلفة، كذلك كتب التراث، أو مؤلفات مفكري العالم الإسلامي توزع هدايا على الحضور، حتى لقد كان بعضهم يقول: حصيلتي من الهدايا الرمضانية — كذا مصحفا، وكذا كتابا.

# الشيخ وحاجات الناس

الحديث عن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وحاجات الناس مجال يطول فيه القول فقد كان ـ والله حسيبه ولا أزكيه على الله ـ يرى أنه إنما خُلق للناس عامة، وللضعاف وذوي الحاجات خاصة، فكان ـ رحمه الله تعالى ـ يستقبل ذوي الحاجات استقباله لغنم طيب، وزاد كريم يَذْكُرُهُ الله به في الدنيا، ويرفعه به إذا قام الناس لرب العالمين، لقد كان لقاؤه لذوي الحاجات يدخل السكينة في قلوبهم، ويدنيهم منه، ولا يجدون غضاضة في مراجعته، بل كانوا يتحولون بعد قضاء حاجاتهم إلى رسل خير يدعون ذوي الحاجات إليه، ويجمعون الضعفاء من حوله.

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ بشوشا، حسن اللقاء، حلو الحديث، لا يغضب، ولا يعرف العبوسُ طريقَه إليه، وقد تدفع الحاجة صاحبها إلى أن يكون شديد اللهجة، ثائر العبارة، ملحاحاً مما يدفع بعض القريبين من الشيخ إلى الغضب رفقا به، وزجراً لهذا الجرئ الحاد، فإذا بالشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يغضب منهم، ويثور عليهم، ويحثهم على الرفق بهؤلاء الذين اختبرهم الله تعالى بهم، وجعلهم منطلق ذوي السلطان والجاه إلى رضوان الله تعالى ورحمته، أو سائقيهم إلى غضبه وعذابه، والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يرجو لنفسه ولمن معه الأولى، ويستعيذ بالله من الثانية، وكثيرا ما كان يُذكِّرُ من حوله بقوله: من للضعفاء إذا تخلينا عنهم؟

إنـه يهيب بهم أن يقبلوا على خدمـة الآخرين بنفوس طيبة، مطمئنة بالإيمان رجاء أن يجعل الله تعالى لهم شيئا من ثوابه، فذاك نهج رسول الله ـ صلـى الله عليـه وسلـم ـ وتلـك سنته عن أبي مـوسى الأشعري ـ رضي الله عنـه قال: كان النبي ـ صلـى الله عليه وسلم ـ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال:

« اشفعوا تُؤْجَرُوا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب »[1].

ولعلـه ـ رحمه الله تعالى ـ كان يذكر تلك الدعوة الكريمة من رسول الله، نبيَّ البر والتقوى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثه الشريف :

عـن أبي هريـرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:

« مَـنْ نَفَّـسَ عَـنْ مُؤْمِنٍ كُرْبـةً مَنْ كُـرَبِ الدُّنيا نَفَّـس الله عنه كربةً مِـنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومَـنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَـسَّرَ الله عليهِ في الدُّنيا والآخـرة، ومن سترَ مسلمـاً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عونِ أخيه »[2].

ولـذا فقد نـذر الشيـخ ـ رحمـه الله تعالـى ـ نفسه لتفريـج كربات المسلمين، والتيسيـر عليهم، وستر عوراتهم، وآثر أن يكون في حاجات المسلمين عسى الله أن يكون في حاجته.

---

(١) ـ متفق عليه.

(٢)ـ رواه مسلم.

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١).

لقد عرف الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بأنه دائم الابتسامة، كثير الترحاب، هاشٌّ باشٌّ، لا يعرف الاعتذار، ولا يقبل التراخي في حاجات الناس، وكأن الشاعر كان يعنيه بقوله:

تراه إذا ما جئته مُتَهلِّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

لقد كان بعض قاصديه يأتيه في وقت غفوته، أو إجهاده فينهض نشيطاً طيب النفس، مُلقِياً كل متاعبه، مظهراً كل ما يريحُ زائره مشعراً إياه بتجاوبه التام معه، ومعايشته له في مأساته، مبديا استعداده لمعاونته، وحرصه على بلوغ مراده، وهو في كل أمره يقدم مشيئة ربه.

﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً ۞ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّه وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً ﴾ (٢).

والشيخ ينطلق بالله، منكرا نفسه، معلما من يلوذ به أن الأمور كلها بالله، وأنه ـ جل شأنه ـ جعل لكل شيء قدرا، وما نحن إلا أسباب إن أراد فعلها فعلت، وإلا فلا يستطيع غيره ـ جل شأنه ـ إفعالها.

رحم الله الشيخ لقد أقام الله تعالى ( به ) مراكز إسلامية، ومؤسسات اجتماعية، ودورا للأيتام، فضلا عن كثير من المساجد في كثير من بقاع أرض الله تعالى، وكم يَسَّرَ على يديه من حاجات مسَّ أكثرها المسلمين عامة، وكان سند الكثير من حركات التحرر والجهاد

---

(١) ـ الشعراء ( ٨٨، ٨٩ ).

(٢) ـ الكهف ( ٢٣، ٢٤ ).

الإسلامي، وكان له تأثير واضح في الدعم المادي والمعنوي.

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ دائم التفكير في هموم المسلمين والبحث عن سبل الحل لها، وعلى سبيل المثال لا الحصر اهتمامه بالأرض المحتلة وتبنيه فكرة إنشاء صندوق يمول الصرف على مساجد بيت المقدس، وذلك أثناء انعقاد اجتماع المجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي كان عضوا مؤسسا فيه، وتم افتتاح حساب بدولة قطر لتلقي الدعم من أهل الخير بدولة قطر ثم تحويل المبالغ بعد ذلك إلى رابطة العالم الإسلامي لتحويلها إلى جهات الاختصاص للإنفاق منها في أوجه الصرف المخصصة لها، إنه يعايش أبناء فلسطين، ويرى حقهم على المسلمين، ويعمل جاهداً على إيصال هذا الحق أو البلوغ فيه وفاء للإسلام ورعاية لحرمة القدس ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال في الإسلام.

وكان لا يذهب إلى مؤتمر أو حضور اجتماع إلا وفي جعبته من القضايا التي تهم المسلمين الكثير، وكان يدافع عنها دفاعا مستميتا، ولا يخشى في الله لومة لائم، وكم من القضايا التي أثيرت، وتم تنفيذها كان له فيها الأثر الطيب على المسلمين.

ففي أثناء زيارة الشيخ – رحمه الله تعالى – لندوة العلماء – وكانت هذه أول زيارة لها من قبل الشيخ – اطلع على نشاط اللجنة وما يقوم به سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي ـ رحمه الله تعالى ـ من أعمال تخدم الإسلام والمسلمين من تعليم وإقامة لمسلمي عدد كبير من الدول

الإسلامية تبرع الشيخ رحمه الله بمبلغ ( ٢١,٠٠٠ ) واحد وعشرين ألف دولار أمريكي لندوة العلماء. دون تردد.

وكان بفضل الله – تعالى – موفقا في اختيار مواقع المشروعات الإسلامية من مساجد وغيرها، لتؤدي – بحول الله وقوته – رسالتها على أحسن الوجوه وأكملها.

وإليك نماذج على سبيل المثال:

**مسجد الشيخ خالد بن حسن العبد الله آل ثاني:**

بني هذا المسجد في جمعية الأنصار الخيرية في ليدالا بالهند، وتم رصد مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ ثلاثمائة وخمسين ألف ريال قطري لبناء المسجد، وبني هذا المسجد في منطقة تكثر فيها المؤسسات النصرانية، وكان كثير من المسلمين يرسلون أولادهم إلى هذه المؤسسات، وكان المسجد بمثابة منارة للإسلام في تلك المنطقة.

سبحانك اللهم، أنت الله ربنا ورب كل شيء لا رادَّ لقضائك، ولا معقب لحكمك، تُسَخِّرُ من تشاء وما تشاء لمن تشاء.

كيف حرك – الله تعالى – هذا الشيخ من قطر، وأمده بمدده، وحمله من أموال الله؛ لينفق منها في رعاية مصالح المسلمين، والدفاع عن دين الله جلَّ وعلا..

ألم أقل إن الرجل – رحمه الله تعالى – مشغول بهموم المسلمين، سباق إلى رعاية ضعافهم؟

# دار الأيتام الأنصارية بكاليكوت بالهند

معلم من معالم العمل الإسلامي، ودرة نفيسة بين دور الأيتام بالهند.

إنها جديدة فريدة في نهجها، وصورتها، وعطائها التربوي والاجتماعي، وصورتها التي تفوق كل التخيلات، وأسلوبها التربوي التعليمي المنبثق من الدين الإسلامي الحنيف، والمساير لما وصل إليه العصر الحديث من وسائل وطرق تربوية حديثة، والدار تضع في طليعة من تهتم بهم هؤلاء الأيتام الذين فقدوا العائل، وغاب عنهم من يرعى شئونهم، وأصبحوا أمانة يسأل عنها أبناء الإسلام عامة، ومن اصطفاهم الله – تعالى – لفعل الخيرات خاصة، ثم أبناء الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون.

يقول ربنا – جلا وعلا – لحبيبه ومصطفاه:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١).

وعن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّجَ بينهما (٢).

---

(١) – الضحى ( من ٦ إلى آخر السورة ).

(٢) – رواه البخاري.

ورعاية شئون اليتامى من دلائل صدق العقيدة وعلامات الفلاح يقول العلي الأعلى:

﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (١).

أما إهمال اليتيم والإعراض عنه، وتجاهل حاجاته فليس من الدين في شيء، بل هو أكبر سمات الكفر والجهل.

انظر إلى ذلك البيان بما فيه من فضيحة للكفر والكافرين، وتذكير لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ (٢).

ولا خير في أمة تنسى ضعافها، وتُفْتَقَدُ الرحمة في علاقاتها، ولا يكون هذا أو شيء منه في أمة قال الله تعالى عنها:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ﴾ (٣).

ولذا كان لابد من إقامة هذه الدار في تلك البقعة من أرض الله لإشعار كل يتيم مسلم بأنه إن فقد أبا فالمسلمون جميعا له آباء، وإن رحل عنه العائل فأمة الإسلام كلها تعوله، وتقام له دار باسمه

---

(١) - البلد ( من ١١: ١٦ ).

(٢) - الماعون ( من ١: ٣ ).

(٣) - الفتح ( ٢٩ ).

تستقبل معه، ومع أبناء الذين لا يجدون أبناء الأغنياء الأثرياء دون أن تفرق بين غني وفقير، فروادها متساوون في الرعاية، متكافئون في ملبسهم، وطعامهم، وشرابهم، ونومهم، ويقظتهم، بل في كل شئ.

كما أنها أغنت المسلمين عن إيداع أبنائهم وبناتهم في دور لا صلة لها بالإسلام، وبالتالي لا تقوم التربية فيها على منهج إسلامي.

وكانت في قيامها بعيدة عن كل تعصب، بريئة من كلّ تفرقة، لا تميل إلى حزب معين، ولا تناصر اتجاها دون آخر، فهي للمسلمين جميعا.

وقد أقيمت على مساحة (٢٠) عشرين هكتاراً، فيها جمال الريف، وسحر الطبيعة، ورقة الحياة واعتدالها، وقد أطلق عليها (منبع الرحمة).

وضع خادم العلم **الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري** حجر الأساس في جمهرة مسلمي الهند على بركة الله تعالى، وافتتح العمل بها في العام الدراسي

(١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) وأطلق عليها هذا المسمى تيمنا بالأنصار، الذين آووا، ونصروا وتقديراً للشيخ الذي وَفَدَ عليهم من قطر، فرأى نفسه واحداً منهم، ورأى كل يتيم مسلم في هذا البلد ولده، له عليه حقوق، فقدم من مال الله تعالى ما يَسَّر الله له، ورَعَى — بفضل من الله — المشروع منذ نشأته الأولى إلى اكتماله، وظل وثيق الصلة به، يزوره، ويتفقد أحواله، ويتابع سير العمل فيه حتى لقي ربه تعالى راضيا مرضيا.

إهداء من مكتبة فضيلة الشيخ عبدالله الأنصاري

# المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية
# الدوحة - المحرم ١٤٠٠هـ

- إعداد وحسن استقبال
- الشيخ راعي المؤتمر

# إعداد وحسن استقبال

شاء الله تعالى أن يكون مفتتح ختام أعوام القرن الرابع عشر للهجرة في دولة قطر الحبيبة، وفي دوحة الخير، عاصمتها المباركة، وذلك بانعقاد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية خلال الفترة من ( السبت ) الخامس من المحرم إلى (الخميس) العاشر من نفس الشهر المحرم ( ١٤٠٠هـ) الموافق ( ٢٤: ٢٩) من نوفمبر ( ١٩٧٩م )، ويشارك في أعماله ( ٢٦٧ ) مائتان وسبعة وستون من العلماء والوزراء وكبار المسئولين عن الشئون الإسلامية، والقضاء الشرعي، والإفتاء، والمشتغلين بأمور الدعوة والفكر الإسلامي في عالمنا الإسلامي، وقد وفد هؤلاء الأعلام من (٤٧) سبع وأربعين دولة، خرجوا لله وفي الله، أشرقت جوانحهم بحب الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان عيداً في الدوحة يضيء شعاعه كل دول العالم الإسلامي، بل يشرق سناه في كل بيت مسلم يرى أنه أن للإسلام عليهم حقا، وكان حديث العالم كله، وشغل الصحف ووكالات الأنباء العالمية يتابعون باهتمام بالغ مؤتمراً ليس إلا صورة تحكي ماضي أمة اصطفاها الله تعالى، وختم بها الأمم، وبعث فيها مسك ختام النبوة – صلى الله عليه وسلم – شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ليقيم به الملة العوجاء، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوبا غُلْفاً يقول العلي الأعلى:

﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [1].

---

(١) - سورة إبراهيم (١).

وهم باجتماعهم هذا يصرون على أن يكون الحاضر امتداداً لماضينا العريق نضرة، ووضاءة، وإشراقاً، وسبقا، وأن يعد المسلمون أنفسهم لمستقبل تحتل الأمة فيه مكانتها التي أرادها الله تعالى لها، وميزها بها، وجاهد الرسول الأكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه الأعلام ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ من أجلها.

جاؤوا ينشرون ما أُوتُوا من حكمة، ويذيعون ما آتاهم الله من فضله من علم، ويخرجون ما امتلأت به قلوبهم من حب يتسع للإنسانية كلها فضلاً عن المسلمين في كل بقعة من أرض الله جلَّ وعلا.

وخرجت الدوحة في استقبالهم فرحة مستبشرة، حَفِيَّةً بقدومهم متفائلة، شأنها شأن كل أرض مسلمة تعلق على هذا اللقاء آمالاً، وترتقبُ على أيديهم فتحا، وتسأل الله العلي الأعلى باجتماعهم عزا ونصرا.

وقد أعد ابن قطر البار، خادم العلم، الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ـ بفضل من الله تعالى ـ خطة محكمة للعناية بهؤلاء الوافدين الأخيار تبدأ باستقبالهم منذ تشرف ساحة مطار الدوحة الدولي بهم، ورعاية شؤونهم مدة إقامتهم، ثم حسن وداعهم حين يتم الله تعالى عليهم نعمته، ويجري على أيديهم الخير لأمة الإسلام.

فولي الإدارة التنفيذية الأستاذ محمد بن عبد الله الأنصاري ( أبو عمر ) وانبثقت من هذه الإدارة لجان أدت دورها، وتابعت نشاطها؛ حتى نهاية المؤتمر.

وكانت اهتمامات حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وولي عهده

الأميـن، ثم الحكومة الرشيدة لدولة قطـر تاريخاً يذكر فيشكر، وعملا تزدان به أمجاد دولتنا الحبيبة.

لقـد كانـت السيارات الفخمة تكتنـف المطار بأعـداد هائلة، ومعها المسئولون عـن واجبات الحفاوة والتكريم تحمـل ضيوفنا الأعزاء إلى الفنـدق، حيث الجناح المعد لكل وافد كريـم، وقد أحسن ـ بفضل من الله تعالـى ـ اختيار أماكـن الإقامة، وتيسير كل الخدمات اللازمة حتى الاتصالات الهاتفية داخل قطر وخارجها.

وقد خصص لإقامة الوفود فندقا (الواحة) (وشيراتون)، أما أعمال المؤتمر فقد حظي بها فندق (الواحة).

وكان لوزارة التربية والتعليم قصب السبق، وحازت من الفضل أكثره، ومـن الخيـر أعلاه، فقد سخـر الشيخ محمد بن حمـد آل ثاني – وزير التربية والتعليم آنذاك – كل إمكانات الوزارة لخدمة المؤتمر وإنجاحه، وأمـر بإعداد قاعة الاحتفالات فـي مقر القسم الداخلي بالوزارة، حيث عقدت بها جلسة الافتتاح، ثم الجلسات العامة للمؤتمر.

وقـد انبثقت من هذا المؤتمر كثير من التوصيات الهامة التي وجهت بـصدق واهتمـام للنهوض بالأمـة الإسلامية في قضاياهـا المصيرية وعـلاج ما يكتنفهـا ويعرقل مسيـرة سموها وبنائهـا وأداء رسالتها من منغصات وأسباب.

# الشيخ راعي المؤتمر



أما الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ فحركة دائبة لا تتوقف ونشاط دوار لا يهدأ، وعمل لا يعرف الفتور، ويقظة لا تقربها غفوة.

لقد خطط للاستقدام، والاستقبال، والإعاشة، وتابع كل خطوة، وتفقد التنفيذ لحظة بلحظة، واقر ما يناسب، واستبدل ما لا يتفق وتطلعاته، ومع هذا لا يرى أنه قد فرغ من واجباته، وأدى ما عليه حين أسند المهام إلى أكفاء يقومون بها، بل ترى الحرص الذي فطر عليه يحمله على الدخول في كل أمر والوقوف على كل صغيرة وكبيرة، مع أنه في تلك الأيام لم يمض على خروجه من غرفة العمليات في لندن؛ حيث أجرى فيها عملية قلب كبرى، لم يمض عليه سوى أيام يسيرة لا تتجاوز عشرين يوماً.

فهو مع أصحاب المهام فيما كُلِّفُوا به، وهو في حاجات الوافدين، وصلته بهم دائمة، يتعرف على شئونهم، ويرعى مصالحهم، ويزورهم فرادى أو جماعات، ينصت إلى محدثيه عن الإسلام والمسلمين في بقاع كثيرة من أرض الله، ويسأل عن الأحوال في دول إسلامية، ويناقش قضايا الأقليات المسلمة في بلاد أخرى، ويستمع إلى قصص الصراع بين الحق والباطل، وما يعانيه القابضون على دينهم في كثير من أجزاء العالم، ويعرف أثر ما يسمع في قسمات وجهه فتراه مشرقاً، متهللاً، مستبشراً لكل نبأ سار، وتلمحه حزيناً مهموماً إذا سيق إليه شيء عن

مصائب المسلمين وبلاياهم، يغمره الأسى، ويعتصره الضيق ولا يفرج عنه كربه، أو يكشف ضيقه إلا حديث الحق – جل وعلا – إلى عباده المؤمنين في محكم كتابه:

﴿ آلم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١).

وهنا تنطلق الدعوات إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وترتفع الأكف في ضراعة، وتتطلع القلوب إلى مدد الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، موقنين أن النصر من عند الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ـ جل شأنه ـ وأن العهد قائم.

﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ﴾ (٢).

ولذا فهو يتقلب بين الوافدين حريصاً على الخروج بأدق المعلومات وأشملها سائلاً الله – جلت قدرته – أن يمنحه شرف تلبية حاجات المجاهدين، وأن يجعله غوثاً للمستضعفين.

لقد كانت حصيلة المؤتمر بالنسبة له مختلفة تماماً عن كل مشارك، فأهدافه كثيرة، وطموحاته متعددة، وتطلعاته إلى مستقبل إسلامي أسعد وأفضل تحتلُّ فيه أمتنا الإسلامية الموضع اللائق بها، والذي اختاره الله تعالى ـ لها ـ واختارها له، وليعودوا إلى ما كان عليه سلفهم،

(١) - العنكبوت ( ١: ٣ ).

(٢) - التوبة ( ١١١ ).

فيشرفوا بمعية سيد ولد آدم – صلى الله عليه وسلم – ويكونوا كما قال ربنا جل وعلا:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ﴾ (١).

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ قوي الذاكرة يعي أكثر مما يكتب، ويحمل في صدره من آلام الأمة أضعاف ما تحدث به المراجع، وكان وقَّافاً عند المهام، شغوفا بعظائم الأمور خرج من المؤتمر بحصاد طيب، ووقف على كثير من قضايا المسلمين.

لقد حضر المؤتمر كبار العلماء وقادة الجماعات والمنظمات الإسلامية وأساتذة الجامعات من أمريكا إلى أندونيسيا ومن مراكش إلى الرباط.

أرأيت أن الرجل – رحمه الله – يذكر فيشكر، وتعد مواقفه، فيفتقده عارفوه؟

(١) - الفتح ( ٣٩ ).

# الشيخ والجهاد

- أمة مسلمة .
- الغزو الروسي لها .
- صحوة إسلامية .
- غوث إسلامي .
- تنافس واستجابة .

# أمة مسلمة

أفغانستان أمة مسلمة لهـا تاريخها، ورجالها، ومنذ أشرق الإسلام في ربوعهـا لها جهادها وجلادها، وعلماؤها، وأعلامها، وقد فتحت في عصر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حيث كتب إلى الأحنف بـن قيـس ـ رضي الله عنه ـ بالمسير إلى خـراسان ( سنة ثلاث وعشريـن من الهجرة ) فـسار إليها بجيش كثيـف، فدخلها من الطبسين، وفتـح هراة عنوة، وكان ذلك أول فتح لأفغانستـان، وقد أنجبت أفغانستان (مـن الأعلام من لا يمكن إحصاؤهم منهم مـن صحب النبي ـ صلى الله عليـه وسلـم ـ مثـل سفينة الذي خـدم رسول الله ـ صلـى الله عليه وسلم ـ ومنهـم مـن كان من طبقة التابعيـن مثل الضحاك بـن مزاحم، وعطاء بـن أبي السائب، ومقاتل بن حيان، وعطـاء بن مسيرة الخرساني البلخي، ومقاتل بن سليمان وسعيد بن أبي سعيد المقبري، ثم ظهر في طبقة تابعي التابعيـن ومن تبعهم من العلماء والمفسرين، وأصحاب الحديث، والعباد، والزهاد والمجاهدين والوزراء، والملوك، ما لا يحصى كثرة »[1].

وانطلقـت مسيرة الأفغـان على مرّ العصور، فيهـا علماؤها، وأعلام جهادهـا، وقادة نضالها، وكان لها مع كل عـصر ما هو موضع فخرها، وعزة تاريخها، لا يبيتون على ضيم، ولا يخضعون لعاصفة، ولا يستذلهم طغيان، ولا يساومون في عقيدتهم، ولا يستبدلون بقيم الإسلام الحنيف قيماً من صنع الشيطان .

(١) كتاب ( أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ) د. محمد علي البار ص ٤١٢.

# الغزو الروسي لها

شعب هذا دَأْبُه، وذاك تاريخه إذا تناوبته العواصف، ومكر به أعداء الله، وَوَدَّ الناقمون على الإسلام إبادته أفلا يجد من المسلمين دعما، ومن عقلاء العالم الإسلامي، ومنصفيه مَدَداً وسَنَدَاً؟

وإلا فأين الجسد الواحد، والبنيان المرصوص الذي يشدد بعضه بعضاً كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؟

إن جارَ الشؤم، ونذير الضياع والبوار في العالم (روسيا) لا يحب لجاره أفغانستان استقرارا، ولا يرضى أن تحيا هادئة، حيث إنه يعلم سمات شعبها، وصلابة مجاهديها، بل هو يخشاها على نفسه، فحاول محاولات مستميتة أن يجعلها وكراً للشيوعية، ولكنه كان يجني الفشل، والخيبة، ويبوء عملاؤه بالخزي، والعار، وتسقط الشيوعية، وشياطينها، وتكون كلمة الله – تعالى – هي العليا، وترفرف راية الإسلام نوراً للموحدين، وناراً تشوي وجوه الذين لا يؤمنون، إن الأذان يعلو في اليوم خمس مرات فيملأ الفجاج والآفاق، فيبعث الطمأنينة في قلوب الموحدين، ويلقي الرعب في قلوب الصم، البكم، الذين لا يعقلون.

لم ير الشيطان بُدّاً من الزحف العسكري الأحمر على هذا البلد الطيب،

(وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩ توجهت القوات الروسية عبر الحدود المشتركة لاحتلال أفغانستان.. وبالفعل توجهت ٦ فرق سوفييتية

مدعومة بمئات من ناقلات الجنود والمصفحات والدبابات وطائرات الميج ٢٣ ومئات من طائرات الهليكوبتر العملاقة لاحتلال قاعدة باجرام الجوية ومنها إلى كابل العاصمة.

وقد اشترك في عمليات الهجوم الأولى على أفغانستان ست فرق بكامل أسلحتها من الجيش السوفييتي يقودهم أكثر من اثني عشر جنرالا عسكريا بالإضافة إلى أربعة من كبار قادة القوات الجوية السوفيتية.

وعلى حدود أفغانستان حشدت روسيا ٣٥ فرقة يبلغ تعداد أفرادها ٢٠٠,٠٠٠ جندي بكامل أسلحتهم الحديثة تدعمهم ٧٥٠٠ دبابة و ١٥٠٠ طائرة، وفي المحيط الهندي تحركت أكثر من ثلاثين قطعة حربية سوفيتية لتدعيم غزوها لأفغانستان.

وقد اختارت روسيا وقتا مناسبا لعملية غزو أفغانستان إذ كانت الولايات آنذاك مشغولة بقضية الرهائن المحتجزين في السفارة الأمريكية في طهران [1].

ويبدو أن أمريكا وبقية دول أوروبا لم تكن معارضة دخول السوفيت في أفغانستان لأسباب منها:

**أولا:** أن ذلك العمل العسكري قد يخمد نيران التيار الإسلامي الذي بدأ يتصاعد في المنطقة، وأصبح يهدد مصالح أمريكا، والغرب، كما يهدد روسيا ذاتها.

(١) - من كتاب ( أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص٢٤٨، ٢٤٩.

**الثاني:** أن دخول روسيا إلى أفغانستان سيسيء إلى روسيا إعلاميا ودوليا، ويفقدها ما كسبته من دعاية في الدول العربية، والإسلامية.

**الثالث:** أن الشعب الأفغاني لا يمكن إخضاعه بسهولة، بل قد تُتَوَقّعُ غلبته، ويكلف روسيا غاليا، وتكون أفغانستان فيتنام روسيا.

وتكون المواجهة بين باطل أعمى الغرور أهله فلم يروا غير أنفسهم، ولم يَشُكُّوا لحظة في قدرتهم، وكفاءة إعدادهم، فكان حالهم كحال سابقيهم من أئمة الكفر.

# صحوة إسلامية

واشتعلت قلوب المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها حقداً على أعداء الله، ونصرا، وتأييداً لفتية آمنوا بربهم، فزادهم الله هدى، وربط على قلوبهم، وطالب ملايين الشباب بالخروج جهادا في سبيل الله لا يرجون من دولهم غير السماح بالخروج، وإن كان الاستعمار قد أبى ذلك، وسوَّل لبعض الحكام مَنْعَهُمْ، وإن كانت قلة قد خرجت فعلاً، والتحمت بصفوف المجاهدين الأفغان، لا يقلون عنهم حماسا، أو رغبة في الشهادة.

ورغم أن المجاهدين قبل الزحف الأحمر كانوا سبع فئات منفصلة إلا أن الغزو الروسي قد أدَّى إلى توحيد الصف، وجمع الكلمة، وتناسي الخلافات.

وصدق العلي الأعلى:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

ولكنهم كانوا يعانون من نقص في الأسلحة الحديثة لمواجهة أضخم ترسانة عسكرية في العالم آنذاك، كما كانوا يعانون نقصاً كبيراً في عدد الأطباء، والأدوية، ووسائل العلاج، فضلاً عن ندرة الغذاء وفقدان كثير من ضروريات الحياة هذا للمجاهدين.

---

(١) - الأنفال ( ٦٣ ).

فما بالك باللاجئين من شيوخ ونساء وأطفال بلغ عددهم في باكستان حوالي (أربعة ملايين لاجئ)، ( وأكثر من مليون ونصف ) في إيران، ( وتكلف مساعدة اللاجئين إلى باكستان وحدها ١,٢٠٠,٠٠٠ ) مليون، ومائتي ألف دولار يوميا، وذلك على هيئة خيام، وطعام، وماء، وبعض الخدمات الصحية البسيطة، وتقوم باكستان بدفع نصف هذا المبلغ من خزينتها المنهكة بينما يأتي النصف الثاني مساعدات من دول الخليج، وغيرها، وبعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة) [1].

هذا فضلا عن اللاجئين في إيران، وما تتحمله من أجلهم، وما يحتاجون من مساعدات، والأمور تسير على مرأى ومسمع المسلمين في العالم كله وإن حاول الاستعمار تعتيم الإعلام.

(١) - من كتاب ( أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ) د/ محمد علي الباز.

# غوث إسلامي

وهنا تحركت عاطفة الأخوة، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » (١).

والقرآن الكريم يحدثنا عن أخوة لا ريب فيها؛ ألا وهي: أخوة الإيمان:

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (٢).

والله تعالى حق، وقوله الحق، وهو القائل جل شأنه:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣).

فلابد أن يرى العالم هاتين الصفتين (الشدة على الكفار، والرحمة بين المؤمنين) واقعا مُحَسًّا ملموسا، فانبرى رجال يحركون نوازع الخير، ويستحثون عاطفة الإخاء، ويدعون إلى البذل من مال الله في سبيل الله، ومساندة المجاهدين في الله إعلاء لكلمته، ونصراً لدينه، وكان الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري في طليعة هؤلاء العظماء، لقد ملأ هذا الحدث العظيم حياته، وشغله في ليله، ونهاره، وصار حديثه إذا التقى بالناس، وموضوعه إذا اتصل هاتفيا، أو كتب

(١) - رواه مسلم.

(٢) - الحجرات ( ١٠ ).

(٣) - الفتح ( ٢٩ ).

في الصحف أو تحدث في الإذاعة أو التلفاز، إنه يستصرخ أهل قطر خاصة، والمسلمين عامة يدعوهم بدعوة الله تعالى لهم:

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١).

إنه كان يستمد أسس دعوته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – مُنَوِّهاً بأن فلاح هذه الأمة في تماسكها، وضياعها في تفرقها، وتخاذلها.

(١) - الحديد ( ٧ ).

# تنافس واستجابة

وقد جعل الله – تعالى – له موضعا في قلوب أهل الخير، وكانت له فيهم كلمة مطاعة عن حب، وثقة واقتناع، فكان يقول لبعضهم: أرسل مبلغ كذا لإخواننا المجاهدين في أفغانستان وما شارك في مؤتمر أو حدث، أو خطب جمعة أو غيرها إلا وجعل قضية أفغانستان أهم قضاياه، وكان يتابع أخبارهم لحظة بلحظة، وكثيراً ما يبكيه ما يسوء من أخبار، ويدعو، ويؤمن الحاضرون بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس – رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال:

« اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أصول وبك أقاتل »[1].

وعن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم »[2].

وكان يرسل إليهم ما اجتمع لديه من مال الله أولاً بأول، مراتٍ ومراتٍ، وتحمَّلَ كثيراً من المشقات في سفراته إليهم، بل زارهم مرَّاتٍ أيضا، وعرف زعماءهم، وعرفوه، ودعاهم إلى قطر، ونزلوا قطر، فرحبت بهم وأحسنت استقبالهم، بل لقد ألقى عبد رب الرسول سياف محاضرات في الدوحة، وهو متحدث بليغ باللغة العربية.

---

(١) ـ رواه أبو داود والترمذي.

(٢) ـ رواه أبو داود.

وحين أحس الشيخ – رحمه الله – خلافا بينهم سَعَى في توحيد صفوفهم، ودعا زعماءهم، ومن لم يحضر أرسل متحدثا عنه، فجمع الله الشمل وألَّفَ بين قلوبهم، فصاروا في جهادهم عباد الله إخوانا بفضل من الله ورحمة.

وحدثنا رفيقُهُ الوفي، وصديقه الأحب الوجيه السيد عبد الله عبد الغني ـ رحمهما الله تعالى ـ عن رحلة رافقه فيها لزيارة مجاهدي أفغانستان فقال:

عجبا لأمر هذا الشيخ!

( إن همته العالية، ونفسه الطموح، وقلبه المطمئن بالإيمان، وروحه الوثاب جعلته يؤثر زيارة المجاهدين الأفغان في مواقع الجهاد غير مبالٍ بما قد يتعرض له من مشاق، أو يركب من أخطار، وقد أصر ـ مرة ـ أن يأخذني معه لأعايشهم، وأشهد شيئا من معاناتهم، فذهبنا إلى باكستان ـ بقصد الذهاب إلى المجاهدين الأفغان ـ ونزلنا كراتشي، ومنها إلى بشاور، ثم خيبر وزرنا معسكر المجاهدين ـ جزى الله أخي عني خيرا ـ لقد رأيت فيهم بما يتحلون به من صدق الجهاد وإخلاص النية، وحسن إسلامهم، وشوقهم إلى الشهادة في سبيله صورة الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم ـ ورجع بي هذا المشهد قرونا سابقة لأتصور عظمة أسلافنا وشدة إقبالهم على الله، وأيقنت أن من واجب المسلمين شد أزرهم، ودعم مواقفهم، فقدمنا لهم ـ شاكرين ـ ما كان لدينا من مساعدات كان مقدارها في هذه الزيارة مبلغاً عظيماً من المال.

واستضافنا عبد رب الرسول سياف أمير مجاهدي أفغانستان.

ألم أقل إن الله تعالى جعله سببا لخير عظيم؟

كيف كان لي أن أذهب إلى تلك البقاع، وأشهد وأحس حرارة الإيمان في صدور المؤمنين المعاصرين، وغيرتهم على الدين. وبذلهم النفس والنفيس في سبيله؟)[1].

وهكذا عاش الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ مع المجاهدين لحظة بلحظة، وقاسمهم مشاقَّ جهادهم، فما كان يذكر الأفغان إلا ويُذكَرُ خادم الجهاد والمجاهدين، ترى في قسمات وجهه — رحمه الله تعالى — بشائر النصر، بما يتلو من آيات، وما يردد من دعاء، وما يجري الله ـ تعالى ـ على لسانه من عبارات.

إنه لا يشك لحظة بأن النصر آت، إنه على يقين بفتح قريب وقد كان.

وقد أتم الله تعالى نعمته، ونصر عباده، ودحر الكفر والكافرين.

(١) - الأنصاري في عيون الآخرين ( ١٥٠، ١٥١ ).

# خادم العلم

## وعضوية مجلس أمناء المركز الإسلامي الأفريقي

- مؤتمر الدوحة .
- جماعة أفريقيا العالمية .
- كلية خادم العلم للقرآن الكريم وعلومه .

فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

# خادم العلم وعضوية مجلس أمناء المركز الإسلامي الأفريقي

كان (خادم العلم) حركة دائبة، وطموحاتٍ مطلقة، لا تحدها حدود، ولا تمسك مسيرتها قيود، إنه ابن الإسلام، وقد أنار الدين الحنيف العالم كله، ولا بد أن تفي الأمة بحاجات المسلمين ـ دولاً أو أقليات ـ لتظل الأمة الخاتمة متماسكة، ومقومات حياتها متوفرة، فكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يلقي بظلاله على تطلعات المسلمين، أيا كان موقعها، وإلى أي مدًى تطير بها آمالها.

في السودان الحبيب بأصالته، وعروبة بنيته، واعتصامه بإسلاميته أشرق المركز الإسلامي الإفريقي، واحتضنته (الخرطوم) العاصمة الطموح، وضم مجلس أمنائه سبع دول هي (السودان، قطر، السعودية، مصر، الكويت، الإمارات، المغرب).

والحاجة إلى قيام هذا المركز الإسلامي ماسة، والأخطار المحيطة بالإسلام والمسلمين ضارية، وحركات التنصير في (أفريقيا) خاصة مستعرة.

وأجيال المسلمين، وأفكارهم تبذل حركات التبشير قصارى جهدها للسيطرة عليهم واحتوائهم، فأسس المركز عام ١٩٦٦م، وأهم أغراضه إفساح المجال للدعوة الإسلامية بوسطيتها، وسلامة توجهاتها، وخلوها من التعقيدات، وبعدها عن التطرف، وإعلائها القيم الفاضلة، وإفساح

المجال لطالبي العلم من مسلمي أفريقيا لتلقي القرآن الكريم وعلومه، والتشريع الإسلامي وأصوله، وعطاءاته واتجاهاته، لبناء مسلم عارف بربه، معتصم بدينه، متأسٍّ برسوله (ﷺ).

وكانت جهود (خادم العلم) بارزة، وآثاره بَيِّنَة واضحة، كعهد العالم الإسلامي به في كل ما يتصدى له من شئون المسلمين، وبرز دوره في مجلس الأمناء، فكانت له جهوده كعضو مؤسس تفاعلت معه جهود الأمناء ممثلي تلك الدول، كما كانت له مشاركاته الخاصة، والتي تميز بها؛ من الدعوة إلى تنمية عضوية المركز، وحث الدول على المشاركة فيه، ورعاية نشاطاته، ودعم طموحاته لتخريج دعاة مبرئين من التعقيد والتطرف، ملمين بدلائل عظمة الإسلام، أمناء على وسطيته، قادرين على مواجهة خصومه، وتفنيد مزاعم أعدائه.

ونشطت حركة الشيخ في دعمه ماديّاً ومعنويا، وفتح المركز أبوابه لاستقبال الوافدين، وتوفير أماكن إقامتهم، وتحمل نفقات معيشتهم، وتكاليف وصولهم إلى السودان ـ حيث المركز الإسلامي ـ وعودتهم إلى بلادهم مع توفير الجو المناسب لبنائهم عقديًّا، وإعدادهم إعداداً إسلاميًّا على أيدي علماء ومفكرين على درجة عالية من المعرفة بالدين، والإحاطة بثوابته، والإيمان الراسخ بوسطيته.

وقد مثل الشيخ عبد الله الأنصاري دولة قطر في كل اجتماعاته ومؤتمراته، وترأس بعض اجتماعاته الدورية، وكان في كل ذلك محاوراً بليغاً، ومخطِّطًا حريصاً، ومشاركاً صدوقاً.

# مؤتمر الدوحة

استضافت قطر مجلس أمناء المركز الإسلامي الأفريقي، واحتضنت الدوحة المؤتمر المنعقد باسمه في الفترة من ١٨ من ربيع الأول ١٤٠٦هـ الموافق ٣٠ من نوفمبر ١٩٨٥م إلى ٢٢من ربيع الأول ١٤٠٦هـ الموافق ٤ من ديسمبر ١٩٨٥م، وكانت لخادم العلم رئاسة المؤتمر، وبرزت خبرات الشيخ، ومهاراته، ودقته في إدارة المؤتمر، ومناقشة جدول أعماله، واستيفاء اهتماماته، واستيعاب تطلعاته، فتمخض المؤتمر في ختام الاجتماعات عن اتخاذ قرارات، كان من أهمها:

- الموافقة بالإجماع على قبول مائتين وخمسين طالباً، وفقا لما أجيز في العام الماضي، وبنفس الشروط والالتزامات.
- إقرار الخطة الدراسية لمناهج كليتي الدعوة والتربية، واستقبال طلابهما، وإعداد هيئتي التدريس والإدارة لهما.
- كما اتخذت قراراتٌ تخص جانبي الإدارة والتمويل؛ حتى تظل عجلة التطور في انطلاقها، ويواصل المركز رسالته، وتظل في نشاط دائم مسيرته.
- وفي ختام الاجتماعات قرر مجلس الأمناء عقد دورته التالية في ٢٢ من مارس ١٩٨٦م بالخرطوم.
- وأنهيت اجتماعات المجلس بالدوحة المنعقدة في فندق الشيراتون.

وكان خادم العلم صورة ناضرة للعالم الإسلامي عامة، والوطن العزيز قطر خاصة.

# جامعة أفريقيا العالمية

جرت سنة الله تعالى في خلقه على ما بشر به كتابه العزيز:

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1]

فالنوايا الطيبة محركات يعليها الصدق، ويزينها الإخلاص، يباركها الله ـ جلَّ وعلا ـ ويوفقها والقائمين عليها، وينميها، ويرعاها، وتؤتي أعظم الحصاد بإذنه، جلَّ شأنه.

انطلقت مسيرة المركز الإسلامي يصحبها التوفيق، وتباركها رعاية الله تعالى، فتلاحق التطور، وتتابَعَ الترقِّي والتحديث حتى كان عام ١٩٩١م، حيث صدر قرار إنشاء (جامعة أفريقيا العالمية) حدث لم يسعد العالم بمثله، صرح إسلامي إفريقي عربي، يضم ـ ساعة كتابة هذه السطور ـ أربع عشرة كلية متخصصة في مختلف مجالات العلوم التطبيقية، والنظرية، والإنسانية، وغيرها من التخصصات على أرقى المستويات، وفي أتم الاستعدادات، ويتحمل مسؤوليتها أعظم الكفاءات تدريساً وبناءً لأجيالها، وتوجيها وإدارة لشؤونها، وقد قارب عدد طلاب الجامعة عشرين ألفاً، منهم خمسون في المائة من أفريقيا، تليها دول آسيا، ثم الأقليات المسلمة على مستوى العالم، على سبيل المثال، لا الحصر: في الصين، وتايلاند، والبوسنة، والهرسك.

إن النبتة الأولى (المركز الإسلامي الأفريقي) صارت جنات علمية،

(١) سورة يوسف الآية ٩٠

متنوعة الثمار بارعة الحصاد، وفيرة العطاء تضم طلاباً يمثلون اثنتين وسبعين دولة.

وقد تفردت الجامعة بنظام لم تسبق إليه، فأبناء السودان لم يسمح لهم الالتحاق بالجامعة إلا في عام

ويسدد الطالب السوداني كل الالتزامات المادية؛ أما الطلاب الوافدون فلا يحملون أي أعباء مادية؛ حيث تجمعهم مساكن الجامعة وتوفر لهم كل أسباب المعيشة، وتهيئ لهم الراحة والاستقرار للتفرغ للدراسة، ومتابعتها، مع اهتمام بالغ بالنشاطات والترويح.

# كلية خادم العلم للقرآن الكريم وعلومه

وقد شاء الله تعالى أن يكون (خادم العلم) الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عضواً مؤسساً للمركز الإسلامي الأفريقي، ويحيا كل تطوراته، وتتوالى إسهاماته مادياً ومعنوياً، واتصالاً بالآخرين، وحفزاً لهم على التبرع، وترغيباً في إعلاء هذا الصرح، ودعم قدراته والعمل على تطويره حتى لحق بجوار ربه بعد فجر يوم الأحد ١٥ من ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق ١٦/١٠/١٩٨٩م ـ رحمه الله تعالى ـ وتحتفل الجامعة باليوبيل الذهبي ذاكرة الأيادي البيضاء، والجهود المخلصة التي أنفقت ـ بتوفيق الله تعالى ـ في إعلاء صرح المركز الإسلامي، وهيأت لميلاد الجامعة، واستوائها، وانتظارها لمستقبل أفضل، وعطاء أوفر، في تلك المناسبة، مع اجتماع مجلس أمناء الجامعة، يلوح في أفق الجامعة نور إسلامي تربوي، يصل الحاضر بالماضي، ويؤكد ضرورة مواصلة العطاء والدعم، مبشراً بأن الخير يربو، والحركة في خدمة الحق تنمو وتزدهر ـ فضلاً من الله ورحمة ـ حيث يوضع حجر الأساس للكلية الخامسة عشرة، وهي في خدمة النور والهدى، كتاب الله تعالى، مذكرة بخادم العلم، خادم القرآن الكريم وعلومه تحفيظاً وإحياءً ومدارسة لعلومه وطباعة ونشراً على مستوى العالم كله.

(كلية خادم العلم للقرآن الكريم وعلومه)

وأثر خادم العلم بارزٌ فيها، حيث فكر فيها، وتبرع لإنشائها من خالص

مالـه نجله الأكبر الدكتور/ محمد بن عبـد الله بن إبراهيم الأنصاري (عضـو مجلـس أمناء جامعة أفريقيـا العالمية) مُؤْثِـرًا أن تكون باسم والـده ـ غفر الله تعالى لـه ـ راجياً أن تكون الكلية مشرق هدى، ومبعث دعـاة يجوبون أرض الله تعالـى داعين إلى الله تعالـى، معبرين سلوكاً وعمـلاً، وإيضاحاً وقولاً، عـن الدين الخاتم، والذكـر الحكيم، وعظمة التشريع المنزل للناس كافة.

فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ ابراهيم الأنصاري

# مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه

- فكرة المجمع.
- استجابة فورية حميدة.
- التنفيذ وتضافر الجهود.
- معهد الوالد الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري للدراسات الإسلامية.
- دار التقويم القطري.
- مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة.
- المجمع تراث حضاري وواقع طموح.
- قاعة لولوة بنت علي بن راشد المحري المهندي.
- القاعة ملتقى متميز
- مركز تحفيظ القرآن الكريم
- قاعة خادم العلم.
- رسالة مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري.

فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

هذا كتاب فضيلة الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم الأنصاري

# فكرة المجمع

كانت آثار سيدي الوالد رحمه الله تعالى، والمنشآت التي تصور جانباً من عطاءاته التي زخرت بها حياته متفرقة، فضلاً عن كونها كافية للوفاء بالأهداف التي أقيمت لها كل منشأة ( فمعهد الوالد الشيخ إبراهيم الأنصاري للدراسات الإسلامية ) في مبنىً مستأجر بفريق السودان، و(مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة ) بفريق النصر، ورغم إضافة قاعة مطالعة جديدة ملحقاً بها ثلاث غرف للبحث، فالمكتبة بقاعتيها وغرفها الملحقة تعاني من ضيق يمنع من العرض المناسب لآلاف الكتب الواردة إليها والتي باتت في ازدياد مستمر، وأصبحت إضافة إمكانات تقنية أمراً صعباً لمحدودية المكان، ثم عدم ملاءمة المبنى، وتعذر تطويره أو إدخالِ تعديلات عليه،

و(دار التقويم القطري) الكائنة بفريق النصر أيضا محدودة المساحة رغم تعدد نشاطها، وتنوع معطياتها، وكثافة الجهود الملقاة عليها والمنوطة بها، وعزّ علينا إيجاد (قاعة عامة) ذات إمكانات حديثة تفسح المجال لإقامة ندوات، أو تنسيق دورات، أو ضم لقاءات فكان لا بد لنا من البحث عن بديل يلائم عصر الازدهار الذي تعيشه قطر، وتتألق بآثاره الدوحة العاصمة، والتي تنافست فيها معالم العطاء الديني، والثقافي والعلمي والاجتماعي وغير ذلك مما أهل دوحة الحضارة والرقي لأن تكون عاصمة لعطاءات إسلامية عربية كثيرة، في الوقت الذي يأخذ فيه هذا المعلم مظهراً معمارياً حضارياً يوائم التطور العمراني السريع الخارق الذي حاز إعجاب العالم، وتناقله في إكبارٍ زائرو الدوحة، ويهيئ لنا جَمْعَ طموحات ومشروعات الوفاء لخادم العلم رحمه الله تعالى وإتاحة الفرصة لكل فرعٍ من فروع هذا المعلم الحضاري لممارسة مهامه، وتوسيع دائرة نشاطه، وتلبية حاجات العصر، والقدرة على التطور، والتجديد، وابتكار ما يضاعف خدماته، ويثري أهدافه.

فكان التطلع إلى مساحة أكبر ضرورة، وأصبح العمل على إقامة صرح عمراني يحكي صورة عصره، ويواكب انطلاق قطر الحضاري لازماً، ولا يتحقق مثل هذا الطموح إلا من خلال دولتنا الحبيبة، والثقة فيها غالية، وَتَوَقُّعُ دعمها في عظائم الأمور موثوق به.

## استجابة فورية حميدة

وكانت استجابة حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير البلاد المفدى حفظه الله أعظم من الأمل، وأكبر من الطموح، وأسرع من الحلم، حيث أصدر أمره السامي بتخصيص مساحة في موقع متميز عمرانياً وحضارياً واجتماعياً وخدمياً، وتعاونت معنا الجهات المسؤولة، وبذلك كان سبق المبادرة، وفورية الاستجابة في منحنا الأرض من سمو أميرنا المفدى من أكبر العوامل، وأعظم الحوافز لإقامة (مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه)

# التنفيذ وتضافر الجهود

اتّجَهْنَا إلى التنفيذ وفينا بتوفيق من الله تعالى العزم وقوة الإرادة والإصرار على النجاح، وإن كانت التكلفة عالية، ضاعفها ارتفاع الأسعار، فالمشروع وفقا لما لدينا من تصورات تليق بذلك المجمع الطموح وتتناسب مع أهدافه، وكما عبرت الرسومات الهندسية يحتاج إلى مبالغ طائلة ليبرز إلى الوجود عملاقاً باهراً، شامخاً متطوراً، وها هو اليوم درة في عقد الحضارة القطرية، ومنارة تشرق بخدماتٍ دينية علمية ثقافية اجتماعية، يمثل كلٌّ فرع من فروعه صرحاً متألقاً، منافساً فائقاً، سابقاً بمعطياته متميزاً في خدماته، تحركه جهودٌ خبيرة، وتخطط له اتجاهات علمية رشيدة، وترعى عطاءه خبرات متطورة سديدة.

# معهد الوالد الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري للدراسات الإسلامية

إحياءً لما بدأ به الجد من تحفيظ للقرآن الكريم ونشر للعلوم الشرعية والعربية ثم ما أخذ به الوالد رحمه الله من خدمة للقرآن بطبعه ونشر مراكز التحفيظ ورعاية أهله من المحفظين والمحفظات، حَرَصْتُ على إنشاء هذا المعلم القرآني العظيم وبَدَأَتِ الدراسة به في عام ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠م وكان مقره فريق النصر شارع التراث ثم نقل إلى فريق السودان.

يتيح المعهد لدارساته فرصة الحصول على (دبلوم الدراسات الإسلامية) وقد ضوعفت خبراته، وزادت وتطورت إمكاناته، وَوُسِّعَ عليه

فـي مقره الجديد ليستوعب دارسات أكثر، وليقدم خدمات أكبر وأوفر، وتقـوم به ورش عمل مستقلة، ومواقع أنشطـة منظمة، ولقاءات هادفة، لإثراء العمل الدعوي، وتأصيل التوجه التربوي لتخريج صاحبات رسالة، وحامـلات أمانة، فيهن عظمة الإسلام وأصالتـه، ووسطيته وسماحته، مـع التمسـك بثوابته دون إفـراط أو تفريط وقام عظيمـاً شامخاً تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

يُعِـدُّ الداعيات الواعيات المتقنات لدورهـن العارفات بواجبهن، في بنـاء الأجيال، وصناعة الأمهات والرجال من خـلال أسرهنّ المسلمة، وعملهن في المؤسسات التربوية، ومشاركتهنّ في الحياة العامة.

فيهن النصح للأمة، والحرص على النهضة، في سمو وارتقاء وعظمة وإباء.

# دار التقويم القطري

خَطَّ الجدُّ رحمه الله تعالى التقويم القطري بيده، وتبعه في ذلك الوالد رحمه الله تعالى، وظهرت الطباعة، وطبع في عهده، وأصبح التقويم القطري موضع تقدير دول الخليج، وصار لقطر تقويمها الخاص دون أن يكون هناك إشهار لدار التقويم أو اعتماد رسمي لها، وهذا ما حَرَصْتُ عليه، وكاتبتُ فيه الجهات الرسمية، حتى تَمّ إشهار دار التقويم القطري في ١٥ / ٩ / ١٤١٠هـ الموافق ١٥/٤/١٩٩٠م واعتمد التقويم القطري تقويماً رسمياً لدولة قطر.

ودار التقويم القطري فرع يزين المجمع، ويثري المجتمع، بإصداراته الدقيقة الفريدة، وخلفياته الجامعة الرشيدة العديدة، وإخراجه المبهر، ويتحف مجتمعنا القطري، ويوثق علاقاته بدول مجلس التعاون الخليجي، وقد تعدّدتْ منافذ دار التقويم القطري، وهي ترحب بلقائكم المباشر في مقرها، أو الاتصال بهواتفها (٤٤٤٤٩٣٠٣ - ٤٤٤٤٩٧١٢)

بالإضافة إلى الخط الساخن عن طريق الهاتف رقم (١٤٢) بخدمة مجانية بالإشتراك مع اتصالات قطر (كيوتل) و(شركة قطر كول) وذلك لمعرفة اليوم والتاريخ الهجري والميلادي ومعرفة مواقيت الصلاة، أو الدخول على موقعها الأليكتروني www.qatarch.com لتجد إجابة تساؤلاتك، مع الحرص الشديد لدى مسؤوليها على راحتك وإيناسك وإثرائك وإمتاعك.

هذا فضلاً عن مطبوعات نشرت وأخرى قيد الطبع ثقافية إسلامية أو فلكية أو علمية أو ترفيهية.

# مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة

كانت مكتبة (خادم العلم) الخاصة تحوي أسفاراً، ومراجع نادرة قد تخلو منها مكتبات عامة، منهـا المطبوع والمخطوط في الدين خاصة، ثـم في اللغة العربية، بل كانت مقصد طالبي العلم والباحثين من رفاق سيـدي الوالـد ومحبيه، وكان رحمـه الله تعالى حريصاً علـى أن تكون مكتبـة عامة، وقد كره أن تكون كتبه تراثاً توصد عليه الخزائن، بل كان في حياته حريصاً بأن تكون كتبه الخاصة عامة النفع والاستفادة.

ومضى الوالد الكريم إلى ربه، ورأيتُ نفسي مسؤولاً عن تحقيق رغبته، ورفعتُ الأمر إلى المسؤولين في الدولة لاعتبار مكتبة سيدي الوالد مكتبة عامة يستفيد منها الهواة والراغبون في القراءة والمعرفة، وصدر القرار الكريم، باعتبار (مكتبة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري) مكتبة عامة في عام ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨م، لهـا مخصصـات المكتبات العامة، وعليها التزامـاتـها، وبفريق من المتخصصين قسمت المكتبة تقسيماً فنّيًا، وصنفت مقتنيـاتها، وأعدت سجـلاتها، ونظم العمل بها، وفُتِحَتْ أبوابهـا تستقبل بحفاوة، وتخدم بتوقيـر وعناية بعد أن ضوعفت كتبها وطورت أدواتها.

ونمـا عـدد الكتب نمـوًّا سريعاً، وضاقـت قاعة المطالعـة، واكتظت المخـازن بأكداس مـن الأسفار والمراجع، فأنشأنا قاعـة أكبر وأوسع، وبمـرور الوقت ضاقت القاعتان، وعَزّ رَفْعُ كثير من الكتب لتأخذ مكانها

على الرفوف، واستعصت توسعة المبنى أو الإضافة إليه، واضطررنا إلى تخزين كثير من المصنفات التي أودعت الحاسوب ضمن برنامج المكتبة، ولا مكان لها، مما جعل الحاجة ماسة إلى مقر جديد أوسع وأحدث يساير التطور الحضاريّ، ويفسح المجال لمخزون الكتب، ويتيح فرصة الإضافة والإثراء، فكان المجمع، والمكتبة فرع منه، فيها الرحابة والسعة، والجمال والحداثة، وإتاحة الفرصة للتطوير، وإدخال معطيات العصر من تقنيات مكتبية، وإضافات ترغب مختلف الأعمار ابتداء بمرحلة الطفولة المبكرة، ومسايرة لحاجات الباحثين في تنوعها، وعمق مطالبها، ليبرز هذا الفرع معلماً حضارياً ثقافيا يضمه المعلم العملاق.

# المجمع تراث حضاري وواقع طموح

إن كل فروع المجمع تراثية جديدة، لقد جعل خادم العلم رحمه الله من مجلسه منتدى تعقد فيه جلسات العلم، يقصده المفكرون والدعاة فضلاً عن طالبي العلم، ومحبي التزود بآراء العلماء يقول الوالد العلامة فضيلة الشيخ القرضاوي:

ومن حسن الطالع أني حين زرت الشيخ عبد الله الأنصاري وجدته يقرأ مع بعض جلسائه في بعض كتب الحديث، وطلب مني فضيلته أن أعلق على الحديث الذي قرئ، ففتح الله عليّ، وقلت كلاماً مرتجلاً بغير إعداد ولا ترتيب، وكان الشيخ يهتز طرباً كلّما سمعني أشرح وأفصل. أ.هـ

إنه رحمه الله تعالى يفسح المجال للعلماء، ويعلم الحاضرين حسن الاستماع.

ويقول الوالد الشيخ عبد المعز عبد الستار غفر الله تعالى له:

وكان خادم العلم يصدر كل أسبوع نشرة يعلن فيها أسماء المحاضرين في مسجد الندوة وغيره من المساجد، وكان حريصاً على أن يقدم كتاباً لكل من يحضر هذه الندوات العلمية فكان هذا يزيد من إقبال الناس على حضور دروس العلم وحفظ القرآن إلى جانب أنه كان يوزع بعض النشرات التي كانت ترد من بعض الجماعات الإسلامية حتى أصبح رواد ندوته فقهاء في قضايا الأمة الإسلامية. أ.هـ

فنشر العلم والترغيب فيه، واستعراض قضايا مجتمع الإسلام وإيضاح الصواب فيها كان دَيْدَنَ مَنْ حمل المجمعُ اسمه ...

ومن هنا كان الفرع الرابع ضرورة.

# قاعة

## لولوة بنت علي بن راشد المحري المهندي

تحمل القاعة اسم الزوجة الأولى للوالد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري رحمهما الله تعالى وهي أم نجله الأكبر د/محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)، افتتحت مع الشيخ حياته العائلية، وأنجبت له نجله الأكبر، ثم توفيت وهو لا يزال في المهد.

نشأت رحمها الله تعالى في منبت طيب عُرِف أهله بالوفاء، وقد توثقت صلتهم بالجد الشيخ إبراهيم الأنصاري منذ نزل الخور، و عظمت صلتهم به وكانت تلك الصلة سبباً في المصاهرة والنسب حيث طلب يد ابنتهم (أم محمد) لابنه الشيخ عبد الله فزوجوه كريمتهم أم محمد وتألقت الصلة، وجمع بينهم وبينه وُدٌ صادق، وتراحم خالص، وتواصلٌ كريم، وإن بلغت العشرة بين الزوجين أعواماً لم تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة، وظل الحبل موصولاً، والمودة قائمة فاعلة بين آل المحري المهندي وبين الشيخ رحمه الله تعالى، ثم بين الأبناء بل الأحفاد لهؤلاء وبين أبناء الشيخ وأحفاده فلم تكد تلك الفروع الطيبة من آل المحري المهندي تعلم بإقامة (مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه) حتى أسرعوا إلى المشاركة، وتحملوا تكاليف إنشاء تلك القاعة وتأثيثها كاملة رغبة منهم في التعبير عن الوفاء لتلك الأم الغالية أم محمد رحمها الله، ولذلكم الوالدِ البرِّ الكريم الشيخ عبد الله الأنصاري (خادم العلم) أبو محمد.

مجمع الشيخ عبدالله الأنصاري
قاعة لولوة بنت علي بن راشد المعري المهندي

# القاعة ملتقى متميز

ملتقى إسلامي أعد لعطاء متميز، تتسع لأكثر من ألف في جلسات مريحة تعين على حُسن التلقي وجودة التحصيل، أسست، وأعدت إعداداً يتناسب مع رسالتها.

أجهزة الصوتيات والمرئيات والتسجيل والتصوير على أعلى المستويات، أقيمت بها منصة كبيرة تصلح لاستخدامات متعددة، تعمرها المحاضرات والندوات والدورات، حيث تستضيف كبار المفكرين الإسلاميين، والخبراء العلميين فيما يخص حياتنا، ويهيىء لنا – بتوفيق الله تعالى- حياة مستقرة للأفراد والأسر والمجتمع كله، وفق منهج الله تعالى؛ وإحياءً لعطاء الإسلام التربوي، ليجد سبيله إلى بناء المسلمات بناءً يتفق والدين الحنيف.

كما تتسع للمناسبات الجادة الهادفة، والمسابقات الدينية والعلمية البناءة.

وتعنى القاعة بشؤون المرأة والتثقيف في مجالاتها المختلفة، ولقاءات النساء خاصة بهن لا يشاركهن فيها الرجال، مع الحرص على جودة وسلامة المادة العلمية المقدمة لهن، والدقة في اختيار من يدير هذه اللقاءات من النساء أو الرجال.

# مركز تحفيظ القرآن الكريم

رعايةٌ أُريد بها وجه الله تعالى، ثم هي تخليد لذكرى (خادم العلم) الذي نشر به الله تعالى مراكز تحفيظ القرآن الكريم في مدن قطر وقراها، في المساجد على مدار العام، وفي المدارس في إجازة الصيف.

وقد أقيم المركز لإعاشة كبارنا في رحاب القرآن الكريم، وليشب الصغار عليه، وتحيا الكبيرات في ظلاله، فتهتدي الأسر بهداه، وتقيم مسيرتها في نوره.

بالمركز حلقات للحفظ والتجويد، وحلقات لتحقيق التلاوة وإتقان مخارج الحروف، ولدينا بفضل الله تعالى إمكانات استيعاب حلقات قرآنية من الفاتحة إلى الناس.

يقبل المركز البنات من سن الطفولة، والنساء في أي مستوى من العمر والدراسة، أما البنون فألحقوا به حتى سن السابعة.

يتسع المركز للعرب والعجم، ولدينا محفظات أولات كفاءات قادرات على التعامل مع الجميع.

# قاعة (خادم العلم)

إن نمو حركة اللقاءات القرآنية تحفيظاً وترتيلاً ومدارسةً، والمنتديات التي كان مجلسه العامر منطلقها، واستدعى كثرة الرواد وكثافة الحضور نقلها إلى مسجد الشيخ غانم، ولازدحام المسجد بمحبي كتاب الله استعمل مكبر الصوت، وازدياد العدد في صعود مستمر، مما حتَّم تقسيم الجموع إلى جماعات، ثم الحركة الدائبة في إعمار بيوت الله بلقاءات يُستضاف لها صفوة المفكرين الإسلاميين من داخل قطر، وخارجها على مدار العام، مع تكثيف هذه الجهود دعانا إلى إقامة (قاعة خادم العلم) في مجمعه الوقور، وداخل (معهد الوالد الشيخ إبراهيم الأنصاري للدراسات الإسلامية).

ولهـذه القاعة أهمية خاصة، ففيها تكون الملتقيات العامة لدارسات المعهد، وهي متنوعة، ولها دور مهم في بناء الدارسات، وتثقيفهن وفق المنهـج الدراسي، أو العطاء الدعوي والتربوي تخفيفاً عليهن، وحفاظاً على الوقت.

ولا يقتصـر تثقيـف الدارسـات بالقاعة علـى الجهـود الداخلية في المعهـد، بل يستدعى لها المفكرون الإسلاميـون والمفكرات، وفي أيام عطـلات المعهد، تستغـل (قاعة خادم العلم) فـي دورات متخصصة، يقيمها أساتذة من جامعة قطر، أو غيرها من الجامعات، منها الخاص بالرجال، والخاص بالنساء.

وقـد أثثـت القاعة، وجهـزت تجهيـزاً تكنولوجياً مناسبـاً لعصرنا، ومسايراً للتطورات الحديثة.

# رسالة مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري

يقوم بإعدادها متخصصون، ومفكرون مشغولون بقضايا المجتمع الإسلامي، حريصون على البلوغ فيها، مع اعتصام تام بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، واستمداد من التراث الإسلامي السوي السليم الملتزم المنزه عن عبث المشتطين، وخوض المخالفين، مع اقتراح حلول، ودعوة أولي العلم الأفاضل داخل قطر وخارجها إلى المشاركة، وإبداء الرأي لتجلية موقف الإسلام، وإبطال شبهات الحاقدين الذين يحركهم الهوى، وتدعمهم المنظمات المناوئة للإسلام.

ومنبر الرسالة هو الصحافة القطرية، حيث بدأ النشر بجريدة الوطن القطرية، وجريدة الشرق القطرية أيضاً، واحتفت الشبكة العنكبوتية بتلك الرسالة، وعلق عليها، والمجمع يفتح الباب لكل صحيفة ترغب في المشاركة داخل قطر، أو خارجها مع الاحتفاظ بحقوق المجمع في النشر والتوزيع، ويمكنكم مراسلة المجمع لإثراء الرسالة، وتحديد مشكلات، لها ظهور بارز في مجتمعنا الإسلامي أو يُخشى خطرها على المجتمع أفراداً وأسراً ومجتمعات.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تقديم | ١ |
| مقدمة | ١٠ |
| أنا وأبي | ٢١ |
| الشيخ إبراهيم الأنصاري | ٢٥ |
| خادم العلم مولده ونسبه | ٣٥ |
| نشأته | ٤٠ |
| جامعته الأولى | ٤٦ |
| الأنصاري بين يدي الشيخ ابن مانع | ٥٠ |
| خادم العلم في الأحساء | ٥٢ |
| رحلته إلى البحرين | ٦٠ |
| في رحاب بيت الله الحرام | ٦٢ |
| التحاقه بالمدرسة الصولتية | ٦٦ |
| البرُّ يعود به إلى قطر | ٦٩ |
| صلته بأساتذته وشيوخه | ٧٠ |
| رحلته العملية في السعودية | ٧١ |
| درة الخليج دارين | ٧٢ |
| نزوله الدمام | ٧٤ |
| صحبة طيبة ولقاء مبارك | ٧٥ |
| الداعية والمعلم الأول في دارين | ٧٩ |
| إبداع في التربية | ٨١ |
| منهج تربوي عملي | ٨٢ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| أول مدرسة نظامية في دارين | ٨٣ |
| تربية ناجحة | ٨٦ |
| المعلم الصادق | ٨٨ |
| الأب المعلم | ٩٠ |
| الشيخ والقضاء بالقطيف | ٩٢ |
| عود حميد إلى أرض الوطن دعوة الوطن له | ٩٤ |
| تأسيسه أول معهد ديني بدولة قطر | ٩٧ |
| الشيخ مدير لمدرسة صلاح الدين | ١٠٦ |
| توجهات تربوية | ١١١ |
| علم وسلوك قويم | ١١٢ |
| حسن توجيه لطاقات الشباب | ١١٥ |
| درس لابد منه | ١١٧ |
| التربية على المنهج الإسلامي | ١٢٠ |
| إدارته الشؤون الدينية والقروية | ١٢٥ |
| الشيخ والقرآن الكريم | ١٣٥ |
| ذلك الكتاب لاريب فيه | ١٣٦ |
| التحدي بالقرآن | ١٤١ |
| الحياة في ظلال القرآن | ١٤٥ |
| النشأة قرآنية | ١٥٠ |
| صحوة قرآنية | ١٥٤ |
| اختيار المحفظين | ١٥٨ |
| سياسة رشيدة | ١٦١ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم | ١٦٧ |
| الندوة القرآنية | ١٧٥ |
| كرامة أهل القرآن « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » | ١٧٨ |
| طباعته للقرآن الكريم | ١٨٤ |
| خادم العلم وإحياء التراث | ١٨٩ |
| قرار حكيم | ١٩٠ |
| جدٌ ووفاء | ١٩٤ |
| براعته في تحقيق التراث | ١٩٨ |
| خبرة فائقة في إخراج كتب التراث | ٢٠١ |
| نفائس من التراث | ٢٠٥ |
| الشيخ وعلم الفلك | ٢٠٧ |
| أهمية هذا العلم | ٢٠٨ |
| براعته في علم الفلك | ٢١١ |
| خادم العلم والتقويم القطري | ٢١٣ |
| مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية | ٢١٥ |
| الشيخ ورمضان المعظم | ٢١٧ |
| الشيخ وحاجات الناس | ٢٢١ |
| دار الأيتام الأنصارية بكاليكوت بالهند | ٢٢٦ |
| المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الدوحة – المحرم ١٤٠٠هـ | ٢٢٩ |
| إعداد وحسن استقبال | ٢٣١ |
| الشيخ راعي المؤتمر | ٢٣٤ |
| الشيخ والجهاد | ٢٣٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| أمة مسلمة | ٢٣٨ |
| الغزو الروسي لها | ٢٣٩ |
| صحوة إسلامية | ٢٤٢ |
| غوث إسلامي | ٢٤٤ |
| تنافس واستجابة | ٢٤٦ |
| خادم العلم وعضوية مجلس أمناء المركز الإسلامي الأفريقي | ٢٤٩ |
| مؤتمر الدوحة | ٢٥٣ |
| جامعة أفريقيا العالمية | ٢٥٤ |
| كلية خادم العلم للقرآن الكريم وعلومه | ٢٥٦ |
| مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه | ٢٥٩ |
| فكرة المجمع | ٢٦١ |
| استجابة فورية حميدة | ٢٦٣ |
| التنفيذ وتضافر الجهود | ٢٦٤ |
| معهد الوالد الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري للدراسات الإسلامية | ٢٦٥ |
| دار التقويم القطري | ٢٦٧ |
| مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة | ٢٦٨ |
| المجمع تراث حضاري وواقع طموح | ٢٧٠ |
| قاعة لولوة بنت علي بن راشد المحري المهندي | ٢٧٢ |
| القاعة ملتقى متميز | ٢٧٤ |
| مركز تحفيظ القرآن الكريم | ٢٧٥ |
| قاعة (خادم العلم) | ٢٧٦ |
| رسالة مجمع الشيخ عبد الله الأنصاري | ٢٧٨ |